القسم الثانى

Obeikandl.com

obeikandl.com

نماذج من الخطب

إليك ـ أيها القارئ الكريم ـ هذه النماذج المنوعة من الخطب ، اصطفيتها مما قمت بإلقائه أو إعداده للإلقاء ، عسى أن تكون عوناً لك وأنت تتحمل أمانة الدعوة والوعظ والإرشاد .

وقد آثرت ـ فى معظمها ـ أن تجىء موضوعاتها مستوفية العناصر ، مدعمة بالأدلة الكثيرة ، مما تسبب ـ أحياناً ـ فى مجيئها طويلة ، ولك فى تلك الخطب الطوال أن تتصرف وفقاً لما يقتضيه المقام ، فتكتفى ببعض العناصر والأدلة المهمة مستغنياً عن التفاصيل ، بشرط ألاَّ تفقد الخطبة مقوماتها الأساسية وأهدافها .

بر الوالدين

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجَعَلَ الظُّلُمات والنور ، ثم الذين كفروا بربهم يَعْدِلُون . الحمد لله الذى أَنْزَلَ على عبده الكتاب ولم يجْعَلْ له عِوَجًا . الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض ، وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير .

الحمد لله فاطِرِ السموات والأرض ، جاعِلِ الملائكة رُسُلا أُولِى أجنحة مَثْنَى وثُلاَثَ ورُبَاعَ يزيد فى الخلق ما يشاء ، إنَّ الله على كل شىء قدير .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريك له ، ربنا الذى أعْطَى كل شىء خَلْقَهُ ثم هَدى .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهُدَى ودين الحق ليُظْهِره على الدين كُلِّه ولو كرِهَ المشركون ، فبلَّـغ الرسالةَ ، وأدّى الأمانة، ونصح لِـلأُمَّـة ، وكشف الغُمة، وتركنَا على الـمَـحَـجَّـةِ البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغُ عنها إلا هالك .

اللهم صَلِّ وسلِّم وباركْ عليه وعلى آله وصحبه ، ومَنِ اهتدى بهَدْيِه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن الله تبارك وتعالى تكريماً للوالدين ، وتنويهاً بشأنهما ، ورفْعاً لذكرهما، وتقريراً لحقوقهما ـ أمر بِبِرِّهما، وأكَّدهُ وكَرَّرَه فى عدة آيات ، قرنه فى أربع منها بتوحيده ، فجعله بعد طَلَب إفراده بالعبادة أو نَهْيِه عن الشِّرك ،

فقال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾. (١)

وقال: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾. (٢)

وقال : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (٣) . وقال : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ .(٤)

كما وَصَّى ـ سبحانه وتعالى ـ بهما في ثلاث آيات ، جاء فعل (وَصَّينا) فيها بمعنى أوجبنا ، حيث قال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.(٥)

وقال: ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾. (٦)

وقال:﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾.(٧)

كما أكد الرسول صلى الله عليه وسلم هو الآخر الأمـرَ ببرهما فى أحاديث كثيرة ، منها قوله عليه الصلاة والسلام : « برُّوا آباءَكُم تَبرَّكُم أَبْنَاؤُكم ، وعفُّوا تعفَّ نساؤكم»(٨) .

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٨٣ .
(٢) سورة النساء ـ من الآية : ٣٦.
(٣) سورة الأنعام ـ من الآية : ١٥١ .
(٤) الإسراء ـ الآيتان : ٢٣و ٢٤.
(٥) سورة العنكبوت: ٨ .
(٦) سورة لقمان ـ من الآية :١٤ .
(٧) سورة الأحقاف ـ من الآية : ١٥.
(٨) رواه الطبرانى بإسناد حسن .

هذه بعض النصوص التى وردت بشأن بِـرِّ الوالدين ، فما المراد به إذَنْ؟

بر الوالدين هو دوامُ وَصْلِهما ، والتوسُّعُ فى الإحسان إليهما ، والقيام بحقوقهما فى غير تَضَـرُّرٍأو تأفُّفٍ أو استِثْقَال ، وذلك يتمثل فى أمور كثيرة:

* يتمثل بر الوالدين فى حبهما ، فَبِالْـحُبِّ الخالص تتآلفُ النفوس ، وترتاح العقول، وتطمئن القلوب ، وتسعد الحياة ؛ لأن الحب من أسمى العواطف التى تربط الإنسان بأخيه الإنسان ، وخصوصاً إذا كان أباً أو أمَّـا .

* يتمثل بر الوالدين فى الإحسان إليهما ، فى القول: ﴿ **فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا**﴾. وفى الفعل ، يعمل كل ما فيه راحتهما ورضاهما وسعادتهما ، ابتغاء وجه الله والدار الآخرة .

* بر الوالدين يتمثل فى طاعتهما فى غير معصية ، وفى تنفيذ أوامرهما وتحقيق رغباتهما المشروعة ؛ لما فى ذلك من راحة نفسية للأبوين ، وشعورهما بأن تربيتهما أثمرت خير الثمرات ...

* بر الوالدين يتمثل كذلك فى احترامهما وتوقيرهما والتواضع لهما: ﴿**وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ**﴾. ووَضْعِهما فى مَنْزِلَتِهِماَ فى كل مراحل حياتهما ، ولا سيما مرحلة الشيخوخة ، مهما كان عليه واقعهما من غِنًى أو فَقْرٍ ، من صحة أو مرض، من منزلة اجتماعية عالية أو غير عالية .

* بر الوالدين يتمثل أيضاً فى الشفقة والرحمة والرأفة بهما ؛ لأنها مطلوبة فى معاملة غير الأبوين ، ومن باب أَوْلَى فى معاملتهما .

* بر الوالدين يتمثل فى علاجهما عندما يمرضان ، وتمريضهما بدون ضيق أو ضَجَر أو اشمئزاز أو استعلاء .

* بر الوالدين يتمثل كذلك فى اتخاذ أبنائهما إياهما قدوة حسنة إن كانا صالِـحَيْنِ ، وفى إدخالهم السرور عليهما بما يقومون به من قول أو فعل يجلب لهما ذلك السرور .

* بر الوالدين يتجلى فى الدفاع عنهما ضد كل مُعْتَدٍ أثيم ؛ ليشعرا بأنهما فى حماية أولادهما بعد حماية الله لهما .

* بر الوالدين يتمثل فوق ذلك فى إرشادهما إنْ ضَلاَّ الطريق المستقيم، وإعادتهما إلى جادة الصواب ، حماية لهما من غضب الله . ويكون إرشادهما وجدالهما بالَّتِى هى أحْسَن .

* بر الوالدين يستوجب الدُّعَاءَ لهما بالتوفيق ، والرحمة ، والمغفرة ، وطول العمر: ﴿ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً ﴾ .

هذه ـ أيها الإخوة المسلمون ـ بعض الأمور التى يَسْتَوْجِبُهَا بِرُّ الوالِدَيْنِ، فلماذا ـ إذنْ ـ أمَرَ الله تعالى بهذا البر ؟

لأنهما أصل وجود الأبناء ، ولمَا قامَ به كُلٌّ منهما نحوهم : فدور الأب خطير ، يبدأ باختياره لهم أُما صالحة ، تَلْبِيَةً لأمره صلى الله عليه وسلم فى قوله : « تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس » (١) . ثم باختياره لهم أسماءً حسنة ، لا تجلبُ لهم ألمًا نفسيا أو سُخريَة عندما يُنَادَوْن بها ، ثم باستمراره فى رعايته لهم ، والإنْفَاقِ عليهم وتغذيتهم ، وتعليمهم وتوجيههم الوِجْهَةَ الصحيحة ، حتى يشبوا قرة عَيْنٍ له ، وذرية صالحة نافعة لأنفسها ولدينها ولوطنها ، سُعداءَ فى الدنيا والآخرة .

على أن دور الأم أخطر من دور الأب : فهى التى حَمَلَتْ وقاسَتْ مشقات الحمل ، وعانت من تأثيراته السلبية على صحتها ومزاجها ، بل على سير حياتها كلها . قال تعالى مشيراً إلى ذلك : ﴿ وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا﴾ (٣) .

---

(١) رواه ابن ماجه .
(٢) سورة لقمان ـ من الآية : ١٤ .
(٣) سورة الأحقاف ـ من الآية : ١٥ .

obeikandl.com

ثم فى نهاية الحمل قاست فى وضعه أعنف الآلام ، إنْ نَجَتْ من الموت أَثْنَاءَهُ ، ثم أرضَعَتْ وغَذتْ ، وسهرت وضحت براحتها ووقتها ، باذِلَةً فى ذلك أقصى جهدها فى رضاً وسعادة ، متعاونة مع الأب فى الوصول بأولادهما إلى أسمى ما يستطيعان من مراتب التربية ، ليشبوا ـ كما أسلفت ـ ذرية رشيدة ، تقر بهم أعينهما فى الدنيا ، ويدعون لهما بالمغفرة والرحمة بعد رحيلهما .

وهذا البر للوالدين له آثار جليلة يظفر بها الأولاد البررة ، حسبى أن أذكر منها :

– أنه امتثال لأوامر الله تعالى بالبر بالوالدين ، وفى امتثال تلك الأوامر الفوز بالمثوبة والأجر ، فوق راحة الضمير ، واستشعار نعمة الامتثال لأوامر الله .

– أنه امتثال لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم فى أحاديثه الكثيرة التى أمر فيها ببر الوالدين ، وفى ذلك ما فيه من السعادة بإرضاء الرسول صلى الله عليه وسلم بتنفيذ أوامره ، للفوز برضاه وشفاعته .

– فوز البارين بِـرِضَا الله الذى هو غاية ما يصبو إليه المؤمنون ، وفى ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « رضَا الرب فى رضا الوالدين، وسَخَطُ الرب فى سَخَطِ الوالدين »[(١)] .

– نَيْلُ أعلَى درجات الجنة ، كما جاء فى الحديث الشريف : « العَبْدُ المُطِيعُ لوالِديهِ والمطيعُ لِرَب العالمين فى أَعْلَى عِليين »[(٢)] .

– بلـوغ منزلة المجاهد فى سبيل الله ، فعـن عبد الله بن عمرو قـال : «قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم : أجاهد ؟ قال : أَلَكَ أَبَوانِ ؟ قال : نعـم . قال فـفِـيـهما فَجاهِدْ»[(٣)] .

– تكفير الذنوب : أتـى النبى صلى الله عليه وسلم رجل ، فقال : «إنى أذنب ذنبا

---

(١) رواه الترمذى موقوفاً ومرفوعاً ، والحاكم ، وقال : على شرط مسلم .

(٢) أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس .

(٣) رواه البخارى .

عظيما ، فهل من توبة ؟ فقال : هل لك من أم ؟ وفى رواية: هل لك والدان ؟ قال : لا. قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرها » (١) .

- وفوق ذلك يؤدى بر الوالدين إلى زيادة الرزق ، وطول العمر : قال صلى الله عليه وسلم : « من أحب أن يُبْسطَ له فى رِزْقِه ، ويُنْسَأَ له فى أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَه» (٢).

- بـر الأبناء آباءَهـم يؤدى إلى بر أبنائهم بهم ، قال صلى الله عليه وسلم : « بِروا آباءَكم تَبَرَكم أبناؤكم ، وعِفوا تَعِف نساؤُكم » (٣) .

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو بر الوالدين فى حياتهما ، وتلكم هى صُوَرُه وآثاره ، فهل ينقطع برهما بموتهما ؟

سأل رجل النبى صلى الله عليه وسلم : هل بَـقِـىَ من بر أَبَوَىَّ شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم ، الصلاةُ عليهما ، والاستغفارُ لهما ، وإنفاذُ عهدهما من بعدهما ، وصِلَةُ الرحِم التى لا تُوصَلُ إلا بهما ، وإكرام صديقهما (٤) .

فَبِر الوالدين - إذَنْ - لا ينقطع بموتهما ، وله صور كثيرة : منها ما أشار إليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى هـذا الحـديث ، ومنها مـا أشـار إليه فى أحاديث أخرى ، إذ يقول صلوات الله وسلامه عليه :« إذا مات ابنُ آدَمَ انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ به ، أو وَلَدٍ صالحٍ يدعو له » (٥) ، ويقول : «استغفارُ الولد لأبيه من بعد الموت من البر » (٦) .

وهكذا نرى أن بر الوالدين لا يقف عندهما ، بل يتجاوزهما إلى الأقارب والأصدقاء والأحباب :

---

(١) رواه الترمذى ، وابن حبان ، والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد .
(٢) متفق عليه .
(٣) رواه الطبرانى بإسناد حسن .
(٤) رواه أبو داود ، وابن ماجه ، وابن حبان فى صحيحه .
(٥) رواه مسلم .
(٦) رواه ابن النجار .

عن عبد الله بن عمر رضى الله عنه قال : « إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أَبَر الْبِر صِلَةُ الرجلِ أهلَ وُد أبيه » .

أيها الإخوة المؤمنون ، لعلنا بعد أن تذاكرنا معاً بعض ما جاء فى القرآن والسنة عن بر الآباء نكون قد أدركنا مدى أهميته ؛ لنعمل جاهدين على بر آبائنا أحياءً وأمواتاً، وفقا للمنهج القويم الذى اختاره لنا الله ورسوله الكريم ، لعل الله يصلح لنا دنيانا التى فيها مَعَاشُنا ، وآخِرَتَناَ التى إليها معادنا ، ويتقبلنا بقبول حسن ، ويمنحنا عفوه ورضاه وجنات النعيم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، واسألوه من فضله .

عقوق الوالدين

الحمد لله الذى أتم علينا نعمته ، ورَضِىَ لنا الإسلامَ دينا ، وأشهدُ أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أمر ببر الوالدين ، ونهى عن عقوقهما ، إعظاماً لحقهما ، وتكريماً لهما ، وأشهدُ أن محمداً عبده ورسولُه، أعظمُ الناس خُلُقاً ، وأوفاهم بِرا ، وأَسْمَاهُم منزلة وشرفاً ، اللهم صَل وسَلمْ وبارِكْ عليه ، وعلى آلِه وصحبه ، ومَنْ سَلكَ طريقَهم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، لقد تناولتُ من قبل موضوع بر الوالدين ، ولعل مِنْ كَمالِ الفائدة أن أتحدث الآن عن عقوقهما ، حيث شاع فى هذه الأيام ، حتى كاد يُصبح ظاهرةً من الظواهر الاجتماعية المشينة التى يأباها الإسلام !

عقوق الوالدين هو ضِد برهما ، أى هو الإساءَةُ إليهما بِقَوْلٍ أو فِعْلٍ ، وإهمالُ حقوقهما ، والتقصيرُ فى شأنِهما ، والخروجُ عن طاعتهما ، وهو من أعظم الكبائر والآثام، ومِنْ ثَم نَهى الله تبارك وتعالى عنه ، حيث يقول:

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾(١) .

هذا ، ولعقوق الوالدين مظاهر كثيرة ، وصور شتى تشمئز منها النفوس ، وتَقْشعر الأبدان ، وحسبى أن أذكر منها :

-رفع الابن صوته على أبويه صورة نكراء من صور العقوق، وأبشع منها تَـأَفُّفُـه منهما ، وإِظْهارُ ضِيقه وضجره بهما ، ونَهْرُهُما، قال الله تعالى ناهياً عن ذلك لما فيه من

---

(١) سورة الإسراء : ٢٣ .

إيذاء نفسي وأسًى لهما: ﴿فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾.

- كما أن تكَبُّرَ الولد على أبويه وتعاليه عليهما بما ناله من عِلْم أو غِنًى أو جاهٍ أو مَنْزِلَة أو سُلْطَة - عقوق أى عقوق ! لأنه - فوق ما يبعثه فى أنفسهما من خيبة أمل فيه - يخالف ما أمره الله تعالى به من التواضع وخَفْضِ الجناح لهما فى قوله :

﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾[1].

أَنَسِيَ ذلك الولدُ العاق أنه لولاهما لما كان له وجود ، وأن لهما فضلاً كبيراً فيما وصل هو إليه ، بإنفاقهما عليه ، وتضحياتهما من أجله ، وإيثارهما إياه على أنفسهما بكل شىء ؟ !

-والسخرية منهما لجهلهما أو فقرهما أو مرضهما أو ضعفهما أو ضآلة منزلتهما أو كبرهما - هى الأخرى صورة أخرى بشعة من صور العقوق ، نراها - للأسف - فى بعض المجتمعات الإسلامية ، إذْ كيف يسخر الابنُ من أبويه وقد نهى الله تعالى عنها مع غير الأبوين ، فهى معهما أشد نكْراً وأضل سبيلاً ، استمع إليه تعالى إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾ [2].

- وأيضاً تكليف الأبناء أبويهما فوق ما يُطيقانه عقوق ، وذلك بإثقالهما بالمطالب التى لا قِبَلَ لهما بها ؛ مما قد يضطرهما إلى الاستدانة أو السرقة أو الرشوة أو الاتجار فى المحرمات ؛ ليحصلا على ذلك المال الذى قد لا ينفقه أولئك الأبناء إلا فى المظاهر الكاذبة ، أو المتع المحرمة ، أو غير ذلك مما يجلب لهم سخط الله وغضبه وعقابه الأليم!

إن ذلك التكليف نوع من القسوة التى تتنافى مع ما أُمِروا به من رحمة منهم لهما، ومن طلبها لهما من الله تعالى :

﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.

---

(١) سورة الإسراء : ٢٤ .

(٢) سورة الحجرات ـ من الآية : ١١ .

– وإذا كان شتم الأبوين من العقوق فإن التسبب فيه عقوق أيضاً ، بل إحدى الكبائر ، صرح بذلك المعصوم صلوات الله وسلامه عليه فى قوله : « إن مِنْ أكْبرِ الكَبائرِ أَنْ يَلْعَنَ الرجُلُ والِـدَيْـهِ ـ قيل : يا رَسُولَ الله ، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ والِدَيْـه ؟ قَالَ : يَسُبّ أَبَا الرجُلِ ، فيسب أَبَاهُ، ويسب أمه ، فيسب أمه » [١] .

– بل إن مجرد حِدّةَ النظر إليهما عقوق ، لقول سيد الخلق صلوات الله وسلامه عليه : « ما بَر أَبَاهُ مَنْ شَد إليه الطرف بالغضب » [٢] أى : من نَظَرَ إليه نظرةَ غَضَبٍ وغيظ .

– أما امتداد اليد إليهما بالضرب أو القتل – والعياذ بالله – فهو غاية العقوق ، وذروة الجحود ، ومَجْلَبَة لسَخَطِ الله وغَضَبِه وعذابه الأليم !!

أيها الإخوة المسلمون ، هذه بعض صور العقوق التى نشاهدها ونسمع أو نقرأ عنها، وقد يتبادر إلى الذهن سؤالان هما : لماذا نَهَى الله تعالى عن العقوق ؟ وما جزاء العاق فى الدنيا وفى الآخرة ؟

أما إجابة السؤال الأول فهى أن الله تعالى نهى عن العقوق ، حفظاً للوالدين، وصَوْناً لكرامتهما ، وتقديراً لهما ولدورهما العظيم الذى يقومان به نحو الأبناء ، وتضحياتهما فى سبيل تربيتهم ، وتنشئتهم تنشئة صالحة سليمة ، وحفظاً للأولاد من أن ينالهم غضب الله وسخطه ولعنته فى الدنيا والآخرة .

كما نَهَى الله عن العقوق صيانة للمجتمع الإسلامى وتقوية له ، حتى يكون مجتمعاً متواصلاً ، متراحماً ، مُتعاوناً ، يسوده البر والخير ، وتختفى منه الآفات النفسية التى تورد صاحبها موارد الهلاك ، ولا شك أن المجتمع إذا كان على هذه الصورة يزدادُ تَقَدمه، وتطرِدُ نهضته ، ويصفُو جوه ، وتعلو عِزتُه ، ويكون من أرقى المجتمعات وأقواها وأسعدها : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [٣] .

وأما إجابة السؤال الثانى الخاص بجزاء العاق فى الدنيا والآخرة فهى أن العقوق يجر على صاحبه مصائِبَ وعقوباتٍ شنيعة ، أكتفى بالإشارة إلى بعضها :

– استحقاق العاق لارتكابه ما نهى الله تعالى عنه ـ العقوبة العاجلةَ فى الدنيا ؛

(١) متفق عليه .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) المنافقون ـ من الآية : ٨ .

لقولـه صلى الله عليه وسلم : « كل الذنـوبِ يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين ، فإن الله يعجله لصاحبه فى الحياة قبل المات » (١) .

- استحقاقه اللعن والطرد من رحمة الله تعالى ، وذلك بنص قوله صلى الله عليه وسلم : « مَلْعُونٌ مَنْ عَق وَالِدَيْـهِ » (٢) .

- حرمانه من دخول الجنة ، لقـول هادى الخـلق صلى الله عليه وسلم: « ثلاثةٌ حرّمَ الله تبارك وتعالى عليهـم الجنة : مُدْمِنُ الخَمْرِ ، والعَاق ، والديوثُ الذى يُـقِرُّ الخَبَثَ فى أَهْلِهِ » (٣) .

- يُعَاقَبُ عقوبة مرتكبى الكبيرة ، إِذْ العقوق إحدى الكبائر ، كما أسلفْتُ ، استمعوا إلى قول البشير النذير صلوات الله وسلامه عليه إذ يقول : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا : بَلَى يا رَسُولَ الله . قـال : الإشراك باللـه ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئا فجلس فقال : ألا وقول الزورِ ، وشهادة الزورِ ،فما زال يُكررهَا حتى قلنا : لَيْتَهُ سَكَتَ»(٤) .

أيها الإخوة المسلمون - هذا عقوقُ الوالدين ، وهذا هو جَزاؤُه عند أعْدَلِ الحاكمين ، ولولا أثره الشنيع فى تقويض المجتمع لما لقى هذا الاهتمام من الله تعالى ورسوله الأمين .

لعله مما يجدر بى قبل أن أبرح هذا المنبر أن أوجه نداءين : أحدهما إلى الأبناء ، والآخر إلى الآباء ، لعل الاستجابة لهما تقلل العقوق ، وتسد الفجوة التى صنعتها الحياة المعاصرة بين الأبناء والآباء .

أما الأبناء فأقول لهم : يأيها الأبناء ، رِفْقاً بالآباء ، بِرُّوهم، واتقُوا الله فيهم ، واجْزُوهُم بإحسانهم إليكم إحساناً ، وقدروا ظُروفَهم ، ولا تُكلفُوهُم مالا يُطيقون ،

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) رواه أحمد ، والنسائى ، والبزار ، والحاكم .
(٤) متفق عليه .

والتمسوا لهم الأعذار إِذَا عَجَزُوا عن تَلْبِيَةِ رغَباتِكُم ، فقلما رفض أب إجابة طَلَبِ لابنه وهو يقدر عليه ، بل إن الآباء يتنافسون فى تحقيق رغبات أبنائهم الصادقة ، وما أسعدهم حين يرون أبناءهم فى سعادة ورُقِى ومَنْزِلَةٍ وجَاه !! وما أشقاهم إذا رأوهم دُونَ ما يتمنون لهم من عِز ومجد وعظيم آمال !!

وأما الآباء فأقول لهم : رَبوا أولادكم منذ نُعومَةِ أظفارهم على منهج الإسلام وتعاليمه وقِيَمِه وسلوكه ، ونَشِّئُوهم على الفضائل ، وحذِّروهم من الرذائل . رَبُّوهُم على تقوى الله ، عَلِّموهم الصدق ، والأمانة ، والوفاء ، والمروءة ، والتضحية ، والفداء.

اغرسوا فى نفوسهم الرحمة والحنان ، وفى قلوبهم حب الله ورسوله والمؤمنين، وحب الخير لهم وللناس أجمعين ، نفروهم من كل صُوَرِ الشَّر: من الحقد ، والحسد ، والقسوة، والانتقام ، والأنانية ، والطمع.

كونوا لهم قدوة حسنة عقيدةً وأخلاقاً وسلوكاً ؛ لأنهم بكم يتأثرون ، وعلى دَرْبِكُم يسيرون ، لالتصاقهم بكم ، وحاجتهم إليكم ، وإعجابهم بكم .

وإياكم أن تدللوهم ، فإن التدليل الذى تظنونه إحساناً إليهم ما هو إلا إساءة تقدمونها لهم من حيث لا تشعرون ، فالولد المدَلَّلُ يعجز عندما يستقل بحياته عن تَحَملِ مسئولياته ، والقيام بشئونه ، ويطمع أن يَلْقَى من المجتمع ما عَودَه آباؤه عليه من تدليل ، وتهتز شخصيته ، ويصعب عليه التكيف مع مجتمعه .

أَحْسِنُوا معاملتهم ، وبروهم حتى يبروكم: ﴿ **هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ** ﴾[1] .عامِلُوهم فى كل مرحلة من مراحل نموهم بلون المعاملة التى تقتضيها هذه المرحلة ، وراعوا الظروف التى يعيشون فيها الآن ، فما أكثر المتغيرات التى تتلاحق هذه الأيام !

لا تجبروهم على أن يكونوا نسخاً مطابقة لكم ماداموا على الطريق الصحيح ،

(١) سورة الرحمن : ٦٠ .

obeikandi.com

والمنهج القويم ، فزمانُهم غير زمانكم ، والمتغيرات التى طرأت على مجتمعاتهم لم تشهدها مجتمعاتكم .

لا تحملوهم على أن يعقوكم بقسوتكم عليهم ، أو بحرمانهم من متطلبات حياتهم وهم يرونكم قادرين على تحقيقها ، أو بالتفرقة بينهم فى معاملتكم لهم ، أو بتفضيل بعضهم على بعض ، أو غير ذلك من ألوان المعاملة التى تساعد الشيطان على أن يزين لهم عقوقكم ، احموهم بحسن معاملتكم والعدالة بينهم من العقوق ، ومن تعجيل عقوبته لهم فى الدنيا عقوبة تضطرب بها حياتهم ، ويضيع مستقبلهم ، وتهتز شخصياتهم ، مما يجلب لكم أنتم أيضاً التعاسة وخيبة الآمال !

هدانا الله وإياكم سواء السبيل ، وأعاننا على بر آبائنا ، وأعان مَنْ بقِىَ منهم على برنا ، إنه على ذلك قدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com

الكلمة الطيبة صدقة

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له الرحمن ، علم القرآن ، خلق الإنسان ، علمه البيان ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الذى كان أطيب الناس كلاما ، وأعذبهم منطقا ، وأعلاهم بلاغة وبيانًا ، وأصدقهم قولاً إذْ قال عن نفسه : « أنا أفصح العرب، بَيْدَ أنى من قريش ، ونشأتُ فى بنى سعد » ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه ما دامت السموات والأرضون وما فيهن .

أما بعد – أيها الإخوة المسلمون – فإن الله تعالى قال: ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون (٣٠) وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين (٣١) قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم (٣٢) قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون ﴾ (١) .

لما أراد الله تعالى أن يجعل آدم وذريته خلفاءه فى الأرض ، يقومون عليها ويعمرونها ، ويعبدونه وينفذون شرائعه فيها ، وأعلمَ الملائكةَ ذلك قالوا : كيف تجعل فيها من يكون من بينهم المفسد و القاتل ، فيما نحن ليس بيننا من يفعل ذلك ، إذ

---

(١) سورة البقرة : من ٣٠ _ ٣٣ .

خلقتنا لتسبيحك وحمدك وتقديسك ، فأراد الله تعالى أن يبين لهم حكمته فى اختيار غيرهم لخلافته فى الأرض ، إذ علَّم آدم الأسماء كلها ، ثم عرض مسمياتها على الملائكة قائلا: ﴿ **أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ** ﴾ (أى بالكلمات الدالة على كل شىء من هذه الأشياء) ـ ﴿ **إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ فعجزوا وقالوا :﴿ **لا عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ إذ ذاك قال تعالى : ﴿ **يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾ صدق الله العظيم .

أيها الإخوة المسلمون ، لعلكم أدركتم مدى قيمة الكلمة ومنزلتها ، وأنه علمها آدم وذريته دون الملائكة ، وجعله بها فى مكانة عالية ، فقد خلقها الله تعالى لتمييز المحسوسات من المعنويات ، وتمييز بعض المحسوسات من بعض ، وبعض المعنويات من بعض ، كما جعل لكل كلمة ولطريقة إلقائها ردَّ فعل وتأثيرًا خاصًّا بها ، لقد جعل الله تعالى الكلمة وسيلة للاتصال و الفهم والإفهام و التعلم و التعليم ، وسيلة لاتصال الخالق بخلقه ، واتصال الخلق بخالقهم ، واتصال بعضهم ببعض ، فبها أنزل كتبه وشرائعه ، وبها دعا رسله وكل الدعاة إليه ، وبها تميز المؤمن من غيره ، وبها يكشف الناس عما تكن نفوسهم ، وبها توجَّه النصائح و التوجيهات، وبها تصاغ القوانين التى تنظم شئون الناس وعلاقة بعضهم ببعض ، وبها تتم العقود من بيع وشراء وزواج وطلاق ، وبها تؤلف الكتب و الموسوعات ، وتدون المعارف والمعلومات ، وبها ينتشر العلم وينفذ أمر الله تعالى بالقراءة ، وحث رسوله ﷺ على التعلم إلى آخر ماتؤديه الكلمة من دور فى الحياة .

ولما كانت للكلمة هذه المكانة ، وهذا التأثير فى نفس متلقيها سامعًا أو قارئًا وجب أن تكون كلمة طيبة صادقة نافعة ، حيِيَّة هادفة للخير ، مرادًا بها وجه الله تعالى الذى منحنا قدرة الكلام ، وعلّمنا ما لم نكن نعلم ، فالكلمة الطيبة صدقة ، كما يقول خاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ .

ومن نعمة الله علينا أن جعل الكلمة تنشأ فى النفس أول الأمر ، ثم تنتقل إلى اللسان ؛ ليكون أمام الإنسان فرصة اختيارها ثم اختيار نقلها إلى اللسان أو كتمها . قال الشاعر :

إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جُعِلَ اللسان على الفؤاد دليلا

فلْيترَوَّ كل منا ، ولْينظرْ فيما فى نفسه من كلام ويُقدِّر مدى تأثيره فى نفس متلقيه، فإن كان طيبا خيرًا نطقه وإلا فليكتمه ويسكت ، اتباعا لقوله ﷺ: « من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت »[١] وقوله: « رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم، أو سكت فسلم » .

ومجالات الكلمة الطيبه ومواقفها كثيرة : كأن تكون فى ذكر الله والإيمان به وعبادته وشكره ، أو فى الدعوة إليه وإلى صراطه المستقيم ، أو فى تقديم نصيحة ، أو فى إقناع متلقيها بأمر من الأمور الصالحة ، أو تطييب خاطره ، أو مواساته فى محنة ابتلىَ بها أو تهنئته فى مسرة ، أو شكره على صنع الخير ، أو شهادة حق فى أمر من الأمور، أو فى إصلاح ذات البين ، أو قيلت حقًّا عند سلطان جائر ، أو غير ذلك من مواقف الحياة التى تتطلب تلك الكلمة الطيبة .

ولقد ضرب الله تعالى مثلا للكلمة الطيبة وأثرها الجميل فى قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ** ﴾[٢] .

كما تحدث عن أثرها رسولنا ﷺ بقوله: « إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغَ ما بلغتْ يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه »[٣] .

أما إذا كانت الكلمة التى فى نفسه تافهة لا قيمة لها ، أو كانت خبيثة شريرة فعليه حبسها وعدم تكليف اللسان نطقها ، كأن تكون كاذبة ، أو مغتابة ، أو داعية إلى كفر

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة إبراهيم : ٢٤، ٢٥ .

(٣) متفق عليه .

أو منكر أو باطل أو فسوق وفجور وفحش ، أو شهادة زور ، أو شتمًا وذمًا ، أو سخرية واستهزاء لمن لايستحق ذلك ، أو مفسدة لما بين الناس ، أو داعيةً إلى قطع رحم ، أو مهيجة شرًّا ومحدثة فتنةً ، أو داعية إلى عقوق ، أو كانت مستفزةً جارحةً للمشاعر ، مؤذيةً للوجدان ، معكرةً للصفو ، أو غير ذلك من الكلمات التى لايرضاها الله تعالى ورسوله ﷺ .

وذلك لأن نطقها ليس وراءه إلا الضررُ له ولغيره ، والإفساد ، وتخريب النفوس، وإشاعة السوء والمعاصى فى المجتمع ، وجلب غضب الله تعالى ورسوله ﷺ على ناطقها .

قال تعالى فى تلك الكلمة الخبيثة وأثرها السيئ ووجوب اجتثاثها من المجتمع :

﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾(١) .

وقال ﷺ فى بيان أثرها : « ... وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغتْ ، يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه »(٢) .

وسأل عقبة بن عامر ـ رضى الله عنه ـ الرسول ﷺ قائلا : ما النجاة ؟ فأجابه ﷺ بقوله : « أمسِك عليك لسانَك » .

وقال ﷺ لمعاذ رضى الله عنه : « وهل يكبُّ الناسَ فى النار على وجوههم إلا حصائدُ ألسنتهم » ؟! .

ومما يلحق بالكلمة الخبيثة فى النهى عنها الكلمة ثرثرةً أو تشدقًا أو تفيهقًا أو استعلاءً ؛ لقوله ﷺ : « إن أبغضَكم إلىّ وأبعدَكم منى مجالسَ يوم القيامة الثرثارون المتشدقون المتفيهِقون »(٣) .

ولابأس بالكلمة إذا عبّرتْ عن طُرْفَةٍ من الطُّرَف ، إذهابًا لملل النفوس ، وتجديدًا لنشاطها ، على ألاّ تتجاوز حدَّ الاعتدال أو تخدشَ الحياء .

---

(١) إبراهيم : ٢٦ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

وغنيٌ عن البيان أن نقول : إن خير الأسماء أسماء الله الحسنى ، وخير الكلام كلام الله تعالى فى كتابه الكريم الذى أنزله على رسولنا ﷺ هدًى للمتقين ، فجاء آية فى الفصاحة و البلاغة ، تحدَّى بها الرسول ﷺ المشركين أن يأتوا بمثله أو بآية أو بسورة مثله ، فعجزوا ، وهم أرباب الفصاحة ، وأساطين البلاغة ، واعترفوا بهذا العجز ، قال تعالى :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (١) .

ولمنزلته هذه من البيان و البلاغة وسرعة وصوله إلى القلوب والعقول ، وشدة تأثيره ـ كان مشركو مكةَ يحرض بعضُهم بعضًا على تجنُّب سماعه ، وأن يلْغَوْا فيه إذا تلاه الرسول ﷺ ، وكان أبو جهل ـ لعنه الله ـ يقول : إذا قرأ محمد فَصِيحوا فى وجهه حتى لايدرى ما يقول ، قال تعالى فى ذلك:

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾ (٢) .

وأرسلتْ قريش عتبةَ بن ربيعةَ إلى الرسول ﷺ ليعرض عليه المال و السيادة والملك و العلاج مما زعموا أنه أصيب به من مس الجن ، مقابلَ تَرْكه دعوتَهم إلى دينه ، فلما انتهى من عَرْضِه ذلك قال له ﷺ : أَوَ فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال : نعم ، قال : فاستمع منى ، قال : أفعلُ ، فقال ﷺ :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ (١) تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٢) كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) ، ومضى يتلو من سورة فصلت ، فلما انتهى من قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ وثب عتبةُ ، ووضع يدَه على فَمِ النبى ﷺ وناشده بالله و الرَّحِم لَـيَسْكتنَّ ، ثم قال النبى ﷺ : « قد سمعت يا

(١) الإسراء : ٨٨ .

(٢) فصلت : ٢٦ .

(٣) آيات أول سورة فُصِّلَتْ .

أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك » ، فلما عاد إلى أصحابه قالوا : ماوراءك يا أبا الوليد؟ قال : إنى سمعتُ قولا ، والله ما سمعتُ مثلَه قطُّ ، والله ماهو بالشعر ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يامعشر قريش ، خلّوا بين الرجل وبين ماهو فيه ، فوالله لَيكونَنَّ لقوله الذى سمعتُ منه نبأ عظيم . ثم قال : هذا رأيى ، فاصنعوا مابدا لكم .

هذا هو كتاب الله تعالى - أيها الإخوة المسلمون ، كتاب ينطق بالحق ، ولم يفرط فى شىء ، وجُعل للناس كافة مثلما بُعِثَ من أُنزِلَ عليه ﷺ للناس كافة ، قرآنٌ فرّق بين الحق و الباطل ، فيه نبأُ مَن قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحكمُ ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قَصَمَهُ الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضلّه الله ، هو حبلُ الله المتين ، ونورُه المبين ، و الذكرُ الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لا تَزيغ به الأهواءُ ، ولاتلتبس به الألسنةُ ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولايشبع منه العلماء ، ولا يملُّه الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى عجائبه ، مَن قال به صدق ، ومَن حكم به عدل ، ومَن عمل به أُجِر ، ومَن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

أيها الإخوة المسلمون : أرونى كتابًا كهذا الكتاب الذى حفظه الله من لَدُنْ نزوله على رسوله الكريم ﷺ وسيظل محفوظًا إلى قيام الساعة .

أرونى كتابًا بلغ من جلاله وتقديسه ، وروعة ألفاظه ومعانيه وسُمُوّ موضوعاته ، ورُقىِّ أسلوبه ما بلغه هذا الكتاب .

أرونى كتابًا لايمل قارئه تكرارَه ، بل يزيده التكرار إغراءً بالتكرار كهذا الكتاب .

أرونى كتابًا بلغ من كثرة طبعاته وكثرة حَفَظَتِه فى صدورهم ما بلغه هذا الكتاب .

أرونى كتابًا فى طوله يُقدِر اللهُ تعالى طفلاً ذا خمس سنوات على حفظه كهذا الكتاب .

أيها الإخوة المسلمون ، أما الكلام الذى يلى كلامَ الله تعالى فى عُلُوِّ شأنه وروعته شكلاً ومضموناً فهوكلام رسولنا ﷺ ، الذى قال عن فصاحته : «أنا أفصح العرب

بَيْدَ أنى من قـريش ، ونشأتُ فى بنى سعـد » ، كما قـال: « أوتيتُ جـوامعَ الكَلِم » .
وقالـت عنه أم المؤمنين السيدة عـائشة رضى الله عنهـا : « كان كلام رسـول الله ﷺ كلامًا فَصلاً ، يفهمه كلُّ مَن يسمعه » (١) .

وحسبى لضيق المقام أن أقتطف لكم من بستان جـوامع كلمه قولَهُ : « إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امـرئ مانوى » (٢) و « مِنْ حُسْن إسـلام المرء تركُـه مالا يَعْنيـه » و«دعْ مايريبك إلى ما لا يريبك » و « لاضررَ ولا ضِـرارَ » و « خيرُ الأمور أوساطُها » و«الخير كثير ، وقليل فـاعِلُه » و « البـلاءُ مُـوَكَّـلٌ بالمنطق » ، و« مَنْ يحُم حـولَ الحمى يوشك أن يقع فيه » .

حقـاً ، لقـد صـدق ﷺ إذ قال : « تـركتُ فيكم مـا إن تمسكتم به لن تضلوا أبدًا ، كتاب الله وسُنَّتى » .

أيها الإخوة المسلمون ، بعـد كتاب الله وكلام رسوله ، داوِمـوا على قراءة الكلام الجاد النافع لكم فى دنيـاكم وأُخـراكم ، لحثّه تعـالى على القـراءة فى أول آية نزلت من القرآن : ﴿اقـرأ باسم ربك الذى خلق﴾(٣) ولحثّـه على العلم ورَفْعِـه درجـة العلماء: ﴿إِنَّمَـا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَـادِهِ الْعُلَمَـاءُ﴾(٤) ؛ لتنتشـر دعـوتُكم ، وتقـوى أمتُكم ، وتـرتفـع مكانتكم وتستحقوا قولَه تعالى فيكم :

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٥) .

قال ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : سبحان الله وبحمده ،سبحان الله العظيم » (٦) .

أقول قـولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم وللمسلمين فـاستغفروه وتوبوا إليـه ، إنه التواب الرحيم .

---

(١) رواه أبو داود .
(٢) رواه عمر بن الخطاب .
(٣) العلق : ١ .
(٤) فاطر : ٢٨ .
(٥) آل عمران : ١١٠ . (٦) متفق عليه .

أسباب الهجرة ومقدماتها

الحمد لله الذى حَبَّبَ إلينا الإيمان ، وكَرَّه إلينا الكُفْرَ والفُسوقَ والعصيان، وجَعَلَنا من الراشدين ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله الله بالهُدَى ودِينِ الحق ليُظْهِرَهُ على الدين كُله ولو كَرِهَ المشركون ، اللهم صَل وسَلمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه ، واجْزِهِ عنا خير الجزاء ، يارب العالمين.

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ **إلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ (١) .

تهب علينا فى هذه الأيام المباركة نسمات عاطرة ، قادمة من أعماق التاريخ ، تُذَكِّرُنَا بهجرة رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه من مكة إلى المدينة ، تلك الهجرة التى جاءت نقطة انطلاق وتحولٍ من الخوف إلى الأمن، ومن القلق إلى الطمأنينة والاستقرار، ومن الضعْفِ إلى القُوة ، ومِنَ القِلةِ إلى الكثرة ، ومن ضيق مجال الدعوة إلى السعة والانتشار ، ومن محاربة الإسلام ومعتنقيه إلى مناصرته وامتداد نوره ؛ ليضىء مشارق الأرض ومغاربها ، ولتقوم دولة التوحيد والشريعة السمحاء ، الداعية إلى الحرية ، والعدل ، والإخاء ، والمساواة ، والسلام ، والبر ، والرحمة ،

---

(١) سورة التوبة : ٤٠ .

والمودة ، وشتى القيم النبيلة ، والمثل العُليا التى تكفل سعادة البشرية جمعاء .

وإذا نحن - أيها المسلمون - حاولنا البحث عن أسباب الهجرات على مدار التاريخ وجدناها عديدة :

منها الهجرة طلباً للرزق ، ومنها الهجرة طلباً للعلم ، ومنها الهجرة تجديداً للنشاط وإزالة للمَلَل ، ومنها الهجرة للهو والعبث والاستمتاع بمتاع الحياة الدنيا . . إلى غير ذلك من الأسباب .

أما هجرة رسولنا صلى الله عليه وسلم هو وصحبه فكانت انتقالا بدعوة الوحدانية من مكانٍ واجَهَتْ فيه الكبت والظلم والقَهْر والعداء والصد إلى مكان آخر تجد فيه الحرية والحب والقوة والنصرة والتأييد والانتشار .

أجل ، فى سبيل نشر دين الله تعالى هَجَرَ الرسُول صلى الله عليه وسلم موطنه مكة - أَحَب بلاد الله إلى الله وإليه ، لما عانَى هو وصحبه فيها من صنوف القهر والتعذيب والاضطهاد والصد عن سبيل الله ـ هجرها إلى يَثْرِبَ التى سُميت فيما بعد بالمدينة المنورة، حيث النصْرَة والتأييد ، والمحبة والإيثار ، والسكينة والاستقرار !

ذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما بعثه الله تعالى إلى الناس كافة؛، ليأمرهم بعبادة الله وحده ، ونَبْذِ كل معبوداتهم من دونه ـ مَكَثَ ثلاث سنوات يدعو إلى الله سَراً ، ثم صَدَعَ بالدعوة :

﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[1] وسَلَك فيها سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالتى هى أحسن ، فآمن به بعضهم ، وأنكر عليه دعوته كثيرون ، وكَبُرَ عليهم أن يظهر فيهم من يدعوهم إلى تَرْكِ معبوداتهم مُسَفهاً عقولهم ، سابا آلهتهم، تالياً عليهم آيات يقول إنها تنزيل من الرحمن الرحيم ، فَرَمَوْهُ ـ زوراً

(١) سورة الحجر : ٩٤ .

وبهتاناً ـ بأنه مجنون ، وبأنه كاهن ، وبأنه شاعر ، وبأنه ساحر ، وبأن ما يقوله إنْ هو إلا أساطيرُ الأولين اكتتبها ، فهى تُملَى عليه بُكْرَةً وأَصيلاً ، مع أنه نشأ فيهم أميا لا يعرف القراءة والكتابة ، صادقاً أمينا بشهادتهم جميعاً ، حيث لقبوه بالصادق الأمين !

ولما لم يفلحوا فى إثنائه عما يدعو إليه أرسلوا إليه عمه أبا طالب ؛ ليعرض عليه ما يريدُ من مالٍ أو جَاهٍ وشَرَفٍ أو مُلْكٍ ، وأن يعالجوه إن كان به مس مِنَ الجن ، وذلك فى مُقابل تركه ما يدعو إليه ، فلم يكد عمه أبو طالب يعرض عليه هذه المغريات حتى قال قولته الخالدة ، التى مازال صداها يملأ أسماع الزمان : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى ، على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته » !!

ومضى فى دعوته بكل قوة وإصرارٍ ، واستمرت قريش فى الصد عن سبيل الله وفى إنزال كل صنوف البلاء بمن أسلموا ، وانتهاك كل حقوقهم الإنسانية !!

هال الرسولَ صلى الله عليه وسلم ما حل بأصحابه من اشتداد البلاء، ومُحاولة قريش فتنتهم فى دينهم مع عدم قدرته على حمايتهم من بطشهم ، فعرض عليهم أن يُهاجروا إلى الحبشة حتى يفرج الله عنهم ما هم فيه ؛ لأن بها ملكاً عادلاً ، فنفذ الاقتراح ثلاثة وثمانون رجلاً ، منهم من استصحب معه زوجته وأولاده الصغار ، وكان من بينهم عثمان بن عفان رضى الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعفر بن أبى طالب .

فلما رَأَتْ قريش أن هؤلاء المهاجرين قد اطمأنوا بالحبشة أفزعهم ذلك، وأقض مضاجعهم . فائتمروا فيما بينهم أن يُرسلوا رسولين منهم محملين بالهدايا إلى النجاشى؛ ليسلمهما هؤلاء المهاجرين الذين فارقوا دينهم ، ولم يدخلوا دين النجاشى، بل اتبعوا ديناً جديداً ، فدعاهم النجاشى ، وسألهم عن رسولهم وعما يدعو إليه ، فأجابه جعفر بن أبى طالب بكلمة أجمل فيها عقيدة الإسلام ومنهجه وأصوله وآدابه ، فقال النجاشى: « إن هَذَا والذى جَاءَ به عيسى لَيَخرُجُ مِن مِشْكَاةٍ واحِدَة ! » ثم قال لرسولى قريش :« انْطَلِقا ، فوالله لا أسلمهم إليكما » !!

وتمضى قافلة الزمان ، ويعز الله الإسلام بعمر بن الخطاب ، ويزداد فَزَعُ قريش ،

فتفكر فى عقد معاهدة تكون بمثابة حرب نفسية اقتصادية اجتماعية شنيعة ضد بنى هاشم ، حتى يسلموا إليهم محمداً ليقتلوه ، وأهم بُنُود هذه المعاهدة الجائرة : عدم تزويج بنى هاشم أو الزواج منهم، وعدم البيع لهم والشراء منهم !!

وتأكيدًا على أنفسهم بالتزامها كتبوها فى صحيفة ، ووضعوها فى جوف الكعبة .

... وتشتد معاناة المسلمين بسبب هذه المعاهدة الجائرة ، وتستمر تلك المقاطعة سنتين أو ثلاثاً ، لا يصل إلى الرسول ومن معه من المسلمين وآلِه شىء إلا سِرًّا ، مستخفيًا به من أراد صلتهم من قريش ... ثم تنهض بعض الضمائر من غفوتها ، وتفيق بعض القلوب من سكرتها ، فيستنكر أصحابها هذه المعاهدة الظالمة ، ويقررون تمزيق الصحيفة التى تتضمنها ، فيذهبون إليها ، ليُفَاجَئُوا بأن الأرضة قد أكلتها ، ولم يَبْقَ منها إلا « باسمك اللهم » !!

وتتوالى الأيام حتى يأتى العام العاشر من البعثة ، ليبْتَلَى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم بفقد أعز نصيرين له : زَوْجِه خديجة التى آزرته ، وواسته بمالها ، وكانت أول من آمن به من النساء ، ووقفت معه فى أحلك الظروف ، وأنجبت له كل أولاده إلا إبراهيم الذى كان من مارية القبطية .

وقبل أن يفيق من هذه الغاشية ابتلى بفقد عمه أبى طالب الذى كفله صغيرا ، وحماه وناصر دعوته كبيرًا !!

يالها من كارثة تزلزل أقوى الكيانات ! أفى تلك الفترة القصيرة يفقد محمد صلى الله عليه وسلم ـ وهو فى أشد الحاجة إلى النصراء ـ أقوى مؤيدين له ؟!

ظنت قريش أن أمر محمد وصحبه قد هان ، وإِنْ هى إلا جولة معهم حتى تقضى عليهم وعلى دينهم ، اشتدوا فى إيذائهم ، حتى ينالوا منهم ما لم ينالوه فى حياة أبى طالب وخديجة ...

ويحاول الرسول أن يلتمس مخرجاً من هذا الضيق ، فيبحث عن نصراء جددٍ يحمونه من قُريش ، ويخرج إلى الطائف ؛ التماسًا لِنُصْرَة ثَقِيفٍ ، ولكنها تُخَيبُ رجاءه ،

وترده ردًّا قبيحاً ، وتغرى به سُفاءَها وعبيدها ، يسبونه ويصيحون به ، ويرمونه بالحجارة ، حتى اجتمع إليه الناس ، وألجئوه إلى حديقة لعتبة وشيبة ابنى ربيعة ، ورجع عنه من كان يتبعه من سُفهاء ثقيف !!

ولما اطمأن فى مجلسه والدنيا أمامه أضيق من سم الخياط لم يجد تنفسياً عما به من كرب إلا أن يرفع شكواه إلى مُفَرج الكروب ، بتلك العبارات التى صورت همه وغمه أصدق تصوير ، ووعاها لنا التاريخ ، وحفظتها الدنيا ؛ لنُرددها كلما عجزنا عن مواجهة الهموم والظلم والظالمين : « اللهم إنى إليكَ أشكُو ضَعْفَ قُوتِى ، وقِلةَ حِيلَتِى ، وهوانى على الناسِ ، يا أرْحمَ الراحمين ، أنتَ رَب المستضعفين ، وأنت ربى ، إلى مَنْ تكلنى ؟: إلى بعيدٍ يتجهمنى ؟ أَمْ إلى عَدُو ملكتهُ أمْرِى ؟ إن لم يكن بكَ عَلَىَّ غضب فلا أُبَـالى ، ولكن عافِيتَكَ هى أوسع لى ، أعوذُ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات، وصَلَحَ عليه أمرُ الدنيا والآخرة مِنْ أن ينزل بى غَضَبُك ، أو يحل علىّ سَخَطُك ، لك العُتْبىَ حتى ترضَى ، ولا حول ولاقوة إلا بك » !

ثم يتجه راجعاً إلى مكة كاسف البال حزيناً ،لا يجرؤ أن يدخلها وحده ؛ خوفاً من بطش المشركين به ، فيلجأ إلى من يجيره وهو يدخلها ، فيتهرب منه من يتهرب ، ولا يجرؤ على ذلك إلا المُطْعِمُ بن عَدِىّ ، فيدخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة فى جواره وحمايته ، ويطوف بالبيت حتى تهدأ نفسه ..

ثم إنه صلوات الله وسلامه عليه كان لا يدع فرصة يفد فيها أى وفد إلى مكة إلا انتهزها لدعوتهم إلى الإسلام .

فلما أراد الله تعالى إعزاز دينه ، وإنجاز وعده له ، خرج صلى الله عليه وسلم فى الموسم ، فلقى عند العَقَبة ستة نفر من الخَزْرَج ، وعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن فأجابوه ، وقالوا : إنا تركنا قومنا ـ الأوس والخزرج ـ ولا قَوْمَ بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، وعسى أن يجمعهم الله بك ، فسنعود ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين ، فإن يجمعهم الله بكَ فلا أحد أعز منك !!

ولما رجعوا إلى قومهم دعوهم إلى الإسلام ، حتى فَشَا فيهم ، واستبشر الرسول صلى الله عليه وسلم خيراً .

ثم فى موسم الحج التالى وفد إلى مكة اثنا عشر رجلاً من يثرب : اثنان من الأَوْس ، وعشرة من الخزرج، فالتقى بهم الرسول صلى الله عليه وسلم سرا بالعقبة ، فأعلنوا إسلامهم ، وعاهدوه على ألا يُشركوا بالله شيئاً ، ولا يسرقوا ، ولا يزنوا ، ولا يقتلوا أولادهم ، ولا يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ، ولا يعصوا الله فى معروف، ثم عاهدهم على كتمان أمرهم عن قريش ، ووعدهم باللقاء فى العام المقبل ، وأرسل معهم مُصْعَبَ بن عمير ، يُقرئهم القرآن ، ويفقههم فى الدين .

ثم فى الموسم التالى وفد على مكة ثلاثة وسبعون من مسلمى الأوْس والخَزْرَج ، منهم امرأتان ، فاجتمع بهم الرسول صلى الله عليه وسلم سراً عند العقبة ، وبايعوه على أن يَمْنَعُوهُ مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم .

وهنا يكون أمر الهجرة قد أصبح وشيكاً ؛ لأن مقدماتها قد اكتملت، ولم يبق إلا أن يأتى الوحى بها ، ولنا عَوْدُ فى الخطبة التالية إن شاء الله ؛ لنتناول ما تم من أمرها .

أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

الهجرة

الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِل له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هَادِيَ له ، وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق بشيراً ونذيراً بين يدى الساعة ، اللهم صَل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ، ومن اقتدى به إلى يوم الدين .

أما بعد ، أيها المسلمون ، فقد وقفنا فى الخطبة السابقة عند مبايعة ثلاثة وسبعين من مسلمى الأوس والخزرج الرسول على أن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم ، والآن تعالوا معى لننظر صَدَى ذلك فى قريش .

إنها عند ما علمت ذلك مادَتْ بها الأرضُ ،وزُلْـزِلَتْ زلزالها ، إذْ فقدت أعصابها، واشتعل غَضَـبُهَا ، وفزعـت لما قـد تتعرض لـه قوافلها التجارية الذاهبة إلى الشـام مـن أذًى عند مـرورها بالمدينة التى انتشر فيها الإسلام ، وصارت ملاذاً وحِصْناً ومستقراً آمنا للمسلمين ، فتزيد قريش من إيذائها للمسلمين ، حتى تبلغ حالهم غاية السوء !

إذْ ذاك لم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم بُدًّا من أن يأمر المسلمين بالهجرة إلى المدينة قائلاً لهم : إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً ودارًا تأمنون بها ، فأخذوا يُهاجرون إليها جماعاتٍ وأفرادًا متتابعين ، وبقى هو بمكة ، منتظراً أن يأذن الله تعالى له هو أيضاً بالهجرة ، ولم يبق معه بها إلا أبو بكر ، وعلى بن أبى طالب وزيد بن ثابت، وصهيب الرومى ، وقليل من المستضعفين الذين لا يستطيعون الانتقال ، وقد رسمت العناية الإلٰهية لكل من أبى بكر وعلىٍّ الدورَ الذى سيقوم به عند هجرته ﷺ .

... ويزداد فزع قريش من قوة أمر المسلمين ، فيجتمع أشرافها فى دار الندوة ، ويقول قائلهم : إن محمداً قد جاوز مكة إلى يثرب ، فهاهم أولاء أصحابه قد هاجروا

إليها ، ولسوف يلحق بهم ، ثم بعد أن يقوى هناك يعود إلى حربنا والقضاء علينا ، فماذا أنتم فاعلون لمواجهة هذا الخطر الداهم ؟

وهنا يتنافسون فى إبداء المقترحات : فمنهم من أشار بحبسه بمكة ، فَيُرْفَضُ اقتراحُه، ومنهم من أشار بنفيه ، فَتُرَد مشورته ، وهكذا تتوالى الآراء وترفض واحداً بعد آخر ، حتى يأتى دور الطاغوت أبى جهل ، فيرى أن يأخذوا من كل قبيلة فَتًى جَلْدًا نسيباً ، ويعطوا كل واحد منهم سيفاً صارماً ؛ ليضربوه ضربة رجل واحد ، فيقتلوه ويستريحوا منه ، ويتفرق دمه فى القبائل ، فلا يقدر بنو عبد مناف على حربهم جميعاً ، ويرضون بقبول ديته !!

ويجد هذا الرأى الخبيث موافقة وتأييداً ، ويبدأ العمل فى تنفيذه ..

وما كان رَب محمد ودعوته ليتخلى عنه ، حتى يلقى هذا المصير الذى توهموه ، بل أوحى إليه بما دبروا ، ﴿ **وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ** ﴾ (١) ، وأمره بالهجرة إلى المدينة ، وألا يبيت فى داره هذه الليلة ، فَأَعْلَمَ الرسول صلى الله عليه وسلم صاحِبَهُ أبا بكر بذلك ، ففرح لتحقيق أمنيته ؛ لأنه طالما تعجل هذه الهجرة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يؤجلها، وأعد لذلك راحلتين ، كما اتفق الرسول صلى الله عليه وسلم مع على ابن أبى طالب عَلَى أن ينام مكانه صلى الله عليه وسلم ، وفى الصباح يرد الودائع التى عند الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أصحابها ، ثم يلحق به إلى المدينة .

وشرع المشركون فى تنفيذ خطتهم ، فأحاطوا ببيت الرسول صلى الله عليه وسلم مدججين بالسلاح ، منتظرين خروجه للقضاء عليه ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم يخرج فى منتصف الليل ، ناثراً حفنة من التراب على رءوسهم أعمتهم عن رؤيته، مُرَددًا قوله تعالى : ﴿ **وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ** ﴾ (٢).

---

(١) سورة الأنفال : ٣٠ .

(٢) سورة يس : ٩ .

ثم انطلق فى حراسة الله تعالى إلى أبى بكر ، وخرجا من خَوْخَة (أى نافذة) فى داره، وسارا حتى وصلا إلى غار ثور واختبأا فيه .

أما الفتية المتربصون بالرسول صلى الله عليه وسلم فقد أتاهم آتٍ ممن لم يكن معهم ، فقال لهم : ما تنتظرون هاهنا ؟ قالوا : محمداً ، قال : خيبكم الله ! قد- والله - خرج عليكم محمد ، وانطلق لحاجته !!

ولما علمت قريش ذلك استشاطت غضباً ، وتميزت من الغيظ ، فذهب أبو جهل إلى دار أبى بكر ، فسأل أسماء بنته عنه ، ولما قالت له : لا أدري - لطمها على وجهها، ثم خرج مع قومه يقتفون الأثر ، حتى وصلوا إلى غار ثور ، فبدا لهم غاراً مهجوراً لم تطأه قدم ، فعادوا إلى مكة، وجعلوا مائة ناقة لمن يدلهم على محمد ، فوافق سُراقة بن مالك على ذلك.

أما الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه فقد مكثا فى الغار ثلاثة أيام ، يمر عليهم عامر بن فُهَيْرَة مولى أبى بكر بالأغنام ، فيحتلبان ويشربان ، ويأتيهما عبد الله بن أبى بكر بالأخبار ، كما تأتيهما أسماء بنت أبى بكر بالطعام ، ثم أتاهما عبد الله بن أُرَيْقِط بالراحلة ، فخرجا متجهين إلى المدينة ، وأبو بكر يتلفت أمامه وخلفه خائفاً يترقب ، حتى أدركهما سُرَاقَة ، وما إن اقترب منهما حتى عثر فرسه ، وساخَتْ قوائمه فى الأرض، فأدرك أن محمداً ممنوع منه ، ومعصوم من الأذى ، فاستغاث على ألا يخبر قريشا بشىء مما رأى ، فدعا له الرسول صلى الله عليه وسلم، فعاد ولم يقل لقومه شيئاً !!

... ويواصل الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه سيرهما ، حتى يصلا إلى المدينة بعد اثنى عشر يوماً ، ويُسْتَقْبَلا فيها أحر استقبال ، ويشق عنان السماء نشيد ذلك الاستقبال الرائع :

طلع البدرُ علينا   مِن ثَنِياتِ الوداعْ
وجَبَ الشكرُ علينا   ما دَعا لله دَاعْ
أيها المبعوث فينا   جئتَ بالأمرِ المطاعْ
جئت شرفتَ المدينهْ   مرحباً يا خَيْرَ داعْ

بعد هذا الاستقبال الرائع الذى عبر به أهل المدينة عن مدى فرحتهم بمقدم

obeikandl.com

الرسول صلى الله عليه وسلم استقر عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وبنى مسجد قُباء ، وسَمى من جاءوا من مكة بالمهاجرين ، كما سمى أهل المدينة أنصاراً ، وآخى بين المهاجرين والأنصار فى صورة مشرقة من التكافل والتعاون الاجتماعى لم يسبقه إليها أحد منذ كانت البشرية ، إذْ يُؤْثِرُ الأنصارُ إخوانَهم المهاجرين على أنفسهم إيثارًا نَوَّه الله تعالى به فى قوله : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(١) .

.. ويزداد الرسول صلى الله عليه وسلم استقراراً ، فيوجه اهتمامه إلى تكوين الدولة الإسلامية ، القائمة على أساس المنهج الربانى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والذى ينظمها ، ويكفل لها الحرية ، والعدالة ، والإخاء ، والمساواة ، والسلام ، والمحبة ، والإيثار ، والوفاء ، وسائر المبادئ والقيم التى تضمن لها الأمن والاستقرار والرخاء والسعادة...

ويأذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بالقتال للدفاع عن العقيدة ونشرها ، لا للسيطرة والتوسع والاستغلال والظلم والقهر والاستعباد ، فيغزو فى سبيل الله ، مؤيداً بنصره العزيز ..

وتتحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة !!

... وتمضى الأيام حتى يأتى العام الثامن الهجرى ، فيدخل مكة فاتحاً ، وهو يتلو قول الله تعالى : **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا (١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢) وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا** ﴾(٢) .

ويتوجس أهلها المهزومون خِيفَةً فى أنفسهم ، وربما ظنوا أن ذلك المنتصر قد تدفعه نشوة الانتصار إلى الانتقام ممن آذَوْهُ هو ومَنْ دخلوا فى دينه حتى أخرجوهم من ديارهم !

---

(١) سورة الحشر : ٩ .
(٢) سورة الفتح : من ١ ـ ٣ .

ولكنه صلى الله عليه وسلم بِخُلُقه العظيم ، وما جُبِلَ عليه من حِلْم وصَفْح لم يشأ أن يُحَطِّمَ أعصابهم بطول الترقب ، فوقف على شَرَفٍ(مكان عالٍ) وقال : « يا معَشْرَ قُريش ، ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخٍ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !! » .

ثم فى العام العاشر من الهجرة يخرج للحج ، ويخطب الناس وهو بعرفة ـ وكان يوم جمعة ـ خطبة جامعة تتضمن كثيراً من أصول الإسلام وقيمه ومبادئه ، وينزل عليه عشية هذا اليوم ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا** ﴾ (١) .

ثم فى نفس العام يلقى ربه راضياً مرضياً ، بعد أن أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وتركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ، واجزه عنا خير الجزاء ..

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، فإنه لا يرد التائبين .

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية : ٣ .

دروس وعظات من الهجرة

الحمد لله الذى هدانا إلى صراطه المستقيم ، وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، إنه هو البر الرحيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أعز بنصره المؤمنين ، وأذل الشرك والمشركين ؛ ليعلى كَلِمَتَـى الحق والدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قدوة الدعاة والمصلحين والمجاهدين الصابرين ، اللهم صَل وسلم وبارِكْ عليه وعلى آله وأصحابه الغُر الميامين ، صلاة وسلاماً وبركات دائمات إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، تحدثنا فى الخطبة السابقة عن هجرة خاتم المرسلين من مكة إلى المدينة ، بعد أن لقى من ظلم المشركين وعنتهم وطغيانهم وتعذيبهم ومطاردتهم هو والذين آمنوا معه ما يفوق الاحتمال ، ويعجز عن تصويره الخيال !

وقد اقتضى المقام أن نطيل فى صحبته صلى الله عليه وسلم منذ تعبده فى غار حراء على ملة إبراهيم الحنيفية حتى استقر بالمدينة وأقام بها نموذجاً فريداً للدولة الراسخة الأسس ، الثابتة البنيان ، الوطيدة الأركان، التى مازالت تضىء سماء التاريخ مثلاً عالياً ، وقدوة لأى دولة تريد سعادة الدنيا والآخرة .

وقد حال ذلك التطويل دون إبراز ما فى الهجرة من دروس وعبر وعظات ، فليكن ذلك محور حديثى الآن :

إن الهجرة من بدايتها إلى نهايتها تفيض بألوان مبهرة من التضحية والفداء :

فيها تضحية تتمثل فى تَرْك الوطن الحبيب الذى نشأ فيه ، ودَرَجَ على أرضه ، واستنشق نسيمه ، وأكل طعامه ، وشرب ماءه ، وأظَلّته سماؤه، وارتبط فيه بالعلاقات الأسرية والاجتماعية ، إنها لتضحية كبيرة أن يضطر الرسولُ صلى الله عليه وسلم ومن آمنوا به إلى ترك مكة وطنهم الغالى ، الذى له فى نفوسهم كل حب وإعزاز وتقدير .

اسمعوه ﷺ إذْ يغادر مكة مرغماً وهو يقول « واللهِ إنكِ لَأَحَب أرض الله إلى الله، وإنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن قَوْمَكِ أخرجونى منكِ ما خرجت » أفبعد هذا الولاء للوطن ولاء ؟!

كما أن فى الهجرة تضحية بالمال والأهل والولد ، فهؤلاء الذين هاجروا إلى الحبشة ، والذين هاجروا إلى المدينة ـ ذهب كل منهم إلى مُهاجرِهِ ، وهو لا يحمل من ماله إلا ما سمحت الظروف القاسية بحمله ، وهو ـ بدون شك ـ نَزْرٌ يسير ، كما أنهم ـ كذلك ـ ترك كثير منهم أسرته كلها أو بعضها ، مضحين بذلك فى سبيل الاستمساك بعقيدتهم، والنجاة بها من الذل والهوان والفتنة ، وكلنا يستطيع أن يتصور ما يعانيه المرء عندما يترك مرغماً من يحبه ويرعاه فى مكان ، وينأى عنه فى مكان آخر ، إنها مشاعر الشوق إلى من خلفوهم وراءهم ، ومشاعر الخوف عليهم من أن ينتقم منهم المشركون ، بعد أن تركهم حُماتُهم ورُعاتُهم ، ومشاعر القلق والتوتر والاكتئاب التى يثيرها الاغتراب !!

ولم تكن ثمة وسائل اتصال سريعة كوسائلنا هذه الأيام من بريد وبرق وهاتف و«فاكس » ـ تتيح لهم فرصة الاتصال بهم ، والاطمئنان عليهم، وتوجيههم وإبداء المشورة لهم فيما يهمهم من أمور الحياة ، ومساعدتهم على حل بعض مشكلاتهم !

أيضاً من دروس الهجرة أنها تعلم المسلم رفض الظلم والاحتجاج على الظالمين ومقاومتهم وعدم الخضوع لهم ، فلا يليق بالمسلم ـ إذا سِيمَ الخَسْفَ والهوان بأى مكان ـ أن يبقى فيه ، وأرض الله واسعة ، يقول تعالى فى ذلك : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾[1].

كما أن من الدروس المستفادة من الهجرة أنها تجلى فيها وفاء الصديق لصديقه ، هذا هو أبو بكر الصديق يغامر بحياته ، مدفوعاً بما يكنه من الوفاء لصاحبه محمد صلى الله عليه وسلم ، فيصحبه فى تلك الرحلة المحفوفة بالمخاطر ، ثم ها هو ذا يدخل الغار قبل الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ ليتأكد من خلوه من الوحوش والزواحف

---

(١) سورة النساء : ٩٧ .

obeikandi.com

والعقارب، بل إنه حمل معه كل ماله ، ولم يترك لأولاده شيئاً ، ويتوقع أبوه ذلك ، فيأتى أبْنَاءَه ليقول لهم : والله إنى لأرَى أباكم قد فَجَعَكُم بماله مع نفسه ، فترد عليه أسماء بنت الصديق قائلة : « كَلاً يا أبتِ ، إنه قد ترك لنا خيراً كثيرا » !

أى وفاء أبلغ من هذا الوفاء ؟ ! بل أى وفاء يُدانى هذا الوفاء ؟ !

كما أن من عبر الهجرة ودروسها أنها أَرَتْنَا صورة من صورة الإيثار لم يسبق لها مثيل فى التاريخ منذ كانت الأرض ومن عليها !

ها هو ذا رسول الله ﷺ يؤاخى بين المهاجرين والأنصار ، فيجعل لكل أنصارى أخاً مهاجراً ، يتولى الأنصارى أمره ، ويتحمل نفقاته من إقامة وطعام وشراب ، بنفس راضية لم تلوثها الأثَرة ، وقلب يفيض إخلاصاً ومحبة ، ثم يتصاعد ذلك الإيثار حتى يصل إلى أقصى ذروته حين يعرض الأنصارى على أخيه المهاجر أن يُطَلِّقَ إحدى زوجاته ليتزوجها هذا المهاجر الذى ترك زوجته بمكة ، وحين تؤدى المؤاخاة إلى أن يتوارث المهاجرون والأنصار ، ويظل ذلك سارياً حتى يُنْسَخ بقوله تعالى:

﴿وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ (١).

وينال الأنصار بذلك الفلاحَ الذى يسجله الله تعالى فى قوله :

﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

لقد ألَّفت الهجرة القلوب ، وجمعت الأهواء على الحق :

﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٣).

---

(١) سورة الأحزاب ـ من الآية : ٦ .
(٢) سورة الحشر : ٩ .
(٣) سورة آل عمران : ١٠٣ .

والصبر ـ أيها الإخوة المسلمون ـ من أبلغ دروس الهجرة : الصبر على المكاره ، والصبر على الأذَى ، والصبر على الظلم والاضطهاد ، والصبر الذى يكلل بانتصار العدل على الظلم ، والحق على الباطل: ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ (١).

هاهو ذا رسول الله ﷺ ومن آمنوا به يصبرون صبراً جميلاً على ما لاَقَوْا من اضطهاد وتعذيب ، ومطاردة وظلم ، ومقاطعة اقتصادية اجتماعية دامت عامين أو ثلاثة ، ثم تكون عاقبة ذلك النصر المؤزر فى الدنيا ، وجنات النعيم فى الآخرة ؛ جزاءً وفاقاً !!

كما أن من عبر الهجرة أن المسلمين اختاروها مبدأ للتاريخ الإسلامى، بعد أن كان العرب والمسلمون قبلها يؤرخون بالأحداث العظام : كعام الفيل ، وعام الهجرة إلى الحبشة ، وغير ذلك ، ولما كانت هذه الأحداث متعددة ، وتقع فى سنوات مختلفة ـ رأى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه يجب اختيار أهم الأحداث ليكون مبدأ مُوَحَّدًا للتاريخ الإسلامى ، فيجمع كبار الصحابة فى السنة السادسة عشرة للهجرة، ويستشيرهم : فمن مقترح أن يكون البدء بمولد الرسول ﷺ ، ومن مقترح أن يكون بوفاته ﷺ ، ومن مقترح أن يكون بمبعثه ﷺ فترفض هذه المقترحات ، وأخيرًا يجتمع رأيهم على أن تكون الهجرة هى بدء التاريخ الموحد لكل المسلمين ، على أن يكون المحرم أول شهور العام الهجرى ، مع أن الهجرة كانت فى الثانى عشر من ربيع الأول؛ وذلك لأن المحرم هو الشهر الذى يلى شَهْرَ انصراف الناس من حجهم ، وشَهْرَ بيعة العقبة الكبرى التى كانت مقدمة للهجرة .

هذه ـ أيها الإخوة المسلمون ـ بعض الدروس والعظات والعبر التى أمدتنا بها هجرة رسولنا صلى الله عليه وسلم ، عسى الله تعالى أن ينفعنا بها ، ويعيننا على الهجرة من الباطل إلى الحق ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الشر إلى الخير ، ومن المنكر إلى المعروف، ومن الكبر والغرور إلى التواضع ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الأثرة إلى الإيثار ، ومن اللهو إلى الجد ، ومن الضعف إلى القوة ، ومن الفرقة إلى الوحدة ، إنه على كل شىء قدير .

---

(١) سورة الأنفال : ٨ .

قال صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية، وإذا اسْتُنْفِرْتُم فانفروا »[1].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه واسألوه من فضله .

obeikandl.com

(١) متفق عليه .

تداعى الأمم

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ناصر المجاهدين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى لاينطق عن الهوى ، اللهم صَلِّ وسلم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه رافعى راية الحق والدين .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن ماجرى فى بعض بلاد المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها من قبل ، وما يجرى فى هذه الأيام قد سبق أن توقعه رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم حين قال : « يُوشك أن تَدَاعَى عليكم الأمم ، كما تَدَاعَى الأَكَلَةَ إلى قَصْعَتِها ؛ قالوا : أَوَمِنْ قِلَّةٍ نحن يا رسول الله؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غُثَاء كغثاء السَّيْل ، ولَيَنْزِعَنَّ الله المهابة من قلوب أعدائكم ، ولَيُلْقِيَنَّ اللهُ فى قلوبكم الوَهْنَ ، قالوا : وما الوهنُ يارسول الله ؟ قال : حب الدينا ، وكراهية الموت »[(١)].

أجل ، إن مافيه بعض المسلمين الآن ، وما مَرَّ بهم من قبل من تكاثُرِ الأمم عليهم وتداعى بعضها بعضا ؛ لتكون قوة ضد المسلمين تقهرهم وتذلهم ، وتحاول القضاء عليهم وعلى دينهم ـ قد توقعه الرسول صلى الله عليه وسلم . ذلك أن الإسلام لم يقبع فى الجزيرة العربية ، بل زحفت جحافله شرقاً ، ففتحت بلاد فارس وما وراءها من بلاد الهند والشرق الأقصى ، وشمالاً ففتحت بلاد الشام والعراق ، وغرباً ففتحت مصر وشمال إفريقية ، وجزر البحر المتوسط ، كما امتدت إلى الأندلس ففتحتها ، وامتد زحفها حيث توقف على مقربة من باريس سنة ١١٤ هـ .

وقد تم كل ذلك فى زمن قياسى ، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً ، دون أن

---

(١) متفق عليه .

يُكْـرَه أَحَدٌ على الدخول فيه ، ومن بقى على دينه عُومِلَ معاملة حسنة عادلة، لا أَثَر فيها لأى تعصب .

وعن طريق هذه الفتوحات انتشرت ثقافة المسلمين وحضارتهم ، حتى أخرجت أهل هذه البلاد من ظُلُمات الشرك والظلم والجهالة والتخلف فى العصور الوسطى إلى نور الإسلام وعلمه وحضارته وعدالته .

وبرع كثير من علماء المسلمين فى شتى نواحى المعرفة ، فكانوا ـ بحق ـ روَّادًا فى الفَلَكِ والرياضيات والطبيعة والكيمياء والصيدلة والطب ، وظلت أوربا عالة عليهم فى هذه المجالات تتلمذ عليهم ، وتأخذ عنهم ، وتدرس كتبهم فترة طويلة من الزمن، حتى استطاعت الوقوف على قدميها .

وظلت دولة الإسلام فى الأندلس قوية ، حتى تغلغل فى أعماق قلوب حكامها حُبُّ الدينا وكراهية الموت ، فتفرقت كلمهتم ، وتمزقت وحدتهم ، وصاروا شيعاً وأحزاباً ، وتنازعوا أمرهم بينهم ، وصار بعضهم يحارب بعضاً،فتداعت عليهم الأمم، كما تتداعى الأَكَلَةُ الذين مَسَّهُمُ الجوع إلى قصعتها ، حتى سقطت الأندلس فى أيدى الأعداء الذين أكلوها جزءًا جزءًا حتى أتوا عليها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم!!

أجل ، أجل ، لقد حدث ماتوقعه الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلنعد معاً إلى نص الحديث لنتدبره كلمة كلمة ، يقول المعصوم صلى الله عليه وسلم « يوشك أن تداعى عليكم الأمم » أى يدعو بعضُها بعضاً لمحاربتكم والتغلب عليكم وإخضاعكم لحكمهم وإرادتهم ، وبعد سماع السامعين هذا الحديث كان من البَدِهِىِّ أن يتبادر إلى أذهانهم أن الهزيمة تنشأ فى الغالب عن قلة المسلمين وكثرة المشركين الذين يحاربونهم ، ومن ثَمَّ وجهوا إليه صلى الله عليه وسلم هذا السؤال : « أَوَ مِنْ قِلَّة نحن يارسول الله؟» فأجاب صلى الله عليه وسلم : « بل أنتم يومئذ كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » أى أن هزيمتكم لن تنشأ عن قِلَّة ؛ لأنكم إذْ ذاك ستكونون كثرة ، ولكنها كثرة لا قيمة لها، ولاغناء فيها ، وما أَرْوَعَ وأَدَقَّ تشبيهه لها بأنها كغثاء السيل ، وهو ما يجرفه فى طريقه من أشياء تافهة حقيرة لا قيمة لها ، ولا يلتفت إليها أحد !!

ثم أخذ الصادق الأمين يبين ما يعترى هذه الكثرة حتى يوردها هذا المصير الشنيع، فقال : « ولينزعن الله المهابة من قلوب أعدائكم ولَيُلْقِيَنَّ الله فى قلوبكم الوَهْنَ ، قالوا : وما الوَهْنُ يا رسول الله ؟ قال : حُبُّ الدنيا ، وكراهيةُ الموت » ، أى أن هذه الكثرة عندما تصير كغثاء السيل ينزل الله تعالى بها عقوبتين شديدتين :

الأولى : نزع مهابتها من قلوب أعدائها ، فلا يحترمونها ، بل يجترئون عليها ، وينتهكون حُرُماتها ، ويستعبدونها ، ويستولون على أراضيها وخيراتها وطاقاتها ولقمة الخبز منها: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾ [1].

الثانية : أن يضع الله تعالى فى قلوب هذه الكثرة الغثائية الْوَهْنَ ، وقد فسره الرسول صلى الله عليه وسلم عندما سألوه عنه بأنه حُبُّ الدنيا ، وكراهية الموت، أى الانغماس فى ملذات الدنيا ولهوها ومتاعها ، والعمل من أجلها وحدها ، مع نسيان الموت والحياة الآخرة بعده ، وعدم عمل شىء من أجلها . ذلك أن حُبَّ الدنيا يسيطر عليها فتتخذ الله وراءها ظِهْرِيًّا ، وتهمل العمل بكتابه ، وتتنكر لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا تأتمر بما أمر ، ولا تنتهى عَمَّا نهى عنه وزجر ، وتجعل الدنيا أكبر همها ومبلغ علمها، وأقصى غاياتها ، فيغيض حياؤها وتقواها ، وتغرق فى الترف والملذات، وتشرب الخمر، وترتكب الفحشاء والمنكر ويتفشَّى فيها الرِّبا ، وتتعطل حدود الله ، وتصير للشيطان حزباً ، وعلى أولياء الله حرباً ، وتنسى العمل الصالح من أجل الآخرة ، وأنها هى دار القرار ، وما الدنيا إلاَّ دار مَمَرٍّ إليها .

ولو أن كارثة الأمة الإسلامية وقفت عند سقوط الأندلس لهَانَ الأمر ، ولكن التاريخ أعاد نفسه ، فحدثت فى هذا العصر مأساة فلسطين ، إذ انتهز الاستعماريون والصهاينة ضعفَ المسلمين ، وتَفَرُّقَ كلمتهم ، وتَمَزُّقَ شملهم ، وسيطرة حُب الدنيا عليهم ، وانحرافهم عن صراط الله المستقيم، ونكوصهم عن الجهاد ، وإهمالهم العمل لدار الخلود ...

أقول : انتهز الاستعمار والصهاينة هذه الظروف التى صار فيها المسلمون كثرة ، ولكنها كثرة غثائية ، فدبروا أمرهم ، وبيتوا مكرهم وكيدهم ، وقووا جيوشهم ، حتى

---

(١) سورة يونس : ٤٤ .

نَفَّذُوا مؤامرتهم، واحتلوا فلسطين، وأعلنوا فيها دولتهم، بعد أن دكوا المدن ، وخربوا البيوت ، وسفكوا الدماء ، وانتهكوا الحرمات ، وبقروا بطون الحبالى ، ونشروا الذعر والخراب فى كل مكان ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !!

ومنذ احتلوا هذه الأرض وأهلها المجاهدون يقاومونهم متحملين التنكيل والتعذيب والسجن والقتل وكل ألوان القهر والاضطهاد .

وأما المسلمون فيعقدون الاجتماعات إثر الاجتماعات ؛ لتنتهى بالشجب والاستنكار والإدانة ورَفْع الأمر إلى الأمم المتحدة ومجلس الأمن ، وتصدر هيئة الأمم ومجلس الأمن قرارات الإدانة إثر القرارات ، فلا تعبأ بها إسرائيل ، بل تضرب بها عرض الحائط ؛ لأنها متأكدة من أنها بمنزلة ولاية من ولايات أمريكا ، وأن الدول الاستعمارية غرستها شوكة فى قلب الوطن العربى كلما تحركت نزفت دماؤه ، وحرباً عليه تستنزف أمواله وقواه وتعطله عن البناء والإنتاج والتطور والنهضة ، ولأنها متأكدة من تأييد أمريكا لها سياسياً واقتصادياً وحربياً ، ومن أنها ستستخدم حق الاعتراض (الفيتو) لوقف أى قرار لا يرضيها !

وأخيراً ، وبعد أن أَقَضَّ الأطفال الذين يقاومون الصهاينة بالحجارة مضاجعهم متحملين القتل والتعذيب وتكسير العظام فى شجاعة نادرة ستبقى صفحة مضيئة فى سجل المجاهدين ، وبعد مفاوضات طويلة فى أماكن شتى من العالم جرت بين الطرفين، بمساعدة بعض الدول ـ أخيراً بعد كل ذلك أعطى الصهاينة أهل البلاد الأصليين الحكم الذاتى لقطاع غزة، ولأريحا من قطاع الضفة الغربية ، ولله الأمر من قبل ومن بعد !!

أيها المسلمون ، اسمحوا لى أن أستصحبكم معى فى رحلة نلقى فيها نظرة على خريطة العالم الإسلامى هذه الأيام ؛ لنرى ماذا يحدث للمسلمين فى شتى بقاع الأرض. تقول إحصائيات المنظمات الدولية إن نحو عشرة ملايين من المسلمين فى سبع وثلاثين دولة يتعرضون للقتل والذبح والطرد والتشريد!!

ففى البوسنة والهرسك دخلت المؤامرة آخر فصولها ، حيث صار الصرب على مقربة من « سيراييفو » يوالون قذفها بشتى أسلحة الدمار والفتك ، مجتاحين فى

طريقهم كل المدن والقرى ، بهدم مساجدها وبيوتها ، وإبادة من أبادوا من أهلها ، وتشريد من شردوا منهم ، فى هجمات وحشية تتضاءل أمامها وحشية « هتلر » و«موسولينى » فى الحرب العالمية الثانية !

والعالم كله بما فيه أوروبا التى تزعم أنها حامية الحريات وحقوق الإنسان، وهيئة الأمم ، ومجلس الأمن يشاهدون ما يجرى من هذه المذابح ، ولا يتحرك لأحد ضمير ؛ لأن أمريكا وأوربا وروسيا تواطئوا على تَرْكِ الصِّرْبِ بأسلحتهم الفتاكة يقضون على المسلمين الذين ليس لديهم من الأسلحة إلا أقلها وأخفها ، والذين حرم عليهم شراء الأسلحة ؛ تنفيذا لقرار مجلس الأمن الظالم الذى حرم شراءها على طرفين : أحدهما لا يحتاج إليها ، والآخر فى أشد الحاجة إليها ؛ وذلك لكيلا تقوم للإسلام دولة وسط أوربا يسرى منها نوره شيئاً فشيئاً حتى يعم القارة كلها ؛ إذْ يزعمون ـ كما زيَّنَ لهم اليشطان ـ أنه أكبر الأخطار التى تهدد حضارتهم المادية التى بنوها فى سنوات طويلة « كما تروج العصابات الصهونية المنتشرة فى كل عواصم الغرب ، مستغلة فى ذلك ـ بكل براعة ـ صورة قلة من النظم الحاكمة والجماعات السياسية التى ترفع راية الإسلام ، وتمارس باسمه تصرفات متعصبة وحمقاء ؛ لكى يحرضوا ساسة الغرب ضد كل ما هو مسلم ، باعتبار أن الإنسان المسلم ـ كما يزعمون ـ ما هو إلا إرهابى مُتَخَفٍّ، وهو ما يفسر الحملات ـ فى الصحف والإذاعات والمحطات التليفزيونية ومراكز توجيه وقياس الرأى العام ، بل وفى المدارس والجامعات ـ ضد المسلمين ، ابتداء من واشنطن العاصمة الأمريكية ، ومرورًا بباريس ولندن ، ونهاية بمانيلاً فى الفلبين ، ومرورًا برانجون فى بورما، حيث شردوا أكثر من مليونى مسلم، هربوا بحياتهم من حملات الذبح الجماعى والطرد من الوظائف والمساكن ، والاغتصاب لحرمات النساء ـ إلى بنجلاديش !!

وحسب آخر الأرقام المعلنة فإن عدد المسلمين فى يوجوسلافيا الذين يعيشون فى جمهورية البوسنة والهرسك خمسة ملايين مسلم يقيمون داخل مناطق متخلفة اقتصاديًا،محرومين هناك من أقل الخدمات الإنسانية»[1]متعرضين فى حربهم مع الصرب للعدوان على الأنفس والأعراض والأموال وإبادة كل مظاهر الحياة

---

(١) من مقال للأستاذ إبراهيم نافع بأهرام ٢٩ / ٥ / ١٩٩٣ م .

بالتخريب والتدمير، ومتعرضين لطمس المعالم الإسلامية بتدمير مئات المساجد قديمها وحديثها، والمزارات الإسلامية والتكايا والآثار الإسلامية.

أيها المسلمون ، معذرة إذا كنت سأصحبكم معى منتقلين من أوربا إلى شرق آسيا ، إلى دولة « بورما » لنرى حال المسلمين فيها : إن العصابة العسكرية البوذية التى تسلمت البلاد فى إقليم (أراكان) : تدمر المساجد، وتحرق وتهدم المساكن ، وتذبح أُسَرًا بأكملها ، وتغتصب النساء ، وتطرد وتشرد مئات الألوف الذين يفرون إلى «بنجلاديش » ، حيث يعانون حياة الجوع والمرض والتشرد ، هذا بالإضافة إلى ثلاثمائة ألف فروا من قبل عام ١٩٧٨ م !!

ويبرر هؤلاء المجرمون جرائمهم بأنهم يحافظون على نقاء الجنس البورمى ! أى جنس هذا الجنس الجاهل المتخلف المنحط الذى يعبد الأوثان والأصنام حتى يستحق المحافظة عليه ؟ !!

أيها المسلمون ، لعلكم تعون أن هذه الهجمات الشرسة ، وحروب الإبادة، وارتكاب أفحش وأبشع الجرائم فى حق المسلمين ـ ليس مجرد مصادفة ، بل هو مخطط عالمى ترعاه وتحرص على تنفيذه الصهيونية وأمريكا وأوربا وروسيا وكل الدول المعادية للإسلام ؛ خوفاً ورعباً من انتشاره !!

ترى لماذا يخشون الإسلام إلى هذا الحد ؟

لأنه الدين الحق الذى يقف ضد أطماعهم ومفاسدهم وشرورهم ، وضد الحياة التى يحيونها ، مملوءة بالترف والتبذير ، ملوثة بالملذات والشهوات والتهتك والإباحية والتخنث والمجاهرة بارتكاب الفواحش دون حياء ، والانغماس فى مستنقع الحياة المادية لآذانهم !!

ولأنه الدين الحق ، دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، الدين الذى يجتذب قادة الفكر السليم عندهم ، الذين لهم تأثير خطير على نفوس الجماهير وعقولهم ، فيدخلون فيه ، ويدعون إليه ، مقررين أنه الدين القيم الذى ستلجأ إليه البشرية فى القرن القادم ؛ لينتشلها من المستنقع المادى القذر الذى تردَّتْ فيه ، يقول « هوفمان » الذى كان سفيراً لألمانيا فى المغرب ودخل الإسلام حوالى عام ١٩٨٠م ، وأصبح

obeikandi.com

بالتخريب والتدمير، ومتعرضين لطمس المعالم الإسلامية بتدمير مئات المساجد قديمها وحديثها، والمزارات الإسلامية والتكايا والآثار الإسلامية.

أيها المسلمون ، معذرة إذا كنت سأصحبكم معى منتقلين من أوربا إلى شرق آسيا ، إلى دولة « بورما » لنرى حال المسلمين فيها : إن العصابة العسكرية البوذية التى تسلمت البلاد فى إقليم (أراكان) : تدمر المساجد، وتحرق وتهدم المساكن ، وتذبح أُسَرًا بأكملها ، وتغتصب النساء ، وتطرد وتشرد مئات الألوف الذين يفرون إلى «بنجلاديش » ، حيث يعانون حياة الجوع والمرض والتشرد ، هذا بالإضافة إلى ثلاثمائة ألف فروا من قبل عام ١٩٧٨ م !!

ويبرر هؤلاء المجرمون جرائمهم بأنهم يحافظون على نقاء الجنس البورمى ! أى جنس هذا الجنس الجاهل المتخلف المنحط الذى يعبد الأوثان والأصنام حتى يستحق المحافظة عليه ؟ !!

أيها المسلمون ، لعلكم تعون أن هذه الهجمات الشرسة ، وحروب الإبادة، وارتكاب أفحش وأبشع الجرائم فى حق المسلمين ـ ليس مجرد مصادفة ، بل هو مخطط عالمى ترعاه وتحرص على تنفيذه الصهيونية وأمريكا وأوربا وروسيا وكل الدول المعادية للإسلام ؛ خوفاً ورعباً من انتشاره !!

ترى لماذا يخشون الإسلام إلى هذا الحد ؟

لأنه الدين الحق الذى يقف ضد أطماعهم ومفاسدهم وشرورهم ، وضد الحياة التى يحيونها ، مملوءة بالترف والتبذير ، ملوثة بالملذات والشهوات والتهتك والإباحية والتخنث والمجاهرة بارتكاب الفواحش دون حياء ، والانغماس فى مستنقع الحياة المادية لآذانهم !!

ولأنه الدين الحق ، دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، الدين الذى يجتذب قادة الفكر السليم عندهم ، الذين لهم تأثير خطير على نفوس الجماهير وعقولهم ، فيدخلون فيه ، ويدعون إليه ، مقررين أنه الدين القيم الذى ستلجأ إليه البشرية فى القرن القادم ؛ لينتشلها من المستنقع المادى القذر الذى تردَّتْ فيه ، يقول « هوفمان » الذى كان سفيراً لألمانيا فى المغرب ودخل الإسلام حوالى عام ٩٨٠م ، وأصبح

مسلماً سُنِّيًّا ، واتخذ لنفسه اسماً عربياً هو « مراد » يقول : « إن الحل الوحيد للخروج من الهاوية التى سقط فيها الغرب هو الدخول فى الإسلام » .

أيها المسلمون ، لا خَلاصَ لنا من هذه الهجمات الشرسة والحروب الوحشية ضد الإسلام والمسلمين ، ولا نصر لنا وعزة إلا إذا نَصَرْنا الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾(١) . وإلا إذا اعتصمنا بحبله المتين ، واستبدلنا بفرقتنا وحدة ، وبضعفنا قوة ، وتخلصنا من سيطرة حب الدنيا والمادية على نفوسنا ، وعملنا بجد ودأب ونهضنا فى شتى ميادين الحياة ، ولم نتكل على غيرنا فى إنتاج غذائنا وسلاحنا، وملكنا إرادتنا فى صنع قراراتنا المصيرية ، ولم نحتج إلى غيرنا فى شىء ، وأعددنا لأعدائنا ما استطعنا من قوة : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾(٢) . وإلا إذا تيقظنا لألاعيب أعدائنا ومخابراتهم ، وتَحَصَّنَّا ضد الفتن التى تشعلها الصهيونية ، وقوينا إعلامنا قوة تجعلهُ يبطل سموم الإعلام المعادى ، ويوقف المتلقى للصحف أو الإذاعة أو التليفزيون أو الكتب على حقيقة الإسلام والمسلمين. وإذْ ذاك يضع الله تعالى مهابتنا فى قلوب أعدائنا ، بل يلقى فيها الرعب ، فلا تحدثهم نفوسهم بالإقدام على أى نوع من أنواع الإيذاء لنا ، ولا يتداعون علينا كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها .

أيها المسلمون ، قال رسول الله ﷺ : « المؤمن القوى خيرٌ وأَحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كُلٍّ خير ... » (٣).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، عسى أن يقبل منكم ذلك ويمنحكم رضاه !!

---

(١) سورة محمد : ٧ .

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية : ٦٠ .

(٣) رواه مسلم .

نحن والنظام العالمى الجديد

الحمد لله القائل : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١). وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لاشريك له ، كَتَبَ النصر لمن ينصره ، والهزيمة والخذلان لمن أشرك به وحاد عن شريعته ، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ـ أيها المسلمون ـ فلقد انهارت إحدى القوتين الكُبْرَيَيْن اللتين تعملان على السيطرة على شئون العالم ؛ لما تمتلكان من أسلحة الفتك والدمار ، وتفريق كل كلمة ، وتمزيق كل وحدة ، وأصبح لزاماً علينا ـ نحن المسلمين فى كل مكان ـ أن نقف مع أنفسنا وقفة صادقة حازمة صريحة ؛ لتعلم كل دولة من دولنا ، أين هى فى الوضع العالمى الجديد ، بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، وانفراد أمريكا بالقوة العظمى فيه ، وتخيلها أن مصير العالم صار بيديها تُصَرِّفُه ـ من دون الله ـ كيف تشاء ، وإعطائها نفسها حق الوصاية عليه سياسياً واقتصاديًّا وعسكرياً ، متلفتة حولها ـ كالبلطجى ـ تبحث عمن تتحداه وتعاديه ، وتستخدم معه قوتها الغاشمة المخدوعة ؛ لتخضعه وتجعله عبرة لغيره ، فلا يستطيع أحد أن يناوئها ، ويصفو لها العالم من أية شائبة ، لقد فكَّرَتْ وقدرت ، قَدَّرَتْ أن عدوها الذى يجب أن تتفرغ لمحاربته والقضاء عليه هو الإسلام !

أجل، إنها - والله - لتزعم أنه هو الإسلام، وإذا سألتها: لماذا عَدَّتْهُ عدوًّا لها زعمت أنه دين التخلف والرجعية والانعزال والإرهاب ومعاداة التقدم والحضارة !

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلاَّ كَذِبًا ﴾(٢)!!

---

(١) سورة المنافقون ـ من الآية : ٨ .

(٢) سورة الكهف ـ من الآية : ٥ .

الإسلام دين التخلف والرجعية ؟ كذبوا والله ! إنه دين التفكر والتدبر والعلم والتقدم والحضارة وعمارة الأرض ! وإلاَّ فلأى دين ينتسب رُوَّاد الحضارة والمعرفة والابتكار والإصلاح الذين أضاءوا العالم فى وقت كان فيه متخبطًا فى غياَهِب الظلمات، ولم تسلك أوربا طريق الحضارة والمدنية إلا بفضل تلمذتها لهم ؟

الإسلام دين الانعزال ؟ كذبوا ورب الكعبة ! إنه الدين الذى يقول كتابه : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ (١).

الإسلام دين الإرهاب ؟ لا والذى من أسمائه الحسنى (السلام) ! إنه دين السلام، ونشر الأمن والطمأنينة فى أرجاء الأرض ، حتى الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين جعلها « دار السلام » : ﴿ **وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (٢).

لقد دعا رسولنا ﷺ الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادل المعرضين عنه بالتى هى أحسن : ﴿ **ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ** ﴾ (٣). ولم يُكْرِهْ أحدا على الدخول فى الإسلام : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (٤). ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ (٥)!

الإسلام يعادى الحضارة ؟ لا ومُقلِّبِ القلوب والأبصار ! إنه دين التقدم والرقى والحضارة والمدنية ، يحث على التفكر فى النفس: ﴿ **وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ** ﴾ (٦). كما يحث على التفكر فى ملكوت السموات والأرض : ﴿ **أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ**

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .
(٢) سورة يونس : ٢٥ .
(٣) سورة النحل - من الآية : ١٢٥ .
(٤) سورة البقرة - من الآية : ٢٥٦ .
(٥) سورة يونس - من الآية : ٩٩ .
(٦) سورة الذاريات : ٢١ .

opeikanoi.com

الإسلام دين التخلف والرجعية ؟ كذبوا والله ! إنه دين التفكر والتدبر والعلم والتقدم والحضارة وعمارة الأرض ! وإلاَّ فلأى دين ينتسب رُوَّاد الحضارة والمعرفة والابتكار والإصلاح الذين أضاءوا العالم فى وقت كان فيه متخبطًا فى غياهِب الظلمات، ولم تسلك أوربا طريق الحضارة والمدنية إلا بفضل تلمذتها لهم ؟

الإسلام دين الانعزال ؟ كذبوا ورب الكعبة ! إنه الدين الذى يقول كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ (١).

الإسلام دين الإرهاب ؟ لا والذى من أسمائه الحسنى (السلام) ! إنه دين السلام، ونشر الأمن والطمأنينة فى أرجاء الأرض ، حتى الجنة التى وعد الله بها عباده الصالحين جعلها « دار السلام » : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

لقد دعا رسولنا ﷺ الناس إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجادل المعرضين عنه بالتى هى أحسن : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (٣). ولم يُكْرِهْ أحدا على الدخول فى الإسلام : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٤). ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (٥)!

الإسلام يعادى الحضارة ؟ لا ومُقلِّبِ القلوب والأبصار ! إنه دين التقدم والرقى والحضارة والمدنية ، يحث على التفكر فى النفس: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾(٦). كما يحث على التفكر فى ملكوت السموات والأرض : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ

---

(١) سورة الحجرات : ١٣ .

(٢) سورة يونس : ٢٥ .

(٣) سورة النحل ـ من الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .

(٥) سورة يونس ـ من الآية : ٩٩ .

(٦) سورة الذاريات : ٢١ .

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ ﴾[1].

أجل ، إنه الدين الذى كَرَّمَ العقل ؛ تكريماً للإنسان ، وكرر دعوته إلى التفكر والتدبر ؛ ليدرك الإنسان آيات الله فى النفس البشرية وفى الكون ، فيؤمن بأنه لا واحد، ولا خالق ، ولا رازق إلا الله الواحد القهار ، الذى له وحده الأسماء الحسنى، والذى ليس كمثله شىء :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [2].

إن هذه العداوة الظالمة للإسلام ليست وليدة هذه الأيام ، بل إنها موجودة منذ فجر الإسلام ؛ لأن الصراع بينه وبين أعدائه ما هو إلا صراع بين الخير والشر ، بين الحق والباطل ، بين العدل والظلم ، بين الحرية والاستعباد ، بين النور والظلام ، بين كل المبادئ السامية البناءة والمبادئ الهدامة التى تخدم الشيطان والشهوات والأطماع، وتنشر الزور والبهتان والفساد والانحلال والفجور والطغيان !

عودوا ـ أيها المسلمون ـ معى إلى التاريخ القديم ؛ لنقلب صفحاته ، ونقرأ تقريراً كتبه « كامبل بينزمان » رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٢ من الميلاد ، أيام كانت بريطانيا تستعمر مصر ، ماذا يقول التقرير ؟

« إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة ، تزخر بالخيرات الظاهرة والمغمورة ، وتسيطر على ملتقى طرق العالم ، وهى موطن الحضارات الإنسانية والأديان ، ويجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ، ولغة واحدة ، وتاريخ واحد، وآمال واحدة ، وليس هناك أى حاجز طبيعى يعزل هؤلاء القوم عن اتصال بعضهم ببعض .

ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة ، فى يوم من الأيام ـ لتحكمت فى مصير العالم ، ولعزلت أوربا عنه ؛ ولذلك يجب زرع جسم غريب فى قلب هذه الأمة،

---

(١) سورة الأعراف ـ من الآية : ١٨٥ .
(٢) سورة آل عمران : ١٩٠ و١٩١ .

ويشرد الملايين فى معركة غير متكافئة الطرفين !!

ويستغيث المُعْتَدَى عليهم بدول أوربا التى تجاورهم وتزعم أنها حامية حقوق الإنسان ، وبأمريكا التى تزعم أنها زعيمة النظام العالمى الجديد بعد تفكك الاتحاد السوفيتى ، وبكل دول العالم ؛ لينقذوهم من هذه المذبحة الشنيعة التى لا نظير لها فى تاريخ الحروب ، ويستغيث المعتدى عليهم بكل هؤلاء فلا يجدون إلا الشجب والإدانة والاستنكار !!

ويطلب البوسنيون إلغاء قرار الأمم المتحدة بحظر بيع السلاح لطرفى المعركة ؛ لأنه لا يضر أعداءهم الذين لا يحتاجون إلى أى سلاح ، وذلك حتى يشتروا من السلاح ما يعينهم على الصمود ودفع العدوان عن أراضيهم، فَيُرْفَض طلبهم ، ويكون هذا الرفض بمثابة تكتيف الضحية وتقييدها حتى يتمكن القاتل من القضاء عليها وهو واثق مطمئن !!

أين أنت يامجلس الأمن ؟ أأنت تتبع كل دول الأمم المتحدة أم الولايات المتحدة الأمريكية وحدها ؟

لماذا أسرعتَ فى إصدار قراراتك بمعاقبة ليبيا ونفذت هذه القرارات عقب انتهاء المهلة المحددة لبدئها ، وذلك لمجرد اتهام فردين منها بتدمير طائرة ؟ !

أين أنتِ يا أمريكا ؟ أليس مايحدث فى البوسنة والهرسك عدواناً صارخاً على ناسٍ مُسالمين ؟

أين أنتِ يامن تزعمين أنك المهيمنة على العالم فى وضعه الجديد ، بعد أن خدمتك الظروف ، وذهب الاتحاد السوفيتى الذى كنت ترتعدين منه خوفاً وفزعاً ؟

أسكتِّ لأنكِ ليست لك مصلحة فى البوسنة والهرسك تخافين عليها من الضياع ؟

أم سَكَتِّ لأن المعْتَدى عليه ليس طفلك المدلل إسرائيل ؟

لماذا عندما استغاثت بك إسرائيل فى حرب العاشر من رمضان أَسْرَعْتِ بإنشاء جسر جوى بين إسرائيل وقواعدك العسكرية بحيث تنزل وحدات المعدات الحربية من طائراتك مستعدة للضرب وتخليص إسرائيل الغادرة من قبضة جيش مصر الباسل ؟

أم سكتَّ لأن المُعْتَدَى عليهم مسلمون ، وما تنقمون منهم إلاَّ أنهم يؤمنون بالله العزيز الحميد ؟ !

ياأمريكا ، إيَّاكِ والاغترار بنفسك وبقوتك بعد زوال الاتحاد السوفيتى !

إياك والكيل بمكيالين فى معاملتك للدول والشعوب !

تيقنى أن دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة ، وأنكِ سوف تلقين مصير الاتحاد السوفيتى إن لم تكُفِّى عن مُنَاصَرِة الظلم ، ومساندة أعداء البشر الذين يصولون ويجولون فى الأرض معتمدين على تأييدك ومساندتك لهم !

ياأمريكا ، لا تَنْسَىْ هذه الحكمة « السعيدُ من اتَّعَظَ بغيره، والشقيُّ من وُعِظَ به غيره» !!

هذه - أيها الإخوة المسلمون - وقفة مخلصة أردت بها أن تتبينوا أين أنتم الآن من عدوكم ، وماذا نوى وسيظل ينوى لكم ، فَخُذوا حِذْرَكُم منه ، ولا تغفلوا عن كيده ومؤامراته التى يدبرها لكم سرًّا وعلانية ، وكونوا دائماً على الاستعداد لمواجهته وكشف نواياه وإبطال مؤامراته ، ومحاربته بسلاح الإيمان والوحدة والقوة ، إذ لا يَفُلُّ الحديد إلا الحديدُ : ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (١). ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾ (٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

(١) سورة الحج - من الآية : ٤٠ .

(٢) سورة محمد : ٧ .

كيف نساعد البوسنة والهرسك فى محنتها ؟

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومَنْ يُضْلِلْ فلا هادِيَ له ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صَلِّ وسلِّم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم واقتدى بهم إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، فى الخطبة السابقة تحدثت عن النظام العالمى الجديد ، وموقفه الجائر والمعُادِى للإسلام ، وعمله دائماً بكل طاقاته وأساليبه على القضاء عليه، ثم رأيت أن من حق مأساة البوسنة والهرسك أن أفردها بحديثى اليوم ؛ لعلنا نعتبر وننشط فى عمل ما نستطيع نحوها ؛ حتى تخرج من محنتها هذه التى ليس لها مِنْ دُونِ اللَّه كاشفة !

أقول : سرت عدوى تفكك الاتحاد السوفيتى إلى غيره من الدول ، فانقسمت تشيكوسلوفاكيا إلى دولتين التشيك وسلوفاكيا ، كما انقسمت يوغسلافيا إلى ثلاث دول: دولة للصرب تضم صربيا والجبل الأسود وبها أغلبية صربية وعاصمتها بلجراد ، ودولة للكروات تضم أغلبية كرواتية وعاصمتها « زغرب » ، ودولة للمسلمين تضم أغلبية مسلمة ، وعاصمتها « سيراييفو » ، وقد طلبت البوسنة والهرسك من الأمم المتحدة أن تعترف بها، فاعترفت بها فعلاً، ولكن الصرب والكروات أرادتا أن تقتسما مع المسلمين البوسنة والهرسك بحجة أن لكل منهما أقلية فيها ، أى أن تقسم البوسنة والهرسك إلى ثلاثة أقسام ، ومن ثم اندلعت نيران الحرب ضد المسلمين ، وأعانت دول أوربا وروسيا أعداء المسلمين عليهم ؛ خوفاً من قيام

obeikandl.com

دولة إسلامية تكون فى قلب أوربا نواة لقيام دول إسلامية أخرى تحقق نبوءة مفكرى وفلاسفة أوربا المعتدلين غير المتعصبين بأنه لن يمر وقت طويل حتى ينتشر الإسلام فى ربوع أوربا ؛ لأنه الدينُ القَيِّمُ ، دين الفطرة ،دين الحق ، الدين المؤيَّدُ بالعقل والفكر السليم ، فلا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه !!

وعندما نشبت الحرب كانت الصرب تملك جل الأسلحة التى كدسها « تيتو » رئيس يوغسلافيا الراحل طيلة حوالى خمسين عاما ، وأما المسلمون فلم يكن بأيديهم إلا القليل منَ الأسلحة الخفيفة ؛ ولكيلا يطول أمد الحرب صدر قرار مجلس الأمن بتحريم بيع الأسلحة للأطراف المتحاربة ، وقد جاء هذا القرار جائرًا بالنسبة للمسلمين الذين هم فى أشد الحاجة إلى السلاح ؛ إذ كان الهدف الخبيث منه أن تضعف مقاومتهم ، حتى يستسلموا أو يتمكن أعداؤهم من القضاء عليهم ، وقد بُحَّ صوت المسلمين المحتاجين إلى السلاح من مناشدة مجلس الأمن إلغاء هذا القرار ، ولكنه أخذ يراوغ بتوجيهات من أمريكا التى لاتريد هى الأخرى أن تقوم للإسلام دولة فى أوربا ...

واشتدت الحرب ، وتدخل ممثلو الأمم المتحدة وبعض دول أوربا فى مفاوضات تنتهى أحياناً بوضع هدنة لا يحترمها الصرب ، بل ينتهزونها فرصة لضرب المسلمين الذين يضعون سلاحهم احتراماً لها ، وأحياناً بعرض مقترحات جائرة بتقسيم البوسنة والهرسك بين الأطراف الثلاثة ، والهدف من كل ذلك هو إضاعة الوقت ، وإعطاء الصرب فرصة كافية لإبادة مسلمى البوسنة والهرسك ، وتخريب ديارهم ، وهدم مساجدهم التى يذكر فيها اسم الله ! فهاهى ذى الحرب قد مضى عليها قرابة عامين ، ومازال أعداء المسلمين يفعلون بهم مالم تشهده أبشع الحروب من قتل ، وتشريد ، وتحطيم العظام ، والسجن بدون ماء ولا شراب حتى الموت ، واعتداء على الأعراض بصورة وحشية يأباها أدنى الحيوانات !!!

كل هذا والمسلمون يصبرون على مايلاقون ، ويُبْدُون فى جهادهم من ضروب الشجاعة والذَّوْد عن ديارهم ما أذهل العالم ودخل فى باب المستحيلات ، ثم يصرخون، ولا مُغِيث : ويستنجدون ولا مُنْجِدَ ! والعالم كله واقف يتفرج ، كأن ما يجرى تمثيلية يشهدونها للتسلية ! ومفاتيح قرارات مجلس الأمن بيد أمريكا ! وكل ما يتلقاه هؤلاء المستصرخون من القريب والبعيد لا يعدو الاحتجاج والشجب والاستنكار، وأما الصرب فهم ماضون فى خطة الإبادة والتدمير ، لا يحترمون أية

هدنة ولا أى قرار من مجلس الأمن أو غيره من الوسطاء !

ألم أقل : إنها خطة موضوعه بدقة من أطراف الباطل لإبادة المسلمين ، حتى لاتقوم للإسلام دولة فى أوربا تكون نواة لدول إسلامية بهذه القارة ، يزعمون أن قيامها سيؤدى إلى القضاء على نهضة أوربا والرجوع بها إلى الوراء قرونًا عديدة ؟ !

فيأيها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ، ألا تَرَوْنَ ما ينزل بإخوانكم البوسنيين من ضروب البلاء التى لا قِبَلَ لأحد بها مهما أوتى من شجاعة وقوة وصبر ؟!

ألم تخرق آذانكم أصوات استغاثة إخوانكم بكم ؟

ألم يهز وجدانكم هذا الإنذار المحمدى « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم »؟

ألمْ تَرَوْا فى وسائل الإعلام صور المذابح التى تقشعر منها الجلود ، والمدن التى دُمِّرَتْ، والمساجد التى خُرِّبَتْ حتى لا يُذْكَرَ فيها اسم الله ؟ !

ماذا تنتظرون بعد أن رأيتم ما رأيتم ، وسمعتم ماسمعتم ؟ !

يامسلمون فى شتى المشارق والمغارب ، ألا يكفيكم هذا الذى يفعله عدوكم بكم ، حتى تفعلوا بأنفسكم أكثر مما كان يتمنى أن يفعله أعتى الأعداء بكم ؟ !

ما الذى يصنعه بعضكم ببعض فى الصومال ؟! ولمصلحة من ؟ !

ما الذى صنعه العراق بالكويت حتى دمرها ودمر نفسه ؟! ولمصلحة من؟

ما الذى تصنعه عصابات الإرهاب بإخوانهم من قتل وترهيب وفساد فى الأرض؟! ولمصلحة من ؟!

يامسلمون فى شتى المشارق والمغارب ، ألم يُحَذِّرْكُم رسولكم ﷺ متوقعاً أن يحل بكم ما قد حل ، عندما قال : « يُوشِكَ أنْ تَتَدَاعَى عليكم الأممُ ، كما تَتَدَاعَى الأكَلة إلى قصعتها ، قالوا : أَوَمِنْ قِلَّةٍ نحن يارسول الله ؟ قال : لا، والذى نفسى بيده ؛ إنكم

Obeikandi.com

يومئذٍ لكثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم ، وليجعلن فى قلوبكم الوهنَ ، قالوا : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا ، وكراهية الموت » ؟!

أجل ، لو لم ينزع الله من قلوب أعدائكم المهابة منكم لما حَلَّ بكم ماحَلَّ، وما قد يحلُّ من التعذيب والقتل ، والتشريد ، والاعتداء على الأموال والأعراض والديار !

ألم يَأْنِ لكم أن تجمعوا كلمتكم ، وتوحدوا إرادتكم ، وتتحابوا ، وتتناصروا ، وتتيقظوا لمؤامرات أعدائكم ، واضعين مصلحة دينكم وأُمتكم فوق مصالحكم الشخصية والنزاع على كراسى الحكم والرئاسة ؟ !

أناشدكم الله أن تستجيبوا لصرخات إخوانكم البوسنيين ؛ لتنقذوهم مما حَلَّ بهم من بلاء لا يُدانيه بلاء !!

قد يقول أحدكم : وماذا تستطيع الدول الإسلامية أن تفعله إزاء حرب يذكى نارها أعتى الدول وأقواها ؟

أقول : إنها تستطيع أن تفعل الكثير ، وهاأنذا أسوق إليكم بعضه :

١ ـ مقاطعة دولتى الصِّرْب والكروات سياسيًّا ، بسحب ممثلى الدول الإسلامية منهما، وطرد ممثليهما فى دولنا الإسلامية .

٢ ـ قطع المعاملات التجارية والاقتصادية ، وعدم التعاون معهما فى أى مجال ، وإذا أدخل المهربون بضائعهم دولنا فعلى كل شعوبنا أن تقاطعها حتى تُرَدَّ إليهم .

٣ ـ قطع البترول عنهما ، وعن أية دولة تشتريه منا وتسربه إليهما ، وكلنا يعرف ما يفعله هذا السلاح الجبار ، إنه يوقف عجلة الحياة فى أية دولة ينقطع عنها ، ولنضرب عرض الحائط بكل ما كان بيننا وبينهم من معاهدات بتصديره إليهم : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (١).

٤ ـ إرسال السلاح بشتى الطرق إلى البوسنيين ، حتى يصمدوا فى تلك المعركة الغاشمة !

---

(١) سورة الأنفال : ٥٨ .

٥ ـ إرسال المعونات التى يحتاج إليها البوسنيون ويحددونها ، من طعام وغطاء ودواء وغير ذلك .

ثم عليكم ـ لكى تقووا وتكونوا على استعداد للذود عن حياضكم ـ أن تسرعوا فى إقامة وحدة حقيقية سياسية اقتصادية دفاعية ، وفى ظلالها :

١ ـ يزداد اتصال بعضكم ببعض ؛ لتتعاونوا على البر والتقوى ، وعلى حل مشكلاتكم ، وتبادل المنافع بينكم .

٢ ـ تُقَوِّى كل دولة جيشها ، وتسلحه بأحدث الأسلحة وأقواها ، وتخصص فرقة منه تكون على مستوى الفرق الخاصة ؛ لتهب لنجدة من يتعرضون للظلم والعدوان من المسلمين فى أى مكان : ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾[1] .

٣ ـ تعمل كل دولة على أن يكون سلاحها من مصانعها ، وغذاؤها من أرضها ؛ لتملك قراراتها بأيديها ، ولا يستطيع أحد أن يمليها عليها .

٤ ـ تنشئ كل دولة صندوقاً مالياً يُخَصَّص لمساعدة الدول الإسلامية فى النوائب ، وبخاصة المباغتة .

هذا ما يتراءى لى ، أماَّ ماعدا ذلك من الصغائر كالاعتداء على السفارات، واختطاف الرهائن والطائرات ، والعدوان على السائحين وما ماثل ذلك بحجة الانتقام، أو لَفْتِ الأنظار ، أو ما عدا ذلك من الحجج ـ فأمور لاتردع الأعداء ، ولا تجلب إلا الشر ، وإعطاء الأعداء فرصة لتشويه الإسلام ووصفه بأنه يحض على الإرهاب .

أَدْعو الله تعالى أن يعين المسلمين على أنفسهم وعلى تنفيذ ما قدمتُ ويقدم المخلصون من اقتراحات ، وأن يُـوَحِّـدَ كلمتهم حتى يتعاونوا على البر والتقوى ، وحتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، قال ﷺ : « من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم » .

---

(١) سورة الأنفال : من الآية : ٦٠ .

المؤمن القوى

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لو لا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، القوى المتين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الذى جعله الله بفضلة قُدوة حسنة لنا فى قوة الإيمان ، والذود عنه ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وَمَنْ تبعهم بإحسان إلى يوم البعث والنشور .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، يقول الصادق الأمين صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه أبو هريرة : « المؤمنُ القَوِىُّ خَيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل كُلٍّ خَيْرٌ ، احرصْ على ماينفعك ، وَاسْتَعِنْ بالله ، ولا تَعْجِزْ ، وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أَنِّى فعلتُ كذا كان كذا، ولكن قُلْ : قدر الله وما شَاَء فَعَل ، فإن (لو) تفتح عمل الشيطان » (١).

اسمحوا لى ـ إخوة الإيمان ـ أن أقف وقفة تأمل وتدبر عند قوله صلى الله عليه وسلم: « المؤمنُ القَوِىُّ خيرٌ وأحَبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كُلٍّ خَيْرٌ » . إنَّ معنى القوة والضعف هنا ليس محصورًا فى قوة البدن وضعفه ـ كما قد يتبادر إلى الأذهان ـ بل يتسع ؛ ليشمل نواحى كثيرة :

القوة مطلوبة فى عقيدة المؤمن ؛ لتحميه من تيارات الشرك وتعصمه من ضلال المضلِّلين ، وتشكيك المشككين ، وفتنة أعداء العقيدة الإسلامية الصحيحة، الذين مازالوا يطمعون فى صَرْفِ المؤمنين عنها بما يروجونه من عقائد فاسدة ، ومذاهب ضالة مضلة ، ويشيعون من تُرَّهَات وأباطيل ضد الإسلام والمسلمين ، وبما يبذلونه فى

---

(١)رواه مسلم .

سبيل ذلك من أموال ومغريات تستهوى ضعاف العقول ، وصغار النفوس ، وواهنى العقيدة، مستغلين فى ذلك سيطرتهم على معظم وسائل الإعلام من (سينما) وإذاعة مسموعة ومرئية (تليفزيون) وصحف ومجلات وكتب مهما كلفهم ذلك من جهد ومال ووقت !!

إن المؤمن بقوة عقيدته يستطيع النجاة من الوقوع فى فخاخهم ، بل يستطيع إبطال حججهم ، وتبصير غيره بخطورتهم وحقيقة أهدافهم الخسيسة التى يلبسونها أثواباً غير ثيابها ؛ ليوقعوا فيها ضعاف الإيمان ، كما يردد دائماً قوله تعالى : ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ (١).

القوة مطلوبة أيضاً فى شخصية المؤمن ، حتى يكون شديد الثقة بنفسه ، شديد الاعتزاز بدينه ، قويًّا فى إرادته ، متزناً ، لا يتردد ولا يضطرب فى شئونه، صبوراً على الشدائد والمحن ، يعتقد فى عدالة الله تعالى ، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وما أصابه لم يكن ليخطئه ، ويسلم بقضاء الله وقدره ، مع الأخذ بأسباب الخلاص من هذه النوائب ، لا يجزع ولا يعرف اليأس سبيلاً إلى قلبه : ﴿ **إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ** ﴾ (٢)، قويًّا فى مواجهة الإغراءات ، مسيطرا على نفسه ورغائبها، تلك النفس البشرية التى قال الله تعالى عنها : ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي** ﴾ (٣) والتى صورها الشاعر طفلا تجب العناية بتربيته وإلا ضَلَّ، فى قوله :

والنفسُ كالطِّفْلِ إن تُهْمِلْهُ شَبَّ على
حُبِّ الرَّضاَعِ ، وإنْ تَفْطِمْهُ يَنْفَطِمِ

قويًّا فى إبداء رأيه ، وإظهار حجته ، وإسداء مشورته ، لا يبغى بذلك إلا وجه الله

---

(١) سورة البقرة : ٢٨٥ .
(٢) سورة يوسف ـ من الآية : ٨٧ .
(٣) سورة يوسف ـ من الآية : ٥٣ .

تعالى ، قوياً على النهوض بأعباء العبادة ، فلا يكسل فى أدائها، ولا يتهرب من القيام بها ، بل يؤدى صلاته وصيامه وحجه وزكاته وكل واجباته الدينية بروح عالية ، وقلب خاشع ، متوجه بعبادته إلى الله تعالى وحده ، لعله يتقبل عمله ، فينفعه : ﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [١].

وإلى جانب القوة المطلوبة فى المؤمن فى النواحى السابقة وغيرها يزداد خيره إذا وهبه الله قوة البدن ، فصانه وحافظ عليه ، ووقاه الأمراض ، وعالجه مما يصيبه منها ، ووجَّه تلك القوة إلى ما أعطاه الله تعالى إياها من أجله : فاستخدمها فى عمله الذى يجلب له الرزق ، ويمنعه أن يسأل الناس ، وفى أعمال البر والخير والتقوى وكل ما ينفعه وينفع الناس ، وفى الطاعة والعبادة والجهاد فى سبيل الله ؛ لتكون كلمة الله هى العليا ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [٢]. ولم يتبع غير سبيل المؤمنين ، باستخدام تلك القوة فى البغى والعدوان والتجبر والفساد فى الأرض ، وتخريب الديار ، والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض ، كما يفعل الذين يحاولون تشويه الإسلام بارتكاب هذه الآثام ، معللين جرائمهم بأنها لنصرة الإسلام ، والله تعالى ورسوله وصالحو المؤمنين يشهدون أن الإسلام منهم براء ؛ لأنه ليس دينَ الظلم والبغى والفساد فى الأرض ، بل هو دينُ السلام ، والعدل ، والحق ، والخير ، والبر ، والرحمة ، والتسامح ، والمروءة ، والكرم ، والنجدة ، والتعاون على البر التقوى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [٣] وكل الفضائل والقيم السامية .

وإلى جانب ما يُتَطَلَّبُ فى المؤمنين من قوة العقيدة ، وقوة الشخصية ، وقوة البدن ـ يجب أن تتوافر لديهم ـ حيثما كانوا ـ قوة الاستعداد الحربى ؛ ليكونوا قادرين على

---

(١) سورة الشعراء : ٨٨ و ٨٩ .

(٢) سورة المنافقون ـ من الآية : ٨ .

(٣) سورة المائدة ـ من الآية : ٢ .

مواجهة الأعداء فى أى وقت ، وذلك بالتسلح بأقوى الأسلحة وأحدثها ، ودوام التدريب عليها ؛ لإعداد المقاتل المسلم الذى يثق ـ وهو فى ساحة القتال ـ أنه يقاتل فى سبيل الله تعالى للفوز بإحدى الحسْنَيَيْن : الشهادة ، أو النصر ؛ فيمضى فى المعركة حتى منتهاها بروح عالية ، حتى يحقق النصر والعزة للمؤمنين ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾ (١).

هذا ، وقد شاءت إرادة الله تعالى ألاَّ تكون حياة الإنسان كلها منذ ولادته حتى نهايته على درجة واحدة من القوة ، حيث يقول تعالى : ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ**﴾ (٢).

كما شاءت إرادته أن يخلق الضعفاء وذوى العاهات كما يخلق الأقوياء ، وأن يعترى الأقوياء الأمراض والعلل التى تصيرهم ضعفاء ، أى لما كان المؤمن الضعيف لم يجلب لنفسه الضعف فقد أراد الله ـ بعدله ورحمته ـ ألاَّ يحرمه من الخير ، وإن كان ما يصيبه منه أقل مما يصيب القوى ؛ لأن ذلك هو نصيبه وقدره فى الحياة ، وإلى ذلك يشير الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديثنا الذى نحن بصدد الانتفاع به بقوله : « وفى كُلٍّ خير » ، أى فى كل من المؤمن القوى والمؤمن الضعيف خير ، كل بحسب مايقدم ويبذل فى وجوه البر.

وبعد ذلك قدم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم عدة أوامر ونواهٍ تحقق لنا الخير ، فقال : « احرصْ على مايَنْفَعُك ، واسْتَعِنْ بالله » يأمر المؤمن بالحرص على ما ينفعه فى الدنيا والآخرة من تنفيذ أوامر الله تعالى ، واجتناب نواهيه ، وفعل الخيرات ، وعدم

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية : ٦٠ .

(٢) سورة الروم : ٥٤ .

تبديد طاقته فيما لا يفيد ؛ لأن ذلك التبديد يكون غاية العبث ، وابتعادًا بحياته عن غايتها السامية ، كما يأمر المؤمن أيضاً بألاَّ يستعين إلا بالله ؛ لأنه الذى له الخَلْقُ والأمر، وبيده ملكوت السمٰوات والأرض ، وخزائن الرزق الذى لا ينفد ، ولأن الأمة لو اجتمعت على أن تنفع أحدًا بشىء لم تنفعه إلا بما كتبه الله له ، ولو اجتمعت على أن تضره بشىء لم تضره إلا بما كتبه عليه

ثم أتبع الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر بقصر الاستعانة على الله تعالى وحده ـ بالنهى عن الإحساس بالعجز ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ولا تعجز » ؛ لأن الشعور بالعجز يؤدى إلى اليأس والقنوط والإحباط وكثير من العلل النفسية ، كما يؤدى إلى ترك العمل والسعى لتحقيق الأهداف ، والجهاد فى سبيل الله تعالى : ﴿**إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ**﴾ (١).

ثم أخذ صلوات الله وسلامه عليه فى نهاية هذا الحديث يوجهنا إلى وجوب التسليم بالقَدَر ،بعد التفاؤل وعدم الإحساس بالعجز ، وإلى عدم الاستسلام للتمنيات والندم على مافات ،حيث يقول صلى الله عليه وسلم : « وإنْ أصابَكَ شىء فلا تقل : لو أنِّى فعلت كذا كان كذا ، ولكن قُلْ :قدر اللّه وماشاء فعل؛ فإن (لو) تفتح عمل الشيطان» .

أيها المسلمون ، إن عمل الشيطان الذى يشير إليه الرسول صلى الله عليه وسلم هو إغواء المرء وإضلاله ، وجعله لا يرضى بالقدر ، وتشكيكه فى عدالة الله ، وصَرْفه عن العمل ، مادام يعمل ولا يأتى عمله بما يريد هو ، أوبما يأتى به عمل شخص آخر .

فيجب على المؤمن أن يكون على حَذَرٍ من الشيطان الذى أقسم ليغوين الناس كلهم أجمعين إلاَّ المخلَصين ، وإلى ذلك يشير الله تعالى بقوله : ﴿ **قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٨٢) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ** ﴾ (٢).

أعاذنا الله تعالى جميعاً من الشيطان الرجيم ، ومنحنا من قوة العقيدة والشخصية

---

(١) سورة يوسف ـ من الآية : ٨٧ .

(٢) سورة ص ـ الآيتان : ٨٢ و٨٣ .

obeikandl.com

والبدن والاستعداد لملاقاة الأعداء ، والذود عن ديننا وأوطاننا ـ ما نستطيع به أن نحمى أنفسنا وأهلينا وأموالنا وأعراضنا وأرضنا وخيراتنا من أعدائنا ، وما نستطيع به أن نسيطر على نفوسنا ونوجهها إلى تقوى الله تعالى ونشر دعوته ، والذود عن كيانها وكياننا ، إنه على ذلك قدير ، وإنه نِعْمَ المولى ونعم النصير .

قال صلى الله عليه وسلم : «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُم حتى يُحِبَّ لأخيه مايحب لنفسه» (١).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ولجميع المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(١) متفق عليه .

obeikandl.com

متوكلون لا متواكلون

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، عليه وحده يتوكل المتوكلون ، فكفَى به وكيلًا ؛ إنه هو العزيز الرحيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أمره ربه بالتوكل عليه قائلا له :

﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ (١)

اللهم صَلِّ وسلمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحابته أجمعين مادامت السموات والأرض وما فيهن .

أمابعد ، فيأيها المسلمون ، إن التوكل على الله من ألزم الصفات التى يتصف بها المؤمن ، فهو يسلم أمره إلى الله ، ويعتمد عليه ، ويثق بما عنده: ﴿ وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ (٢) ، بعد أن يأخذ بالأسباب الميسَّرة له ، المؤدية إلى تحقيق أمانيه .

ذلك أن آمال الإنسان فى هذه الحياة لاتقف عند حد ؛ إذ يريد أن يستحوذ لنفسه على الصحة والقوة ، والعلم ، والغِنَى والمنصب والجاه ، والمنزلة الرفيعة ، ويريد البنين الذين تقر بهم عينه ، ويشتد بهم أَزْرُهُ ، ويعلو بهم قَدْرُهُ ، ويمتد بطول أعمارهم ذكره، كما أن الله تعالى فتح له الأبواب لتحقيق ما يستطيع من تلك الآمال ؛ إذْ خلق له الكون بما فيه من السماء ، وما حَوَتْ من شموس وأقمار ، وكواكب ونجوم ومجرات ، وسُحُب وأمطار ، ورعد وبرق ، وهواء ورياح وعواصف ، وطاقات مختلفة ، ومن الأرض وما عليها من جبال وصحراوات ووديان ، وبحار وأنهار ، وخصب وقفر ، ونبات وأشجار وثمار ، ودواب وأنعام مختلفة الأشكال والألوان

---

(١) سورة النمل : ٧٩ .

(٢) سورة الشورى ـ من الآية : ٣٦ .

والمنافع ، ومعادن متنوعة ، وطاقات وقدرات شتى ، إلى جانب ما تحويه الأرض فى جوفها من معادن ومياه ، وطاقات وقدرات ، مما توصل الإنسان إلى اكتشافه ، ومما لم يتوصل إليه بعد ، قال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلاً لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(١).

أجل ، لقد طوى الله نفس الإنسان على هذه الآمال ،كما وضع أمامه مصادر تحقيقها ، ولكن كيف يحققها ؟ أيحققها بالتمنى والتكاسل ، أم بالعمل والسعى الدءوب والأخذ بالأسباب ؟

إنه لن يصل إلى مايريد إلا إذا أخذ بالأسباب المؤدية إليه ؛ إذ الأخذ بالأسباب سُنَّةٌ من سنن الحياة التى يقرها الإسلام ، يقول الله تعالى عن ذى القرنين : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ (٢).

فمن أراد الرزق فليأخذ بأسباب الحصول عليه ، وليعمل فى كَدٍّ ودَأَبٍ ، ثم يتوكل على الله تعالى ، واثقًا بما لديه ، فيعطيه ما قدَّره له من الرزق ، ولن يخيب سعيه ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ

---

(١) سورة النحل : ١٠ ـ ١٦ .

(٢) سورة الكهف ـ الآيتان : ٨٤ و ٨٥ .

obeikandi.com

عَمَلاً﴾[1] . وقال رسول الله (ﷺ) : « إنكم لو توكَّلْتُم على اللّه حَقَّ تَوَكّلِهِ لَرَزَقَكُم كما يرزقُ الطَّيْرَ ، تَغْدَو خِماصاً ، وتَرُوح بطاناً » [2].

نعم ، هذا هو المنهج الصحيح الذى وضعه الإسلام لتحقيق الرزق ، وهذه هى طبيعة الأشياء وسنة الحياة ، فالأصل أن يكون شرب الماء سببًا للريِّ ، والنار سبباً للإحراق ، وتنفس الهواء سبباً لتجديد الدم وتنقيته والاحتفاظ بالحياة ، والمشى سبباً للوصول إلى المكان الذى يقصده الإنسان ، والاستذكار سبباً للنجاح ، وهكذا جعل الله لكل شىء سبباً .

كما أن من أهم آمال الإنسان فى الحياة أن يعيش مُعَافًى بريئاً من الأمراض والآلام التى تنتج عنها ، وذلك له سببه ، وهو المحافظة على الصحة بتناول الطعام الجيد ، والعيش فى مسكن ملائم تتوافر فيه الشروط الصحية ، وعدم تناول المحرمات من المطعومات والمشروبات ، وعدم الإرهاق فى العمل ، وأخذ قسط واف من النوم ، ثم بعد أن يأخذ الإنسان بهذه الأسباب وغيرها تكون ساحته قد برئت من التقصير ، وما عليه بعد ذلك إلاَّ أن يتوكل على الله المالك لكل شىء ، والقادر على كل شىء ، ويرجوه أن يحفظ عليه صحته ، فإن تحقق رجاؤه فليشكر الله عليه ، وإن لم يتحقق بأن أصابه مرض فليتقبل قضاء الله صابراً ، ولكنه لا يقعد عن طلب الشفاء ، بل يأخذ بأسبابه حتى يشفيه الله ، قال صلى الله عليه وسلم : « ما أَنْزَلَ الله داءً إلاَّ أَنْزَلَ له شفاءً » [3] . وقال : « لكل داء دواء ، فإذا أُصيب دواء الداء بَرَأَ بإذن الله عز وجل »[4].

وهكذا نرى أن الإنسان يجب عليه أن يفعل الأسباب المقدر لها أن توصله إلى ما يريد، ثم ينتظر النتيجة متوكلا على الله .

---

(١) سورة الكهف : ٣٠ .

(٢) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

(٣) رواه البخارى .

(٤)رواه مسلم .

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى ولَيْـ   سَ عليَّ إِدْرَاكُ النجاح

فإن تحققت فَبِهَا ونِعْمَتْ ، وإن تخلفت فتلك إرادة الله تعالى التى لا رادَّ لها، وليصبر ؛ لأنه لايدرى حكمة الله تعالى فى ذلك ، فقد يكون فيها حدث منفعة وصَلاحٌ له أو لغيره، فالنار التى طبيعتها الإحراق سَلَبها الله تعالى هذه الخاصية عندما ألقى المشركون نبيه إبراهيم فيها ليحرقوه ، بسبب سخريته من التماثيل التى يعكفون على عبادتها من دون الله وجَعلها جُذاذًا، فلما عرفوا أنه هو الفاعل أوقدوا نارًا ، وألقوا به فيها ، ولكنها كانت بردًا وسلاماً عليه بدل أن تحرقه ، وذلك قوله تعالى : ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ [١].فالله وحده جل فى علاه هـو المتفرد بطلاقة القدرة: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾ [٢].

أيها المسلمون ، نحن ـ المؤمنين ـ إذن نؤمن بطلاقة قدرة الله تعالى ، ونتقبل قضاءه إذا لم توصِّل الأسباب إلى النتائج التى تعودت أن توصل إليها، تسليماً له تعالى بما أَراد، ورضاً بما قدَّر ، قال رسولنا صلى الله عليه وسلم: « ماشاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن» .

أما غيرنا من الدهريين الماديين الذين يَتَسَمَّوْنَ على مدار الزمان بأسماء مختلفة ، فلا يؤمنون بطلاَقَة القُدْرَة وبالغيب ، بل يؤمنون بطلاقة الأسباب ، وقد أَوْرَدَتْهُم عقائدهم الفاسدة هذه موارد الهلاك ، انظر إلى ماصارت إليه روسيا التى كانت تحارب الإيمان بالله وبالغيب ، وتعد الدين أفيون الشعوب ـ من تفكك وانحلال ، وفقر وجوع ، وتفشى الجرائم ، وانحدار إلى أدنى المستويات ، وصيرورتها عبرة للمعتبرين ، بعد أن كانت تباهى بأنها القوة الأولى أو الثانية فى العالم !!

وسيكون مصيرها هذا هو نفس مصير من لايؤمنون بالغيب وبطلاقة قُدْرَة الله تعالى، ويحاولون إرغام الأسباب على أن تؤدى إلى النتائج التى يريدونها منها !!

---

(١) سورة الأنبياء : ٦٨ ـ ٧٠ .

(٢) سورة يس : ٨٢ .

أجل ، إن التوكل على الله من ألصق صفات المؤمن به ، وألزمها له ، ، وهو يتطلب الصبر والرضا إن لم توصل الأسباب إلى نتائجها المعهودة ؛ لأن الصبر والتسليم يحفظان للمسلم توازنه النفسى واعتدال مزاجه وقوة مناعته ،أما الجزع والضجر والتبرم والقلق والتوتر فتؤدى إلى فقدان هذا التوازن ، وضعف المناعة ، والإصابة بالأمراض النفسية والعلل الجسمية التى تزلزل حياة الشخص ، وتجعله كئيباً حزيناً ، معترضاً على ما أصابه ، ناقماً على ما حوله ، وكل ذلك لن يغير من الواقع شيئاً ؛ لأنه ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، قال صلى الله عليه وسلم : « عجباً لأمرِ المؤمن ، إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ له خير : إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ ، فكان خيراً له ، وإنْ أصابَتْهُ ضَـرَّاءُ صَبَرَ ، فكان خيراً له »(١).

أيها المسلمون ، لقد أنعم الله تعالى علينا فجعل من رسله وأنبيائه قدوة حسنة لنا فى التوكل عليه ، قال تعالى فى نوح عليه السلام : ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ**﴾(٢)

وهذا نبى الله هود ـ عليه السلام ـ يعلن لقومه توكله على الله ، وأنه لن يَأْبَه بكيدهم له ، وذلك فى قوله تعالى على لسانه:﴿**إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾(٣).

وهـذا نبى الله شعيب ـ عليـه السلام يعلـن لقومه توكله على الله ويوجههم إليه : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ** ﴾(٤).

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة يونس ـ من الآية : ٧١ .
(٣) سورة هود : ٥٦ .
(٤) سورة هود : ٨٨ .

وهذا نبى الله يعقوب ـ عليه السلام ـ يصرح بتوكله على الله فى قوله تعالى على لسانه: ﴿وَقَالَ يَا بَنِيَّ لا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(١).

وهذا رسول الله موسى ـ عليه السلام ـ يأمر قومه بالتوكل على الله إن كانوا قد آمنوا، فيجيبونه بأنهم توكلوا عليه تعالى : ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤) فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (٢).

وهذا هو خاتم الرسل ، وقدوتنا الحسنة ، حتى نلقاه شافعاً لنا مُشَفَّعًا إن شاء الله، يأمره ربنا بالتوكل عليه فى مواطن كثيرة منها قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(٣).

وقوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (٤).

وقوله تعالى : ﴿ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلاً ﴾ (٥).

---

(١) سورة يوسف : ٦٧ .
(٢) سورة يونس ـ الآيتان : ٨٤ و ٨٥ .
(٣) سورة هود : ١٢٣ .
(٤) سورة الأنفال : ٦١ .
(٥) سورة الأحزاب : ٤٨ .

وقوله تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴾. (١)

ثم هو صلى الله عليه وسلم يوجهنا إلى التوكل على الله ، ويرغبنا فيه فى مواقف كثيرة فى أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم : « يدخُلُ الجنة من أُمَّتى سبعون ألفاً بغير حساب ، هُم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » (٢) وقوله صلى الله عليه وسلم: « من قال (يعنى إذا خرج من بيته) : باسم الله ، توكلتُ على الله ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، يقال له : هُدِيتَ وَوُقيتَ وكُفِيتَ ، وتَنَحَّى عنه الشيطان » (٣).وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا خرج من بيته قال : « باسم الله ، توكلتُ على الله ، اللهم إنى أعوذُ بِكَ أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ ، أو أَظْلِم أو أُظْلَمَ ، أو أَجْهَلَ أو يُجْهَلَ عَلَيَّ » (٤).

أيها المسلمون ، هذا هو التوكل على الله ، إنه السير مع سُنَّة الحياة بالأخذِ بالأسباب، ثم تفويض الأمر إليه ، والاعتماد عليه ، والثقة به وبما عنده ، مع الرضا بقضائه وقدره ، عند ما لا تتحقق النتائج بتلك الأسباب ؛ لأن الأخذ بالأسباب لا يتنافى مع الإيمان بالقَضَاء والقدَر ، بل إن الله ورسوله دَعَوَا إليه ، قال النبى صلى الله عليه وسلم للأعرابى الذى جاء بناقته من غير قيد أمام مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : أأتركُها وأتوكل على الله ؟ قال له النبى إذ ذاك : « اعقلها وتوكل »(٥). أى خُذْ بسبب المحافظة عليها ، وهو تقييدها ، ثم انتظر صيانتها من الله تعالى . وعن على ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : كنا جلوساً مع النبى (ﷺ) ومعه عود ينكتُ فى الأرض ، وقال : ما منكم من أحد إلا قد كُتِبَ مقعدُه من النار أو من الجنة ، فقال

---

(١) سورة الفرقان : ٥٨ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، وغيرهم .

(٤) رواه أبو داود ، والترمذى ، وغيرهما بأسانيد صحيحة .

(٥) رواه الترمذى ،و ابن خزيمة ، والطبرانى .

رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله ؟ قال : اعملوا ، فَكُلٌّ مُيَسَّر لِمَا خُلِقَ له ثم قرأ: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴾ الآية .

فالمؤمنون المنيبون هم المتوكلون ؛ لأنهم على الحق المبين

والمتوكلون يحبهم الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١).

وهو كافيهم وحسبهم : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾(٢).

وهو لهم نعم الوكيل : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ (٣).

وهو العزيز الحكيم الذى يعتزون به ، ويسترشدون بأوامره : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ (٤).

وسيدخلهم ربهم الجنة ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « يدخلُ الجنة من أمتى سبعون ألفاً بغير حساب : هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون »(٥).

والمتوكلون لا سُلطان للشيطان عليهم ؛ لأنهم فوضوا أمرهم إلى ربهم ، ووثقوا به وبما عنده ، فلم يتركوا للشيطان منفذاً ينفذ منه إليهم ليضلهم ويجعلهم يؤمنون بالمادة وحتمية الأسباب ، ويكفرون بالغيب وطلاقة قدرة الله تعالى ، قال تعالى : ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ ﴾ (٦).

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية : ١٥٩ .
(٢) سورة الطلاق ـ من الآية : ٣ .
(٣) سورة آل عمران : ١٧٣ .
(٤) سورة الأنفال ـ من الآية : ٤٩ .
(٥) رواه البخارى .
(٦) سورة النحل : ٩٩ و ١٠٠ .

إِى وَرَبِّى ، إن الإسلام هو دين التوكل ، أما التواكل فليس من الإسلام فى شىء ؛ لآثارِه السلبية ، ولأنه أداةٌ تهدم المجتمع الذى يريد الإسلام بناءه على أَسس من العمل الدَّائبِ والجدِّ المتواصِل ، والأخذ بكل الأسباب المستطاعة ، قال تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ (١). فالإسلام دين عمل وجد ، ومن تعظيمه لقيمة العمل أنه قرنه بالإيمان فى نداءاته للمؤمنين فى آيات كثيرة : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٢). ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ﴾ (٣).

أجل ، إن الدين الإسلامى دين عمل بناء ، دين كفاح وإنتاج ، وتسخير لكل الطاقات لخدمة الإنسان وتيسير حياته ، ولعمارة الأرض .

وهو ـ من أجل ذلك ـ برىء من المتكاسلين المتواكلين ، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يعمل ، ويأمر بالعمل ، ويحث عليه ،وكذلك من سَبَقَهُ من الأنبياء والمرسلين ، وكذلك صحابته وتابعوه ومن يسير على نهجهم إلى قيام الساعة ، بل إن المؤمن إذا شرع فى عمل فقامت الساعة فلا يقطعه ، بل يمضى فيه ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنْ قامت على أحدكم القيامة وفى يده فَسِيلَة فَلْيَغْرِسْهَا » (٤).

وقَدِمَ قوم عليه صلى الله عليه وسلم ، وتحدثوا عن أحدهم ، فقالوا : يَصُوم النهار، ويقوم الليل ، ويكثر الذكر ، فقال صلى الله عليه وسلم : «أيكم يكفيه طَعَامَهُ وشَرابَه؟ قالوا : كُلُّنا ، فقال : كُلُّكُم خيرٌ منه » .

كما أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ رأى قوماً هاموا على وجوههم فى الأرض بدون عمل ، مُدَّعِينَ أنهم يتوكلون على الله ، فعلاهم بالدِّرَّة قائلا: بل أنتم المتوكلون على الناس ، اعملوا ، فإن السماء لاتمطر ذهباً ولا فضة.

---

(١) سورة التوبة ـ من الآية : ١٠٥ .

(٢) سورة الكهف : ٣٠ .

(٣) سورة الكهف : ١٠٧ .

(٤) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

أجل ، أجل ، لا مكان لهؤلاء المتواكلين فى مجتمعنا الإسلامى العامل المنتج ، المعمر للأرض ، الناشر للإصلاح والدعوة إلى الله ، الذى يعدُّ العملَ عبادة ، ويقدره حق قدره ؛ لأنه سبيل القوة ، والقوة سبيل العزة : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .. ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾(٢).

صدق الله العظيم ..

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه فإنه لايغفر الذنوب إلا هو .

---

(١) سورة المنافقون ـ من الآية : ٨ .

(٢) سورة الأنفال ـ من الآية : ٦٠ .

obeikandl.com

هاذم اللذات (المـوت)

الحمد لله الأول بلا بداية ، الآخر بلا نهاية ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له: ﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، الذى لو كُتِبَ الخلودُ لأحد فى الدنيا لكان أولَ الخالدين ، اللهم صل وسلِّمْ وباركْ عليه وعلى آله وأصحابه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما بعد فيأيها الإخوة المسلمون ، إن الله تعالى ماخلق آدم وذريتَه فى هذه الأرض إلا ليعمروها ويعبدوه فيها ، ويسبحوه ويقدسوا له ، ويسيروا فى حياتهم سيرًا صالحًا مسترشدين بالشرائع والمناهج التى أرسل بها رسله وأنبياءَهُ عليهم الصلاةُ والسلام .

وقد شاءت حكمتُه ألا يخلد أحدٌ على هذه الأرض مهما علا قدرُه، وعظم شأنُه ؛ إذ جعل لكل حيٍّ نهايةً هى الموت ؛ لينتقل به من ظاهر الأرض إلى باطنها فى قبره ، حيث يبقى فيه إلى أن تقوم الساعة، ويحاسَبَ على ما قدَّم ، وينتهى به الأمر إما إلى الجنة وإما إلى النار ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴾[2]،

(١) الحديد : ٢ .

(٢) المؤمنون : من ١٢ ـ ١٦ .

وقال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ (١)، وقال: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (٢).

فالموت - إذن - حقيقةٌ مؤكدة لامِرَاءَ فيها، وقاعدةٌ ثابتة لا استثناء منها، يستوى فيه الناس: ملوكُهم وسوقَتُهم، كُبراؤُهم وأدنَوْهم، طغاتهُم ورُحماؤُهم، فُسَّاقهم وصُلَحاؤهم، أغنياؤُهم وفقراؤهم، أقوياؤُهم وضعفاؤهم، أصِحَّاؤُهم ومرضاهم، أطفالُهم وشبابهم وشيوخهم.

ولوكتب الله تعالى الخلود لأحد فى هذه الدنيا لكان أولاهم به حبيبه ومصطفاه وخاتم رسله ﷺ، الذى خاطبه بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (٣)، وبقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (٤).

وعندما توفى ﷺ عظم على الناس هذا الأمر الجلَلُ، والخطبُ العظيم، وكان أشدهم انفعالاً وتأثرًا به سيدنا عمرُ - رضى الله عنه - ولم يهدأ رَوْعُه، وتستقر نفسُه إلا بعد أن تلا سيدُنا أبو بكر - رضى الله عنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٥).

أجل أيها الإخوة المسلمون، هذا هو الموت الذى لاتحول دونه شفاعةُ الشافعين، ولا رجاء الراجين، ولا منزلةُ أى واحد من الخلق أجمعين، ولن يستطيع أحد أن يهرب منه ولو اعتصم بِذُرَا الجبال، أو أحصن القلاع، أو اختفى فى أعماق الأرض، أو اختبأ فى لجج البحار، قال الذى بيده الحياة و الموت - جل شأنه -: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا

---

(١) طه: ٥٥.

(٢) الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(٣) الزمر: ٣٠.

(٤) الأنبياء: ٣٤، ٣٥.

(٥) آل عمران: ١٤٤.

يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [١] .

قد شاء الله تعالى أن يحدد لكل حى وقتًا يموت فيه ، بحيث لا تستطيع أية قوة فى الأرض أن تُقَدِّمَ هذا الميعاد أو تؤخره ؛ لأن ذلك لله تعالى وحده القائل : **﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾** [٢] .

وكم حدّد بعضُ الأطباء وقتَ وفاة مريض ، ثم تبين خطأ هذا التوقيت بأن أبرأ الله تعالى المريض ، أو أخّر وفاته عما حدّدوه أو قدّمها، مما جعل بعضًا من الأطباء غير المؤمنين بالله يؤمنون به وبأنه الواحد المحيى المميت ، وجعل المؤمنين منهم يزدادون إيمانًا فوق إيمانهم !!

أيها الإخوة المسلمون ، مِن حِكَم الله السامية أن أخفى عن كل شخص يومَ موته؛ إذ لو أعلمه إياه لتعطلتْ الأعمال ، واضطربت الأحوال ، واختلت الأمور ، وتغيرت أهداف الحياة عند كثير من الناس ، وفقدتْ الحياة من معانيها وأهدافها الكثير والكثير ، فسبحان العليم الحكيم ، الخبير البصير !!

وكما حدّد الله لكل حَيٍّ وقتَ وفاته حدَّد أيضا مكانَ هذه الوفاة ، استمعوا إلى قوله تعالى:**﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [٣] .

أيها الإخوة المسلمون ، لما كانت الحياة مِنحةً للعبد من الله الذى بيده وحدَه الحياة والموت ـ نرى أنه تعالى لم يُجِزْ لأحد أن يُنْهِى حياتَه بيده ، مهما عظمتْ آلامه أو تحطمتْ آماله ، أو أظلمتْ الدنيا فى عينيه ليأسِه من الشفاء ، فقد يكون ما أصابه فى الدنيا عقوبةً على إثم ارتكبه ، أو ابتلاءً يستدعى الصبرَ عليه حتى ينال جزاء الصابرين .

---

(١) النساء : ٧٨ .

(٢) سورة الأعراف : ٣٤ .

(٣) لقمان : ٣٤ .

أمّا ما أقرته قوانين هولندا فى نهاية عام ٢٠٠٠ من جواز إنهاء الأطباء حياة المريض بالشروط المشروطة لذلك ، إذا رغب فى إنهائها ؛ ليأسه من الشفاء أو لعجزه عن تحمل آلام مرضه ، بما أسموه (القتل الرحيم) ـ فهو عبث مرفوض ، نهى عنه الله تعالى ورسوله ، بل هو يأس من رحمة الله ، وقتلُ نفس حرّم الله تعالى قتْلَها إلا بالحق ومن أدراهم أن مرضه سيستمرّ ، أو أنه سيظل عاجزا ، عن تحمل آلامه ؟ ألا يجوز أنهم لوتركوه لتوصّل الطب إلى طريقة لشفائه أو لتخفيف آلامه ؟

اللهم إنا نبرأ من هذه الجريمة النكراء ، والجرأة الشنيعة ، والقوانين الضالة المتخبطة التى تدل على عدم فهم مدى حرية الإنسان فى تصرفاته ، بل على التجرد من الحياء ، وصدق الرسول الرحيم ﷺ إذ يقول : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى ، إذا لم تستح فاصنع ماشئت »[(١)] .

لقد نهى الرسول ﷺ عن مجرد تمنّى الموت ، حيث يقول : « لايتمنين أحدُكم الموتَ لضُرٍّ أصابه ، فإن كان لابد فاعلاً فلْيقلْ : اللهم أَحْيِنى ماكانت الحياة خيرًا لى ، وتوفّنى إذا كانت الوفاة خيرًا لى »[(٢)] .

إذن نحن لا نملك إلا أن نعيش حياتنا التى قدرها لنا ربنا ، وإذا أمعنّا النظر فى مداها وجدنا أيامها وشهورها وسنواتها مهما طالت محدودة ، بل معدودة ، فالعاقل الذى أسلم وجهه لله تعالى واستقام ، مَن وعى ذلك كل الوعى ، وأيقن أن الله تعالى جعل الدنيا دار ممرٍّ إلى دار البقاء و الخلود ، وعاش فيها غريبا أو عابر سبيل ، كما قال ﷺ « كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل »[(٣)] ، فتزودَ من دنياه لآخرته بخير زاد، وهو مأشار إليه ربنا بقوله ﴿ **وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ** ﴾[(٤)] وذلك بفعله ما أمر به ، واجتناب مانهى عنه ، وإصلاح علاقته بربه وبنفسه وبالناس أجمعين ، وبالتحرر من الهوى ووسوسة الشياطين ، وبملازمة صراط الله المستقيم .

على أن التقوى لاتحرم المؤمنَ من التمتع بالطيبات وكل ماأحله الله تعالى فى هذه

---

(١) رواه البخارى .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه البخارى .

(٤) البقرة : ١٩٧ .

الحياة الدنيا من الطعام و الشراب ، وإشباع شتى الرغبات ، مادام واضعًا نصبَ عينيه أن اليومَ عملٌ ولا حسابَ ، وغدًا حساب ولاعمل ، قال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧) وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ (٢).

وقال ﷺ : « خيركم من لم يترك دنياه لآخرته ولالآخرته لدنياه ، ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه » .

وكما جعل الله تعالى الدنيا دار ممر إلى دار مقر ، فقد جعلها دار ابتلاء ، ليعلم أى الناس أحسن عملا ، وليجازى كُلاًّ على ماقدَّم فيها ، استمعوا إليه تعالى إذ يقول : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ (٣) ، وإذ يقول : ﴿ الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ ﴾ (٤) .

فالعاقل من أحيا ضميره ، وأيقظ همته ، وبذل أقصى طاقاته فى تقوى الله بتنفيذ شريعته ، والاستقامة على صراطه ، مقيمًا علاقاته بربه وبنفسه وبالناس على أقوم الأسس ، متذكرًا دائما قوله ﷺ : « أكثروا من ذكر هاذم اللذات » (٥) وقوله « بادروا بالأعمال سبعًا : هل تنتظرون إلا فقرًا مُنسيًا ، أو غِنًى مُطغيا ، أو مرضًا مُفسِدًا ، أو هرمًا مُفنِّدًا ، أو موتًا مُجهِزًا ، أو الدجال فشرُّ غائبٍ يُنتَظَر ، أو الساعةَ والساعةُ أدهى

(١) الأعراف : ٣٢.
(٢) المائدة : ٨٧ ، ٨٨.
(٣) الملك : ١ ، ٢ .
(٤) العنكبوت : ١ ، ٢ .
(٥) رواه الترمذى ، : وقال : حديث حسن .

وأمرٌ »[1] مدركاً أن الله تعالى الذى يعلم خائنة الأعين وما تُخفى الصدور قد جعل عليه ملكين عن يمينه وشماله ، يسجِّلان كل ما يقول وما يفعل ؛ ليحظى برضا ربه ، ويكون من الذين يأخذون يوم القيامة كتبهم بأيمانهم ، ويقول الله تعالى فيهم ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾[2] .

أيها الإخوة المسلمون ، ما بالنا نرى فى عالمنا الإسلامى ناسًا مدرَجين فى قوائم المسلمين ، محسوبين على الإسلام وهم عنه بعيدون ، وعن شريعته ناءون ، قد استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، وسلط عليهم الدنيا فغرَّتهم بزخارفها ، وألهتهم بمباهجها ، وخدعتهم بملذاتها ، وفتنتهم أموالهم وأولادهم وسلطانهم وجاههم ، فأفسدوا الأرض بعد إصلاحها ، ناسين أن الموت أقرب إليهم من حبل الوريد !

وإنى لأرى من واجبى أن أصيح فيهم هذه الصيحة لعلهم يفيقون وبموت من سبقوهم ممن كانوا أعتى منهم يتعظون :

أيها الغارقون إلى آذانكم فى الشهوات ، المتعطشون دائما إلى الملذات ، المتسابقون فى ارتكاب المحرمات ، المتناولون المسكرات والمخدرات ، المعتدون على الأعراض والحرمات ، أما كفاكم ما أحل الله تعالى لكم من الطيبات ؟ لقد أنهكتم أجسامكم بالسهر ، وأضعتم أموالكم فى كل مايضر ، وأغضبتم ربكم بأعمالكم ، وجعلتم من أنفسكم قدواتٍ سيئةً لأبنائكم ، حتى ضيعتم أُسَرَكم ، وقطعتم أرحامكم ، فمتى تخشع قلوبكم ،وتطهر من المعاصى والرذائل نفوسكم ، وتسمعون قول رسولنا ﷺ «أكثروا من ذكر هاذم اللذات » ؟ أما علمتم أن اليوم عمل ولاحساب ، وغدًا حساب ولاعمل ؟ فإن لم تدركوا أنفسكم ، وترجعوا عن غيكم ، وتتوبوا إلى بارئكم ، فأبشروا بسوء المصير ، وبأنكم ستُؤْتَوْن كتبكم بشمالكم ، وتكونون ممن قال الله تعالى

(١) رواه الترمذى ، قال : حديث حسن .

(٢) الحاقة : من ١٩ ـ ٢٤ .

فيهم: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [1].

وأنتم أيها المتمادون في طغيانكم ، المتعالون بجاهكم وسلطانكم ، المتباهون ببطشكم وعدوانكم ، أما علمتم أنكم إلى الموت صائرون كما صار الأوائل ، وكما سيصير الأواخر؟ لقد عصيتم الرحمن ، واتبعتم الشيطان ، حتى اسودت صفحاتكم ، وساءت عواقبكم ، ولم تعتبروا بعاقبة من كانوا أكثر منكم أموالاً ، وأعز رجالاً ، وأشد قوة ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر ، وجعلهم عبرة لكل معتبر ، وقال فيهم : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾[2]

فإلى متى تنسون الموت ، وتغفلون عن ذكر الله ؟

فهيا أنقذوا أنفسكم من الفساد ، وتوبوا إلى رب العباد ، عسى أن يقبلكم ، فتدركوا فيما بقى من أعماركم ما قد يزيل آثار معاصيكم وآثامكم.

أيها الإخوة المسلمون ، أسأل الله تعالى أن يعيننا على طاعته ، وألا تدركنا الغفلة عن الموت ، وأن يمنحنا عفوه ورضاه .

قال ﷺ : « الكيِّسُ من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أ تبَعَ نفسه هواها وتمنى على الله » [3] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم وللمسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الحاقة : من ٢٥ ـ ٢٩ .

(٢) الفجر : من ٦ ـ ١٤ .

(٣) رواه الترمذى ، قال : حديث حسن .

ميلاد رسول ورسالة

الحمد لله رب العالمين ، الرحمنْ الرحيم ، وأشهد أن لا إلهْ إلا الله وحده لا شريك له ، وليُّ المؤمنين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، وُلِدَ فكان ميلاده أعظم ميلاد فى سجل مواليد البشر جميعاً ، ثم أرسله ربنا بالهدى ودين الحق لِيُظْهِرَهُ على الدين كُلِّه ولو كره المشركون ، فَبَلَّغَ الرسالة ، وأدَّى الأمانَةَ ، ونصح للأمة ، وكشف الغمة، وجاهد فى الله حق جهاده حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، لقد جعل الله تعالى آدم وذريته خلفاء له فى الأرض ؛ ليعمروها ويعيشوا فيها ، مخلصين العبادة له وحده ، وقد اقتضى ذلك أن يرسل الله إلى الناس رسلاً وأنبياء ، يبشرونهم بالجنة إنْ وحَّدُوا الله وأطاعوه ، ويخوفونهم النارَ إن عَصَوْهُ وأشركوا به شيئاً ؛ وذلك لئلا يكون للناس على الله حُجة بعد الرسل فى الإشراك بالله ومعصيته ، قال تعالى : ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً**﴾ (١).

أجل ، من أجل ذلك أرسل الله تعالى من بين الأقوام فى مختلف الأماكن أنبياء ورسلا اصطفاهم منهم ، يدعونهم إلى عبادة الله وحده ، ويبينون لهم الهدى من الضلال ، ويهدونهم إلى الصراط المستقيم ، من هؤلاء الرسل مَنْ ذَكَرَ الله تعالى أخبارهم لرسولنا صلى الله عليه وسلم، ومنهم من لم يذكرهم له ، قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ**

(١) سورة النساء : ١٦٥ .

أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾(١).

وكان كل رسول أو نبى يصدق من سبقه من الأنبياء والرسل فى دعوتهم الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له ، وفعل الخير وترك الشر .

وظل الحال كذلك فى إرسال الأنبياء والرسل إلى أن جاء عيسى بن مريم مصدقاً لما بين يديه من التوراة ، قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ﴾(٢). ثم شاءت حكمته تعالى أن يجعل من يأتى بعد عيسى عليه السلام خاتما للأنبياء والرسل ، ورسولا إلى الناس كافة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣). وأن يجعل عيسى بن مريم عليه السلام آخر أنبياء بنى إسرائيل يبشر بمجيئه من بعده ، ذاكرًا اسمه ، وهو أحمد ، الدال على أنه سيبعث من الأمة العربية، لا من بنى إسرائيل، قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾(٤).

ثم صدقت بشارة عيسى عليه السلام بمجىء أحمد ، ذلك أنه لما صارت الأمور فى الجزيرة العربية إلى ماصارت إليه من ظلم وظلمات ، متمثلة فى عبادة الأوثان والأصنام والجهالة ، واستعباد القوىّ للضعيف ، ووأد البنات، وانتشار الرِّبَا والزِّنَى ، واللهو والعبث والفجور ، وتفشى الميسر وشرب الخمور ، والاستقسام بالأزْلام ، وجفاف ينابيع الرحمة فى القلوب ـ لما صارت الأمور إلى هذه وغيرها كان من رحمة الله تعالى أن يرسل رسوله بالحق بشيرًا ونذيرًا ؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، كما كان من لطفه تعالى ألاَّ تكون رسالته مقصورة على

(١) سورة غافر ـ من الآية : ٧٨ .

(٢) سورة الصف ـ صدر الآية : ٦ .

(٣) سورة سبأ : ٢٨ .

(٤) سورة الصف : ٦ .

قومه العرب، بل تكون إلى الناس كافة ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١).

نعم : وُلِدَ الهُدَى فالكـائـنَـاتُ ضِـيَـاءُ

وفَـمُ الـزمـانِ تـبَـسُّـمٌ وثـنَـاءُ

وُلِدَ خاتم الرسل والنبيين فى فجر يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول عام الفيل ، لأربعين سنة قبل المبعث ، ومضت حياته منذ مولده حتى وفاته كما قدَّرَهَا الله تعالى ؛ ليكون القدوة الحسنة للناس جميعاً فى جميع مراحل حياته ، وسيظل كذلك إلى أن يرث الله الأرض ومَنْ عليها ، إذْ مات أَبُوه وهو جنين فى بطن أُمه ، فَوُلِدَ يتيماً ، فجاء يُتْمُهُ عزاءً للأيتام ، ومصدر اعتزاز ، لا مصدر ضعف وهوان ، وأَسْمَاهُ جده عبد المطلب «محمداً» ومن قبلُ ذَكَرَ عيسى بن مريم حين بَشَّرَ به أن اسمه «أحمد» وكلا الاسمين مشتق من الحمد الذى هو جدير به وأهل له !

وأرضعته «حليمة» السعدية ، فكانت إقامته معها خيراً وبركة ، حتى إنها عندما فطمته لبلوغه عامين رجَتْ أُمَّهُ أن تبقِيه عندها حتى يشتدَّ ؛ لتستبقى البركة والخير ببقائه عندها .

ولما بلغ ست سنين توفيت أمه ، فكان قدوة لمن ماتت أمه فى ألاَّ ييْئَسَ من رَوْح الله تعالى ، بل يتحمل قضاءه برضاً وامتثال ، وبموت أمه انتقلت كفالته إلى جده عبد المطلب الذى لم يلبث أن مات ومحمد فى الثامنة من عمره ، فانتقلت كفالته إلى عمه أبى طالب ، مع كثرة عياله ، وثقل أعبائه ومسئولياته ؛ تنفيذاً لوصية عبد المطلب إياه برعايته والاهتمام بشأنه ، فأَحَبَّهُ محمد وتعلَّقَ به ، ورعاه أبو طالب أكمل رعاية ، وأعزه وأكرمه ، وظل طوال حياته يحوطه بعطفه وحمايته والذود عنه ، فشب فَطِناً أَبِيًّا،

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٨ .

صادقاً، أميناً وفيًّا، متحلياً بأعظم الأخلاق والمروءات ، متمتعاً بين قومه بأحسن ذكر، مشهورًا بأنه الصادق الأمين !

وعندما بلغ الرابعة أو الخامسة عشرة هاجت حرب الفجار [1] بين قريش ومن معهم من كنانة ، وبين قيس غيلان ، وشهد بعض أيامها ، إذْ أَخْرَجَهُ أعمامه معهم ، فكان ينبلُ عليهم (أى يرد عنهم نبل عدوهم إذا رموهم بها) .

ولذيوع أمانته وصِدْقِه عرضَتْ عليه خديجةُ بنت خُوَيْلد أن يخرج فى مالٍ لها إلى الشام تاجرًا ، فقبل ، وخرج معه غلامها مَيْسَرَة ، حتى قدم الشَّامَ ، ثم باع سلعته ، واشترى ما أراد ، ثم عاد إلى مكة ومعه ميسرة ، فلما قَدِمَ على خديجة بمالها باعَ ماجاء به، فأُضْعِفَ أو قريباً ، وحدَّثها ميسرة عماَّ كان من محمد حديثًا رغَّبها فى الزواج منه ، فقبِلتْه وفضَّلتْه على من تقدم لها من عِلْية القوم وأغنيائهم ؛ لما يتمتع به من خُلُق عظيم، وكانت سِنُّهُ إذ ذاك خمسة وعشرين عاماً ، فصحبته فى رحلة حياتها معه أحسن صحبة : أعطته مالها ، وأمدَّته بمشورتها ، وصَدقَتْ بما جاء به ، ولم تتخلَّ عنه فى أحلك ساعات الشدة ، بل أيدته كل التأييد ، ورزقه الله منها كل أولاده إلاَّ إبراهيم فإنه كان من مارية القبطية ، وقد حفظ صلى الله عليه وسلم لها صنيعها طوال حياته ، قبل الرسالة وبعدها ، بل وبعد وفاتها !!

وعندما كان فى الخامسة والثلاثين من عمره ، واختلفت قريش فيمن يضع منها الحجر الأسود فى مكانه وهم يبنون الكعبة، رَضُوا رأيه ؛ إذْ كان ملقباً عندهم بالأمين، فقال : هَلُمَّ إلىَّ ثوباً ، فَأُتِى به ، فأخذ الركن (أى الحجر الأسود) فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لِتَأْخُذْ كلُّ قبيلة بناحية من الثوب ، ثم ارفعوه جميعاً ، ففعلوا حتى إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده ، ثم بنى عليه ، وبذلك انتهى الخلاف ، وهدأت العاصفة ، وسعدوا برأيه الذى ألهمه الله تعالى إياه !

فلما بلغ أربعين سنة اصطفاه الله تعالى وبعثه رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيراً ، وكان أول ما بُدِئَ به من الوحى الرؤيا الصادقة ، فكان لايرى رؤيا إلا جاءَتْ كَفَلَقِ الصبح ، ثم جاءه جبريل بأمر الله تعالى فى إحدى ليالى شهر رمضان ، وهو معتكف فى غار حراء ، قائلاً له : اقرأ ، قال : ماأنا بقارئ ؛ فجذبه حتى احتبس

---

(١) سمى يوم الفجار بهذا الاسم ؛ لأن الحيَّين كنانة وقيس غيلان قد استحلا فيه المحارم فى شهر حرام.

منه النفس ، وظن أنه الموت ، ثم أرسله ، فقال : اقرأ ، قال : ما أنا بقارئ ، فضمه إليه ضمة أخرى ، حتى ظن أنه الموت ، ثم أرسله، فقال : اقرأ ، قال : ماأنا بقارئ فقال جبريل : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ** ﴾[1]. وأثناء مُنْصَرَفِهِ وهو عائد إلى بيته سَمِع وهو فى وسط الجبل صوتاً من السماء يقول : «يامحمد، أنت رسول الله ، وأنا جبريل» مرتين .

ولما وصل إلى بيته حدَّث خديجة بما حدث ، فقالت : أَبْشِرْ يابن عَمِّ واثبت ، فوالذى نَفْسُ خديجة بيده إنى لأرجو أن تكون نبى هذه الأمة ، ثم قامت فجمعت عليه ثيابها تحميه من رَعْشَة كانت به من أثر ما ناله ، ثم انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذى كان يدين بالنصرانية ، ويسمع من أهل التوراة والإنجيل ، فقصت عليه ما أخبرها محمد ، فقال ورقة : «قُدُّوسٌ ، قُدُّوس ، والذى نَفْسُ وَرَقَةَ بيده لئن كُنْتِ صَدَقْتِنى ياخديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى عليه السلام ، وإنه لنبيُّ هذه الأمة فقولى له فليثبت » فآمنت به خديجة ، وكانت بذلك أولَ مَنْ آمن به ، وصدَّق بما جاء به .

ثم انقطع الوحى عنه مدة ، حتى شق ذلك عليه وأحزنه ، فجاءه جبريل بسورة الضحى : ﴿**وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ**﴾ .

فجعل الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه من النبوة سِرًّا إلى من يطمئن إليه من أهله ، فآمن به وصدَّق بما جاء به من عند الله تعالى عليٌّ بن أبى طالب، وزيد بن حارِثَة ، وأبو بكر بن قحافة ، وعُثمان بن عَفَّان ، والزُّبَيْرُ بن العَوَّام، وعبدُ الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص، وطلحة بن عبيد الله...

ثم دخل الناس فى الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء ، حتى فشا ذكر الإسلام بمكة ، وبعد ثلاث سنوات من التخفى بالدعوة أمره الله تعالى أن يجهر بها : ﴿ **فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[2].

---

(١) سورة العلق : ١ ـ ٥ .
(٢) سورة الحجر : ٩٤ .

ويمضى الرسول فى دعوته متحملاً فى سبيلها تكذيب المشركين ، ورميهم إيَّاه بأنه شاعرٌ ، وكاهن ، وساحر ، ومجنون ، وبأن ما ينزل عليه من الوحى إنْ هو إلاَّ أساطيرُ الأولين اكتتبها ، فهى تُمْلَى عليه بكرة وأصيلا ، مع أنهم شهدوا له قبل مبعثه بأنه الصادق الأمين ، وعرفوا أنه أُمِّىٌّ لا يقرأ ولا يكتب، ومتحملا فى سبيل دعوته أيضاً ألواناً من الإيذاء لا قِبَلَ لغيره بتحملها ؛ إذ كيف يُسَفِّهُ عقولهم ، ويسب آلهتهم ، ويقول عنها : إنها ليست سوى حجارة لا تملك لأنفسها ولا لمن يعبدونها ضرًّا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشورًا ؟

إنه أول من تجرأ عليهم وعلى آلهتهم ، وأعلن ذلك على الملأ ، مع أنه ليس ملكاً ، وإنما هو واحد منهم يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق : ﴿ **وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا** ﴾ (١).

وكانت خطتهم لإطفاء دعوته تسير فى اتجاهين :

١ ـ اتجاه الإيذاء النفسى والبدنى له ولمن اتبعوه ما استطاعوا ؛ أملاً فى ردعهم وفتنتهم عن دينهم وإعادتهم إلى عبادة الأصنام .

٢ ـ واتجاه الإغراء ، لعله يريد بما قام به أن يحقق من الآمال والمنافع الدنيوية ما يراود بعض الطامحين ؛ ومن ثَمَّ عرضوا عليه أن يكون ملكاً عليهم ، أو يأخذ ما يطمع فيه من مال يجمعونه له ، حتى يصير أكثرهم مالاً ، كما عرضوا عليه أن يعرضوه على أمهر أطبائهم ؛ ليشفيه مما به ، إنْ كان قد مسَّه الجن أو الجنون .

ولكنه يمضى هو ومن آمنوا به فى إظهار دين الله والدعوة إليه ، سالكين طريق التحدى للمشركين ، صابرين على ما يلحقهم فى سبيل ذلك من الإيذاء النفسى والبدنى ، ويرفض ما عرضوه عليه من إغراءات ، قائلا لعمه أبى طالب الذى نَقَلَ إليه هذا العرض : « والله ـ ياعمِّ ـ لَوْ وَضَعُوا الشمسَ فى يمينى والقمر فى يسارى

(١) الفرقان ـ الآيتان : ٧ و ٨ .

عَلَى أن أَتْرُكَ هذا الأمر حتى يُظْهِرَهُ الله أو أَهْلِكَ دونه ما تركته » .

ثم يأمر من أراد الهجرة ممن تبعوه أن يهاجروا إلى الحبشة ، وتُرْسِل قريش رُسُلَهَا إلى النجاشى ليعودوا بالمسلمين من بلاده ، فيرفض النجاشى طلبهم.

وهنا يزدادون يأساً من صَرْفِه عن دعوته ، ومن فتنة من اتبعوه عن دينه ، فيجربون سلاحاً آخر ؛ لعله يحقق ما أرادوا ، هذا السلاح هو المقاطعة الاجتماعية الاقتصادية ، إذْ تعاهدوا على ألاَّ يَنْكِحُوا إلى بنى هاشم وبنى المطلب ، ولا يُنْكِحوهم ، ولا يبيعوهم شيئاً ، ولا يبتاعوا منهم ، وكتبوا هذه المعاهدة فى صحيفة علقوها فى جوف الكعبة ؛ توكيداً على أنفسهم .

وتظل هذه المعاهدة سارية المفعول سنتين أو ثلاثاً ، يجهد فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تبعه وأيده ، حتى يُقَيِّضَ الله مَنْ يذهب إلى هذه الصحيفة ليشقها ، فَيُفَاجَأ بأن الأَرَضَةَ قد أكلتها !!

وتمضى قافلة الدعوة قُدُماً نحو هدفها السامى ، محطمة ما يعترض طريقها من عقبات ، ويمضى القرآن ينزل آيات بينات شاهدة على صدق الدعوة والداعى ، ومعجزة فى البلاغة والبيان ، ويتحداهم الرسول صلى الله عليه وسلم أن يأتوا بمثله أو بسورة من مثله أو بآية من مثله ، فيعجزون، ويظل الناس يدخلون فى دين الله ، فيزداد المسلمون عددًا وقوة ، ويتمادى المشركون فى اضطهادهم وملاحقتهم ومطاردتهم، فلا يزيدهم ذلك إلا تمسكاً بدينهم .

ويُمْتَحَنُ الرسول صلى الله عليه وسلم بموت أقوى نصيرين له : زوجه خديجة ، وعمه أبى طالب ، فتنال قريش من إيذائه مالم تكن تناله منه فى حياتهما ، فيخرج إلى الطائف يلتمس النُّصْرَةَ من ثَقِيف ، ويدعوهم إلى الله ، فيردونه ردًّا قبيحاً ، ويُغْرُون به سَفَهاءَهم وعبيدهم ليسبوه ويصيحوا به ويرموه بالحجارة !

ويُسْرِى الله تعالى برسوله من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ويعرج به إلى السمٰوات حتى سدرة المنتهى، وينقل الرسول نبأ تلك الرحلة (البَرِّجَوِّيَّة) إلى الناس: فمنهم من اهتز يقينه، فعاد إلى الكفر ، ومنهم من ازداد إيماناً وتصديقاً بما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لا ينطَقُ عن الهَوَى ، كما قال فيه ربه سبحانه

وتعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾ [1].

ولا يزيده اشتدادُ البلاء إلا صمودًا وصلابة ، ومُضِيًّا فى أداء رسالته .

ويشاء الله لهذه الدعوة أن تنتقل إلى طور آخر تزداد فيه انتشارًا ، ويزداد المسلمون فيه عِزَّةً ومنَعَة ، فتتم بيْعتَا العقبة ، على أن تمنع الأوْسُ والخَزْرَجُ الرَّسُول صلى الله عليه وسلم مما تمنعان منه نساءهما وأولادهما !!

وينشط المسلمون فى الهجرة إلى المدينة فُرادَى وجماعات ، تاركين ديارهم وأموالهم وأولادهم ، حتى لا يبقى بمكة إلا الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر وعلى ابن أبى طالب ، وزيد بن ثابت ، وصهيب الرومى ، وقليل من المستضعفين الذين لا يستطيعون الانتقال !!

وترتعد قريش ، وتتزلزل الأرض تحت أقدامها من ظهور الإسلام فى المدينة ؛ خشية أن يقوى أمر محمد بها ، ويثب هو وأهلها عليهم ، فيجتمعون فى دار الندوة للتشاور والوصول إلى قرار ينقذهم من هذا المصير المؤلم ، وتنتهى مشاوراتهم إلى وجوب الإسراع فى قتله ؛ ليتخلصوا منه ، وتذوق جنوبهم راحة الرقاد .

ولكن ربك لهم بالمرصاد ؛ إذ أخْبَرَ رسوله بما انْتَوَوْا فعله ، وأمره بالهجرة إلى المدينة، فخرج مهاجرًا إليها مع صديقه أبى بكر هجرة لا يسمح المقام بذكر تفاصيلها وعبرها ، خشية التطويل ، ويصل الرسول وصاحبه إلى المدينة ويستقبله أهلها أروع استقبال ، ويسميهم الأنصار ، ويؤاخى بينهم وبين المهاجرين ، ويُظهر الأنصار من صور الإيثار مالم يعرف تاريخ الإنسانية له مثيلاً من قبل ومن بعد !!

وتبدأ بالهجرة مرحلة استقرار الدعوة ، كما تبدأ الغزوات المكللة بالنصر من أجل نشرها ، ودفاعاً عنها ، وتنزل عليه صلى الله عليه وسلم سورة النصر [2] ، فيعود إلى مكة فاتحاً ، ويدخل أهلها فى دين الله أفواجاً .

(١) سورة النجم : ١ ـ ٥ .

(٢) هذا على الرأى القائل بنزولها منصرف الرسول (ﷺ) من خيبر التى كانت قبل فتح مكة الذى كان غيبا أخبرت به هذه السورة قبل وقوعه .

وييئس الذين كفروا من رجوع المسلمين عن دينهم ، ويتم تأسيس دولة الإسلام على دعائم راسخة من العقيدة الصحيحة ، والتشريع الشامل المتكامل الصالح لكل زمان ومكان حتى قيام الساعة ؛ لأنه منهج رب العالمين ، الخبير بتكوين النفوس وخفاياها، العليم بما يُصْلِحها ويَصْلُح لها من الأنظمة والقوانين ، البصير بتنظيم علاقة المرء بخالقه وبنفسه وبمجتمعه .

تشريع مَنْ سَارَ عليه سلك طريقه إلى الجنة ، ومَنْ حَادَ عنه تَخَبَّطَ وخَسِرَ الدينا والآخرة !!

ويظل الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة عشر سنوات ، يكمل فيها هذا الدين الذى تمت به نعمة الله ، ويحج فى العام العاشر ، ويخطب خطبة يدرك أصحابه منها أنَّ أَجَلَهُ قد دنا ، وينزل عليه وهو واقف بعرفة ـ وكان يوم جمعة ـ قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾[(١)].

ويعود من حجة الوداع ، وتتنزل عليه آيات الكتاب إلى أن نزلت عليه آخر آية فيه ، وهى : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ**﴾[(٢)]. وبها يتم التنزيل ، ويكتمل التشريع ، ويعيش الرسول صلى الله عليه وسلم بعد نزولها تسع ليال ، ثم يلحق بالرفيق الأعلى ، رحمه الله ، وصلى عليه وسلم، وجزاه عن أمته وعن الإنسانية كلها خير الجزاء :

أيها الإخوة المسلمون ، هكذا كانت حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حياة جادَّة، لا لهو فيها ، ولا عبث ولا مجون ، ولا ترف ؛ لأن الله تعالى الذى اصطفاه لحَمْلِ رسالته وتبليغها إلى الناس جميعاً قد أَعَدَّهُ لذلك أَسْمَى وأكمل إعداد ، صلى الله وسلم وبارك عليه حتى تقوم الساعة ، قال صلى الله عليه وسلم : « إنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأنبياء من قبلى كمثَلِ رَجُلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأَجْمَلَهُ إلاَّ مَوْضِع لَبِنَةٍ من زاوية ، فجعل

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية : ٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨١ .

النَّاس يَطُوفُونَ به، ويَعْجَبُونَ له ، ويقولون : هَلاَّ وُ ضِعَتْ هذه اللَّبِنَة ! قال : فأنا اللَّبِنَةُ ، وأنا خاتم النبيين [١] .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) متفق عليه .

obeikandl.com

الداعى والدعوة

الحمد للّٰه الذى له الحمد فى الأولى والآخرة ، وله الحُكم ، وإليه المرجع والمصير ، وأشهد أن إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، بَعَثَ برحمته إلى البشرية رُسُلاً مبشرين ومنذرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اختاره الله تعالى ليختم به الأنبياء والمرسلين ، اللهم صَلِّ وسُلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهَدْيِهِ ، ودَعَا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، عرضت فى الخطبة السابقة بإيجاز مراحل حياة الرسول ﷺ منذ أضاء الكون بمولده ، حتى توفاه الله تعالى بعد أن أدى رسالته أعظم ما يكون الأداء .

ولعله من الواجب بعد ذلك أن أقف وقفة مع الداعية والدعوة نستوحى منها العظة والعبرة :

أما عن الداعى فقد غَيَّرَ وجه الدينا ، وأنقذ البشرية فأخرجها من الظلمات إلى النور، وأحدث من الإصلاحات فى شتى الميادين ماجعله أعظم المصلحين على الإطلاق فى تاريخ الإنسانية ؛ لأنه حرر العرب ، ونقلهم من عبادة الأصنام والأوثان، إلى عبادة الله الواحد الديان ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الظلم إلى العدل ، ومن الباطل إلى الحق ، ومن العبودية إلى الحرية، ومن التمايز الطبقى إلى الأخوة والمساواة ، ومن متاهات الجهل والخرافات والأوهام إلى رياض المعرفة والعلم ، ومن الكذب إلى الصدق ، ومن الخيانة إلى الأمانة ، ومن الكِبْرِ إلى التواضع ، ومن الاستبداد بالرأى إلى الشورى ، ومن القسوة إلى الرحمة ، ومن الغدر إلى الوفاء ، ومن مستنقع الرذيلة والشهوات والأطماع إلى جنات الفضائل والأخلاق ، ومن وَأْد

البنات إلى تركهن أحياء ، ومِنْ ظُلْم المرأة إلى إنصافها وتدعيم كيانها ، وجعل مقياس التفاضل بين الناس جميعاً التقوى والعمل الصالح ، لا الجنس ولا اللون ولا الغنى والجاه وغير ذلك من المعايير الظالمة ، ولقد صدق ﷺ إذ قال : « إنما بُعثتُ لأتمم مكارم الأخلاق »[(١)].

ولم يكن له فى دوره هذا مطمع شخصى ، أو مأرب ذاتى من مُلْكٍ أو جاه أو سلطان أو غِنًى ، أو غير ذلك من المطامع التى تشوه دور الدعاة ، وكان حسبه جزاءً على هذا الدور التصحيحى والبنائى ما ناله من تشريف وتكريم وتعظيم يتمثل فى أمور كثيرة ، أذكر منها :

١ ـ أن الشهادة برسالته جزء من كلمة الإيمان التى هى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأنها تتكرر فى الأذان والإقامة ، وفى التشهد فى كل صلاة مفروضة أو نافلة .

٢ ـ أن الله تعالى يصلى عليه ، ويأمرنا بالصلاة عليه : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾[(٢)]

٣ ـ أن القرآن جاء فيه ثلاث سُوَرٍ سمُيت كل منها باسم من أسمائه ، وهى : محمد، وطه ، ويس فى أحد الأقوال .

٤ ـ أن اسمه (محمداً) ذُكر فى عدة آيات ، منها قوله تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ [(٣)]. كما جاء اسمه (أحمد) فى الآية السادسة من سورة الصف الآتى ذكرها .

٥ ـ أنه ﷺ جاء دعوة أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام ، كما جاء فى القرآن على لسانه بعد أن بنى الكعبة : ﴿**رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ** ﴾ [(٤)].

---

(١) رواه مالك .

(٢) سورة الأحزاب : ٥٦ .

(٣) سورة آل عمران ـ من الآية : ١٤٤ .

(٤) سورة البقرة ـ من الآية : ١٢٩ .

كما جاء بُشْرَى عيسى عليه السلام ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (١).

سأله أصحابه ﷺ فقالوا : يارسول الله ، أَخْبِرْنَا عن نفسك . قال :« دعوةُ أبى إبراهيم ، وبُشْرَى عيسى ، ورَأَتْ أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور بُصْرَى من أرض الشام » .

كما جاء نعته وصفته فى التوراة ، قال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ﴾ (٢).

٦ ـ أنه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، كما فى قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ (٣).

٧ ـ أن الله تعالى أرسله إلى الناس كافة فى كل زمان ومكان حتى تقوم الساعة ، حيث يقول :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٤).

ويقول: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٥)

٨ ـ أن الله تعالى أرسله رحمة للعالمين حيث يقول : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٦).

---

(١) سورة الصف : ٦ .
(٢) سورة الأعراف ـ من الآية : ١٥٧ .
(٣) سورة الأحزاب : ٤٠ .
(٤) سورة سبأ : ٢٨ .
(٥) سورة الأعراف ـ من الآية : ١٥٨ .
٦) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

٩ ـ أن الله أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ، إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (١).

١٠ ـ أن الله تعالى مدَحَه بما لم يمدح به غيره من الأنبياء والرسل حيث خاطبه بقوله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٢).

١١ ـ أن القرآن كان خُلُقَه ، كما ورد عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها حين سُئلتْ عن خلقه ، فقالت : « كان خُلُقه القرآن » !

١٢ ـ أن الله تعالى أرسله لِيُطَاعَ كبقية الرسل ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٣).

١٣ ـ أن الله تعالى كما أمر بطاعته أمر بطاعة رسوله محمد ﷺ حيث يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ (٤).

وجعل طاعته طاعةً لله : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٥)

كما جعل طاعته ﷺ سبباً فى فوز مُطيعه ، كفوز مطيع الله بطاعته ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (٦). وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (٧).

١٤ ـ أن الله تعالى أمر المؤمنين أن ينفذوا أوامره ﷺ ويجتنبوا نواهيه حيث يقول : ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (٨).

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآيتان : ٤٥ , ٤٦ .
(٢) سورة ن : ٤ .
(٣) سورة النساء ـ من الآية : ٦٤ .
(٤) سورة النساء ـ من الآية : ٥٩ .
(٥) سورة النساء ـ من الآية : ٨٠ .
(٦) سورة الأحزاب ـ من الآية : ٧١ .
(٧) سورة النساء : ٦٩ .
(٨) سورة الحشر ـ من الآية : ٧ .

١٥ ـ أن الله تعالى أخذ من النبيين العهد أن يؤمنوا ويصدقوا به ﷺ ويأمروا قومهم بتصديقه إذا أدركهم زمانه ، وذلك قوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾(١).

١٦ ـ أن الله تعالى أعطاه الشفاعة العظمى يوم القيامة ، قال ﷺ : « أنا سيدُ وَلَـدِ آدَمَ يوم القيامه، وأولُ من ينشق عنه القبر يوم القيامة ، وأولُ شافِعٍ، وأول مُشَفَّعٍ »(٢).

١٧ ـ أن الله تعالى خصه بالوسيلة والكوثر والحوض والمقام المحمود . قال ﷺ : « يبعث الله ناقة صالح ، فيشرب من لبنها هو ومَنْ آمن به من قومه ، ولى حوض كما بين عدن إلى عمان ، أكوابه عدد نجوم السماء ، فيستسقى منه الأنبياء ... » (٣).

١٨ ـ أنه ﷺ القدوة الحسنة للناس جميعاً منذ ولد حتى قيام الساعة ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ﴾ (٤).

١٩ ـ أن الله تعالى أنزل عليه القرآن كتاباً شاملاً للعقائد والعبادات والأخلاق والمعاملات ، والعبر ، والحكم ، والمواعظ ، والأمثال ، وأخبار الغيب ، ومنهجا للحياة السعيدة ، ودستورًا صالحاً للتطبيق فى كل زمان ومكان ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؛ لأنه قائم على دعائم راسخة من إخلاص العبادة لله ، ومن العلم والعدل ، والإحسان ، والحرية ، والسلام، والخير ، والحق ، والوفاء ، والأمانة ، والصدق ، والرحمة ، والمساواة ، وشتى الفضائل ، وليس كالكتب السابقة التى كانت تقتصر بعد التوحيد على الوصايا والحكم والمواعظ وبيان الخير ، وتكاد تخلو من

---

(١) سورة آل عمران : ٨١ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ، وابن عساكر عن عبد الله بن بريدة عن أبيه .

(٤) سورة الأحزاب : ٢١ .

التشريعات والقوانين المنظمة لشتى أمور الحياة ، وصدق الله تعالى منزله إذ يقول :
﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ﴾ (١).

ويقول : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ (٢).

ويقول: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٣).

ويقول: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(٤).

٢٠ ـ أن سُنَّته ﷺ من قَوْلٍ أو فِعْلٍ أو تقرير جاءت مُبينة للقرآن ، ومفصِّلة لمجمله، ومتممة لأحكامه ، ومن ثَمَّ عُدَّت المصدر الثانى للتشريع بعد القرآن الكريم.

هذا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ عن الداعى ﷺ أما الدعوة فإنها دعوة إلى الحق والخير ، دعوة إلى الإصلاح والبناء ، دعوة أخرجت الناس من الظلمات إلى النور ، كلف الله تعالى رسوله ﷺ أن يؤديها ، فأداها خير أداء متحملا فى سبيل أدائها ـ فى صبر عجيب، وحلم فريد ، وأمل غير محدود ـ ما تنوء بحمله الجبال من الظلم والاضطهاد ، والمطاردة ، والإيذاء ، والتكذيب ، واتهامه بأنه ساحر ، وشاعر ، وكاهن ، ومجنون ، وبأن ماجاء به من الآيات البينات إنْ هو إلا أساطير الأولين اكتتبها فهى تُمْلَى عليهُ بكرة وأصيلا ، حتى اضطر إلى ترك موطنه (مكة) إلى موطن آخر هو المدينة ، حيث انطلقت الدعوة منها إلى شتى الآفاق .

وكان ﷺ كلما حزن لعدم إيمانهم واساه ربه تعالى ، ونهاه عن الحزن لعدم إيمانهم ولإيذائهم إياه . قال تعالى : ﴿ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر ـ من الآية : ٣١ .
(٢) سورة النساء : ١٠٥ .
(٣) سورة الأنعام : ١٥٥ .
(٤) سورة الأعراف : ٥٢ .
(٥) سورة يس : ٧٦ .

وقال : ﴿وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [١].

كما كان يأمره بالصبر والتحمل فى سبيل أداء هذه الرسالة العظمى ، حيث يقول : ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلاَّ بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾[٢]. ويقول : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ ﴾ [٣].

كما كان ربه تعالى يواسيه أيضاً بأنه ليس مكلفاً إجبارهم على الدخول فى الإسلام ، وإنما رسالته هى التبليغ فقط ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاغُ﴾ [٤].

أما محاسبتهم فالله تعالى كفيل بها : ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [٥]

وهكذا يأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كَرِه الكافرون : ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [٦]

أيها الإخوة المسلمون ، بعد أن قدمت هذه الكلمة عن الداعى والدعوة يجدر بنا أن نتساءل : ما واجبنا نحن ـ إذَنْ ـ نحو كل منهما ؟

هذا ما سوف يكون حديثنا فى الخطبة القادمة إن شاء الله تعالى ، حتى لا أطيل عليكم .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) سورة يونس : ٦٥ .
(٢) سورة النحل : ١٢٧ .
(٣) سورة الأحقاف ـ من الآية : ٣٥ .
(٤) سورة الشورى ـ من الآية : ٤٨ .
(٥) سورة الرعد ـ من الآية : ٤٠ .
(٦) سورة التوبة : ٣٢ .

واجبنا نحو الداعى والدعوة

الحمد الله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، يهدى من يشاء إلى صراطه المستقيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله ربنا شاهداً ومبشرًا ونذيرًا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، تحدثنا فى الخطبة السابقة عن كل من الداعى ﷺوالدعوة ، وإتماماً للفائدة يجدر بنا أن نتحدث عما يجب علينا نحو كل منهما :

أما واجبنا نحو الداعى فيشمل أمورًا كثيرة حسبى أن أذكر منها :

١ ـ أن يكون الرسول ﷺ أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين ، بل لا يكتمل الإيمان إلا بهذا الحب ، كما قال هو صلوات ربى وسلامه عليه : « لا يؤمن عبد أو الرجل حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه من أهله وماله والناس أجمعين » (١).

٢ ـ أن نترجم هذا الحب إلى عمل ، فنجعله ﷺ قدوة لنا فيها نأتى وما نذر ، سائرين وراءه فى درب الهدى ، عاملين بتوجيهاته ، منفذين أوامره، مجتنبين نواهيه ، قال تعالى : ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً** ﴾ (٢).

٣ ـ أن نديم الصلاة والسلام عليه ، تنفيذًا لأمر الله تعالى ،واغتناماً لثوابه ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ (٣).

---

(١) رواه مسلم .
(٢) سورة الأحزاب : ٢١ .
(٣) سورة الأحزاب : ٥٦ .

obeikandi.com

وقال ﷺ: « مَنْ صلَّى علىَّ صلاة صلَّى الله عليه بها عشراً » [١]، كما قال : « البخيل من ذُكِرْتُ عنده فلم يُصَلِّ علىَّ » [٢].

٤ ـ أن نعمل جاهدين مخلصين على نشر سُنَّتِه الغَرَّاء بكل السبل الممكنة، وفى شتى الأزمان والأماكن ، حتى تعم هدايته جميع الأنام ، ولا يحرم من هديها أحد إلا من ختم الله على قلبه وجعل على بصره غشاوة .

٥ ـ أن نتصدى لمن يهاجمه ويفترى عليه الكذب ، ويحاول النَّيْلَ منه ومن أهله ، وتشويه سمعتهم وسيرتهم ؛ حقداً وحسدًا ، أو سعياً وراء شهرة زائفة ومال فانٍ ، أو مدفوعاً لذلك من أعداء الإسلام ، أو متبعاً خطوات الشيطان ، كما فعل المرتد سلمان رشدى وأمثاله من الضالين المضلين ، فنبطل حججهم الواهية ، وندحض مفترياتهم القذرة ، بالبراهين الساطعة ، والحجج الدامغة ، ونعلن ذلك بشتى وسائل الإعلان من كتب وصحف ومجلات ونشرات وإذاعة مسموعة ومرئية ، كما نعلن براءةَ الإسلام منهم إن كانوا يزعمون أنهم ينتسبون إليه ، والدوافعَ الحقيرة التى دفعتهم إلى اختلاق هذه الأباطيل ، ونحذر الناس من سمومهم ؛ لتظل عقائدهم سليمة ، بل تزداد قوة فوق قوتها ، وأن نرد على من يقولون : إن كل إنسان له حرية التعبير عن رأيه كما يشاء ، بأن حرية الرأى لها حدود يجب أن تتوقف عندها ، وبأن التطاول على الأنبياء والرسل ليس من حرية الرأى ، وإنما هو زور وبهتان ! وسفالة ونذالة وجُبْن !

وأما واجبنا نحو الدعوة ـ أيها المسلمون ـ فيتمثل فى أمور كثيرة ، حسبى أن أذكر منها ما يتسع المقام لذكره :

١ ـ أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، لا بالعنف والتعصب وفرض الرأى ، ورفض الحوار ، والتهديد والوعيد ، قال تعالى : ﴿ **لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ [٣]. وقال: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾[٤] وقال

---

(١) رواه مسلم .
(٢) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .
(٣) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .
(٤) سورة يونس ـ من الآية : ٩٩ .

﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾[١] . وقال:﴿ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾[٢]

٢ ـ نشرها فى شتى الآفاق بشتى الوسائل التى تلائم العصر الذى نعيشه من إرسال الدعاة إلى كافة نواحى الأرض ، واستخدام أحدث وسائل الإعلام، والتضحية فى هذه السبيل بالجهد والوقت والمال .

٣ ـ الدفاع عنها بشتى أسلحة الدفاع ، والتضحية فى سبيل ذلك بكل ما نملك .

٤ ـ أن يكون المسلم فى أى مكان نموذجاً للمسلم الحق ، قولاً ، وفعلاً، وسلوكاً ، ومعاملة ؛ حتى يرى الناس فيه وجه الإسلام المشرق ، وصورته الصادقة ؛ لأن المسلم إذا حاد عن منهج الإسلام جعل المشككين فيه ، الصادين عنه ، المحاولين إخراج من دخلوا فيه ـ جعلهم يخلطون بينه وبين الإسلام مشيرين إليه ، قائلين للناس فى خبث : هذا هو الإسلام ، عَمِين أو متعامين عن أن الإسلام شىء ، ومعتنقيه شىء آخر ، وأن الإسلام لا يضيره ولا يعيبه انحراف بعض معتنقيه عن تعاليمه .

وبعد ـ أيها الإخوة المسلمون ـ فقد آن لى أن أسأل : هل بعض مانراه من البدع فى كثير من الأقطار الاسلامية كلما حلت ذكرى ميلاده ﷺ يمت إلى الإسلام بصِلَة ؟

لا ، والذى نفسى بيده !! من يقول إن إقامة السرادقات وتعليق الزينات، والهرج والمرج ، واختلاط الرجال بالنساء ـ طريقة صحيحة لإحياء هذه الذكرى ؟ !

من يقول أن تمايل الأجسام يميناً وشمالاً ، وفوق وتحت ، فى حركات كحركات الرقص ، مع الطبل والزمر والتغنى ـ أمر لائق بذكر الله وإحياء لهذه الذكرى ؟ !

من يقول إن الإسراف بإنفاق الأموال الكثيرة فى شراء الحلوى وملء البطون بها ـ هو طريقة سليمة للاحتفاء بهذه الذكرى ؟ !

إن كل هذه الأمور ومثيلاتها ليست سوى صور من العبث واللهو الذى يتبرأ منه الإسلام ؛ لأنه لا يمت له بأية صلة ، خير للإسلام ورسوله أن ينفق ذلك المال والوقت والجهد فى سبل البر والتقوى التى تعود بالخير على الإسلام والمسلمين .

---

(١) سورة الغاشية ـ الآية : ٢٢ .

(٢) سورة ق ـ من الآية : ٤٥ .

إنها ذكرى ميلاد خير البرية رسول الله محمد ﷺ الذى لايتم الإيمان إلا بالشهادة بأنه رسول الله ، وليست ذكرى ميلاد زعيم من الزعماء ، أو صنم من أصنام البشر الذين يُمْلُونَ على رعاياهم إحياء ذكرى ميلادهم راضين أو كارهين ، ويريقون فيها الأموال ، فيما تسبح شعوبهم فى مستنقعات الفقر والحاجة ، وتنهش الأمراض أجسامهم ، ويجثم الجهل على عقولهم !

إذا كنتم تريدون تقدير رسولنا ﷺ حقًّا ، فليكن ذلك على الصورة التى ذكرتُها، من الاقتداء به فى كل أقوالنا وأفعالنا وأخلاقنا وسلوكنا ومعاملاتنا ، ومن حُبه أكثر من حبنا لأنفسنا وأهلينا وأموالنا والناس أجمعين ، ومن إدامة الصلاة عليه ، ومن نَشْر دعوته وسُنَّتِه بصورة تجذب الناس إليها ، ولا تنفرهم منها ، ومن التصدى لمن يناله هو وأهله بسوء ، ويفترى عليه الكذب .

هذا ، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم أجمعين . قالﷺ : «ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون اللّٰه ورسوله أَحَبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا للّٰه ، وأن يكره أن يعود فى الكفر ، كما يكره أن يقذف فى النار » (١).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، وادعوه أن يثبتنا على صراطه المستقيم .

---

(١) متفق عليه .

رحمة الله ورسوله بالعباد

الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم ، وأشهد أن لا إلٰه إلا اللّٰه وحده لا شريك له ، كَتَبَ على نفسه الرحمة ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ، اللهم صَلِّ وسلم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه ، واحشرنا فى زمرتهم برحمتك ياأرحم الراحمين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، إن الرحمة عاطفة من أسمى العواطف الإنسانية ، وفضيلة من أجل الفضائل الخُلُقية ، إنها الشفقة والرأفة والعطف واللين ، وحُسن القول والفعل ، وكل نفس تسكنها هذه العاطفة تصفو وتسمو ، وتضفى على صاحبها وعلى كل من يتعامل معه الحب والاطمئنان والسكينة وراحة البال ، متمثلة فى مظاهر كثيرة : كمساعدة الضعيف ، ومواساة الحزين ، وإغاثة الملهوف ، ومناصرة المظلوم ، وتفريج الكرب ، وإعطاء المحتاج ، وإمهال المدين ، وإطعام الجائع ، وكسوة العارى، وعلاج المريض ، وهداية الضال ، والعفو عن المسىء ، والعطف على الصغير، وتوقير الكبير ، والإحسان إلى الوالدين ، وفعل كل ألوان البر .

ولِعِظَم قدرها نرى أن الله تعالى أولاها من العناية ما هى جديرة به ، إذ جعلها تعم كل الصفات التى تربط الخالق بالمخلوق ، وتربط المخلوق بالخالق وبغيره من كل من يتعامل معهم ويتصل بهم من ذويه وغيرهم .

كما جعل (الرحمن) أى كثير الرحمة ـ من أسمائه الحسنى ، وذكره أيضاً فى القرآن الكريم فى سبعة وخمسين موضعا ، محلًّى بأل فيها كلها .

وجعل من أسمائه أيضا (الرحيم) أى دائم الرحمة ، وذكره محلى بأل وغير محلى بها فى مائة وأربعة عشر موضعا فى القرآن الكريم أيضا ، مسبوقا فى بعضها بالرحمن ، أو الغفور، أو التواب ، أو الرءوف ، أو العزيز ، أو البر .

ذلك القدر الكبير من ذكر هذه الصفة فى القرآن الكريم إن دل على شىء فإنما يدل على رأفته تعالى الكثيرة الدائمة بعباده ، بل إنه كتبها على نفسه ، حيث يقول تعالى : ﴿ **كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ** ﴾ (١) وجعلها قريبة من المحسنين ، إذ يقول تعالى: ﴿ **إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ (٢) كما أنها وسعت كل شىء : ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ (٣).بل إنه تعالى أرحم الراحمين : ﴿ **وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (٤) وهو أيضاً خير الراحمين : ﴿ **وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ (٥).

كما أنه جعل الجنة رحمة يُدْخِلَ فيها من يشاء ، وذلك فى عدة آيات منها: ﴿ **يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ (٦)ومنها : ﴿ **فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ** ﴾ (٧).

ولولا رحمته بنا لكنا من الخاسرين : ﴿ **فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ (٨).

هذا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ غَيْضٌ من فَيْض وَصَفَ الله تعالى فيه نفسه بالرحمة ، أماً لماذا كان الله تعالى بعباده رحيماً منذ وجودهم فى هذه الدنيا حتى رحيلهم عنها ـ فلأمور كثيرة حسبى أن أذكر منها :

* من رحمته تعالى بعبده أن جعل أباه يتخير لنطفته أُمًّا صالحة ؛ ليأتى

---

(١) سورة الأنعام ـ من الآية : ٥٤ .
(٢) سورة الأعراف ـ من الآية : ٥٦ .
(٣) سورة الأعراف ـ من الآية : ١٥٦ .
(٤) سورة الأنبياء : ٨٣ .
(٥) سورة المؤمنون : ١١٨ .
(٦) سورة الإنسان : ٣١ .
(٧) سورة الجاثية : ٣٠ .
(٨) سورة البقرة ـ من الآية : ٦٤ .

ابنها طيب المنبت ، كريم الأصل ، وبعد حملها فيه صَوَّرَهُ فأحسن صُورَته :

﴿ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١).

وجعل له السمع والبصر والفؤاد : ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ (٢).

ثم وضع الرحمة به فى قلب أبويه وهو وليد لا يملك لنفسه من أمره شيئاً، ثم وهو طفل ، ففتى ، فشاب ، تلك الرحمة التى تجعلهما يطعمانه ويسقيانه ويكسوانه ويعالجانه ويوجهانه ويرعيانه كل الرعاية حتى يبلغ أشده ويستوى ، ويستطيع تدبير أمره مستقلا بنفسه ، معتمداً على ذاته . كل هذه التضحيات يقدمانها فى رضاً وسرور، برغم ما قد يعانيانه فى سبيلها من صعاب وعقبات وجهد ووقت !!

* من رحمة الله تعالى بعباده أن أرسل إليهم ﴿ رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (٣). ووضع لهؤلاء الرسل منهج الدعوة القويم فى قوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾(٤). فلا عنف فى الدعوة ، ولا إكراه فى الدين : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٥). بل جعلهم هدى ورحمة : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٦). ولم يخلق الإنسان مسلوب الإرادة ، بل أعطاه السمع والبصر والفؤاد : ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾(٧).

---

(١) سورة آل عمران : ٦ .
(٢) سورة الملك : ٢٣ .
(٣) سورة النساء : ١٦٥ .
(٤) سورة النحل : ١٢٥ .
(٥) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .
(٦) سورة الأنبياء : ١٠٧ .
(٧) سورة النحل : ٧٨ .

وهداه النَّجْدَيْن ، ومنحه حرية الاختيار ، وجعل الإسلام من فطرته التى فطره عليها : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١).

● ثم إنه تعالى ـ رحمة به ـ لم يتركه يتخبط فى الحياة ويسير فيها دون منهج قويم ، بل أنزل كتابه الكريم موضحاً منهج الحياة السديد فى العقيدة والشريعة والفضائل والأخلاق والمعاملات والعمل من أجل الآخرة ، ولم يفرط فيه من شىء: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ (٢) . وجعله هدى ورحمة للعالمين ، حيث يقول تعالى : ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ (٢) هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴾ (٣) . كما حذره فيه من رجز الشيطان وفتنته وكيده ووسوسته وإغوائه واتباع خطواته ؛ لأنه للإنسان عدو مضل مبين ،لا يأمر إلَّا بالفحشاء والمنكر ، ولا يُزَيِّنُ إلا الكفر والسوء والمعاصى والضلال ، ولا يَعِدُ إلا غرورًا ، ورحم تعالى من شاء فجعله لا يتبع الشيطان ، إذ يقول :

﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٤).

● ثم جعل له الأرض قرارًا ، والسماء بناء ، وجعل له الليل هادئاً يسكن فيه ويستريح ، والنهار ضياءً يستطيع فيه أن يسعى لرزقه ، وجعل له الشمس نورًا ودفئاً ، جعلها للحيوان والنبات مصدر حياة ، كما جعل له القمر نوراً ووسيلة مع الشمس لمعرفة عدد السنين والحساب ، استمعوا إلى ما جاء فى ذلك فى القرآن الكريم ، يقول تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (٥).

---

(١) سورة الروم : ٣٠ .
(٢) سورة الأنعام ـ من الآية : ٣٨ .
(٣) سورة لقمان ، الآيتان : ٢ ، ٣ .
(٤) سورة النساء ـ من الآية : ٨٣ .
(٥) سورة غافر ـ من الآية : ٦٤ .

ويقول : ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ لِتسْكُنُوا فِيهِ وَلِتبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعلَّكُمْ تشْكُرُونَ﴾[1].

ويقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهارَ وَالشَّمْسَ وَالْقمرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2].

ويقول : ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّموَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾[3].

● ومن رحمته تعالى بعباده لكي يكفل لهم الرزق أن جعل لهم الأرض ذَلُولاً:

﴿هُوَ الَّذِي جعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَناكِبِها وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾[4].

وأنزل عليها من السماء ماء ، فاهتزت وربَتْ وأنبتت من كل زوج بهيج:

﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنبِتُ لَكُم بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِن كُلِّ الثَّمرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾[5].

أجل إن نعمة الماء من أجل النعم التى تفضل الله تعالى بها على عباده : فبالماء يتطهر الإنسان ، فيغتسل ويتوضأ ، وينظف جسده وثيابه وكل حاجاته ، فيبدو أجمل ما يكون ، وتطيب نفسه وتطهر ، وتزكو رائحته : ﴿وَيُنزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً

---

(١) سورة القصص : ٧٣ .
(٢) سورة النحل : ١٢ .
(٣) سورة يونس : ٦ .
(٤) سورة الملك : ١٥ .
(٥) سورة النحل : ١٠ و ١١ .

﴿لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ﴾[1].

ومن الماء يشرب الإنسان فيحتفظ بنسبته الضرورية فى جسمه إبقاءً لحياته، كما يروى الأرض ، فتحيا بعد موتها ، وتنبت من كل زوج بهيج ، تنبت حباً ونباتاً ، وجنات ألفافاً ، يتغذى به الإنسان وينمو ويقوى ، ويستطيع تحمل أعباء الحياة والجهاد ، كما تتغذى به الأنعام التى يأكل الإنسان لحمها،ويشرب ألبانها ، ويتخذ لباسه من أصوافها وأوبارها ، ويستمتع بمنظرها، ويتخذها وسيلة لانتقاله وحَمْل أمتعته وبضائعه من مكان إلى آخر ، يقول تعالى فى ذلك : ﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلاَّ بِشِقِّ الأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[2].

كما يقول تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾[3].

ثم إن هذا الماء تتكون منه البحار والأنهار التى سخرها الله تعالى لنا ؛ لنأكل منها لحماً طرياً ، ونستخرج منها اللؤلؤ والمرجان حلية نلبسها ، كما نتخذ هذه البحار طريقاً ممهدًا للسفن التى تنقلنا نحن وأمتعتنا وبضائعنا من مكان إلى آخر ، طريقاً ليناً لا يحتاج إلى رَصْف ولا إلى إصلاح وصيانة ، طريقاً خالياً من النتوءات (المطبات) والمعوقات ، طريقاً خالياً من الأتربة والقاذورات والملوثات ، طريقاً من صُنع الله الذى أتقن كل شيء خَلَقه ، ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ

---

(١) سورة الأنفال ـ من الآية : ١١ .

(٢) سورة النحل : ٥ ـ ٨ .

(٣) سورة النحل : ٨٠ .

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١).

ألاترون العالم الآن ـ بعد أن نضبت موارده الغذائية التى يستمدها من الأرض وحيواناتها ـ قد اتجه إلى البحار والأنهار ؛ لسيتثمرها بأقصى طاقته ، ويستخرج منها ما يستخدمه فى غذائه ومتطلبات حياته .

ولِتَوَقُّفِ حياة الإنسان على الماء يتوقع السياسيون والاقتصاديون أن الخلاف على توزيع المياه بين الدول التى تسقط عليها الأمطار مُكوِّنَةً الأنهار وغيرها من الدول التى تسير هذه الأنهار فيها أو قريبًا منها ـ يتوقعون أن يكون هذا الخلاف سبباً فى اشتعال نيران الحروب فى القرن القادم (الحادى والعشرين) ، وقد بدت بوادر هذه الخلافات بين تركيا وكُلٍّ من سوريا والعراق ، وبين إسرائيل وكُلٍّ من لبنان والأردن.

* هذا ، ومن رحمة الله تعالى بالإنسان أنه ـ كما منحه الصحة البدنية التى تعينه على العمل ، منحه الصحة العقلية التى تعينه على التفكير والابتكار ؛ ليكتشف من المخترعات والوسائل ما يزيد فى إنتاج الزروع والثمار واللحوم والخضراوات والألبان ، ويوفر الماء ، ويُطَوّر الصناعات وسُبل الانتقال ، ويحفظ الصحة من كثير من الأوبئة الفتاكة ، وسيظل المخترعون بإلهام من الله يكتشفون من حين إلى آخر كل جديد ييسر الحياة ، ويساعد الناس على الاستمتاع بها.

فلينظر الإنسان إلى هذه المخترعات على أنها من رحمة الله تعالى به ، وليشكره عليها، وليجعلها طريقاً إلى عمارة الأرض وبناء شتى نواحى الحياة، وإلى التحضر الحقيقى والرقى الدينى والخلقى ، لا طريقاً إلى الهدم والتخريب ، والقتل والتعذيب والتقهقر ، حتى يكون جديراً باستخلافه فى الأرض لإعمارها ، وبنعمة الله بهدايته إلى ما وصل إليه من مكتشفات ...

* ومن أَجَلِّ رحماته تعالى بنا أنه يجزى السيئة بمثلها ، أما الحسنة فيجزيها بعشر

---

(١) سورة النحل : ١٤ .

أمثالها ، بل يُضاعف الجزاء إلى سبعمائة ضعف ، بل إلى ما يشاء فوق ذلك : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ ﴾(١).

* ومن أَجَلِّ رحماته تعالى أيضاً أنه إذا فتح لإنسان رحمة فإنها لا يستطيع أى كائن أن يمسكها عنه ؛لأن الله الذى بيده ملكوت السموات والأرض قد اختصه بها ، يقول تعالى : ﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾(٢). كما يقول تعالى : ﴿ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٣).

* هذا ، ومن أروع صور رحمته تعالى بعباده أن العبد يسىء ويضل ويسلك طريق الهوى ، ويرتكب الخطايا ، ويطغى ويبغى ويفسد فى الأرض ، ثم إذا صحا ضميره ، واتجه إلى ربه منيباً تائباً لا يرده الله ، ولا يوصد فى وجهه باب التوبة ، بل يتوب عليه رحمة به ، وإشفاقاً عليه من الهلاك ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾(٤).

أيها المسلمون ، لعله من المناسب والمفيد ، بعد أن ذكرت بعض أسباب ومظاهر رحمة الله بعباده أن أذكر طرفاً من رحمة رسول ﷺ : لقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين وأشار إلى ذلك فى قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾(٥). وفى قوله

---

(١) سورة الأنعام : ١٦٠ .

(٢) سورة البقرة : ١٠٥ .

(٣) سورة فاطر : ٢ .

(٤) سورة الزمر : ٥٣ .

(٥) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

تعالى:﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١)

أجل ، لقد كان رحيماً طوال حياته ، وكانت رحمته هذه سبباً فى نجاح دعوته ، ذلك أنه لما دعا قومه إلى عبادة الله تعالى وتَرْكِ عبادة الأصنام كان رحيماً فى دعوته ؛ إذ سلك طريق الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتى هى أحسن ، وذلك برغم قسوتهم وغِلْظَتهم عليه وعلى من اتبعوه :إذْ ساموهم سوء المعاملة ، وطاردوهم ، وقاطعوهم ، وعذبوهم ، ولم يتركوا ضرباً من ضروب الإيذاء التى أملاها عليهم الشيطان إلا أنزلوه بهم ، فلم يزدهم ذلك إلاَّ احتمالا وصبراً ، حتى لقد رفض ﷺ ما عرضه عليه جبريل عليه السلام من إهلاكهم بإطباق الأخْشَبَيْنِ (جبلين بمكة) عليهم ؛ أملاً فى أنهم سيثوبون إلى رشدهم عندما يتخلصون من اتباع ما وجدوا عليه آباءهم ، ويعرفون أن الإسلام هو الدين الحق الذى تتقبله وترضاه الفطر السليمة ، فيدخلون فيه أفواجاً .

ولو كان صلوات الله وسلامه عليه فَظًّا غليظَ القلب وهو يدعوهم إلى الله لما اتبعوه ولما دخلوا فى دين الله أفواجاً ، وصدق الله تعالى إذ يقول : ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾(٢)

وهل هناك مثل فى الرحمة يدانى رحمته ﷺ بأهل مكة عقب فتحها ؟ لقد قال لهم إذْ ذاك : يٰأهل مكة ، ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !!

ولو كان أحد غيره فى موقفه هذا لقال : الآن حلت ساعة تصفية حسابى معهم ،

---

(١) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٢) سورة آل عمران : ١٥٩ .

وانتقامى وشفاء غليلى منهم ؛ لما فعلوه بى وبأصحابى منذ مبدأ الدعوة حتى الآن .

أما والمنتصر هو محمد نبى الرحمة ، فإنه لايتصرف إلا بما تقتضيه هذه الرحمة !! أليس هو القائل : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله » (١).

هذا ، ولم تكن رحمته ﷺ مقصورة على الإنسان ، بل تعدته إلى الحيوان ، أصغوا معى إلى قوله ﷺ : « عُذِّبَتِ امرأةٌ فى هِرَّةٍ أَوْثَقَتْهَا فلم تُطْعِمهَا ، ولم تَسْقِهَا ، ولم تدعها تأكل من خَشاش الأرض » (٢).

وعلى هذا الصراط المستقيم سار صحابته رضوان الله عليهم أجمعين : هذا أبو بكر رضى الله عنه نراه وهو فى حياة الرسول ﷺ يشترى العبيد ويعتقهم ، رحمة بهم ، وإنقاذًا لهم من تعذيب سادتهم الكفار لهم .

ولأذكر موقفاً آخر رائعاً من مواقف أبى بكر الرحيمة ، ذلك أنه كان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته ومسكنته ، فلما كان مسطح فيمن رَمَوْا أم المؤمنين عائشة رضى عنها ابنته بالإثم ـ أَقْسَمَ أبو بكر أَلاَّ يُنفق عليه ، ولا ينفعه بنافعة أبداً ، فأنزل الله تعالى:

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ منكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (٣).

فما كان من أبى بكر إلا أن قال : والله إنى لأحب أن يَغْفِرَ الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدًا، فهل هناك رحمة وتسامح أجَلُّ مما فعل أبو بكر ؟!

وحتى لا أطيل عليكم أكتفى بهذا القدر من أمثلة رحمة صحابته رضوان الله تعالى عليهم أجمعين .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه مسلم .
(٣) سورة النور : ٢٢ .

obeikandl.com

قال ﷺ :« من يُحْرَمْ الرِّفْق يُحْرَمْ الخير »(١).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، وسلوه الرحمة والهداية والتوفيق .

obeikandl.com

---

(١) رواه مسلم .

التـراحـم بين النـاس

الحمد لله رب العالمين ، الرحمٰن الرحيم ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، أضاء بالرحمة قلوب المؤمنين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله،نبى الرحمة الذى خاطبه ربه بقوله : ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾[1]، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الذين تَواصَوْا بالصبر ، وتواصوا بالمَرْحَمة .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، تناولت فى الخطبة السابقة رحمة الله تعالى ورسوله بنا ، وذكرت بعض مظاهر هذه الرحمة ، وأرى ـ إكمالاً لهذا الموضوع أن أتحدث عن التراحم بين الناس :

كلنا يعلم أن الإنسان مَدَنِىٌّ بطبعه ، لا يستطيع أن يعيش فى الأرض منفردًا ، بل لا بد أن يعيش فى جماعة تربطه بها علاقات مختلفة ، كالجنس ، واللغة ، والدين ، والأخلاق ، والعادات ،والتقاليد ، وهو ـ فى داخل هذه الجماعة ـ لا يستطيع بمفرده أن يوفر لنفسه كل متطلبات حياته وحاجاته ، بل لا بد أن يتعاون هو وبقية أفراد مجتمعه فى توفيرها ، حتى تسير الحياة فى شتى نواحيها سالكة مجراها الطبيعى ، متكاملة متناسقة ، منطلقة نحو غاياتها السامية ؛ ليحيا كل أفراد هذا المجتمع حياة تظللها الطمأنينة والاستقرار ، وترفرف عليها أجنحة السعادة .

والروابط التى تسود أفراد هذا المجتمع كثيرة : هناك رابطة كل من الحاكم والمحكومين بالآخر ، ورابطة كل من الزوجين بالآخر ، ورابطة كل من الوالدين والأولاد بالآخر ، ورابطة الإخوة بعضهم ببعض ، ورابطة القريب بقريبه ، والمرء بأصدقائه ، والجار بجاره ، والرئيس بمرءوسيه ، والمعلم بتلاميذه ، والبائع بالمشترى، والعامل بصاحب العمل ... وهكذا .

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧ .

وهذه الروابط جميعها - كما بَيَّنَ دينُنا الحنيف - لاتكون قوية مثمرة إلاَّ إذا قامت على الحب والإخلاص والتضحية ، وعلى الرحمة التى يجب أن يتفَّيأَ المجتمع كله ظلالها ، فالمجتمع المتراحم مجتمع متواد متناسق متعاون مترابط، يحس كل فرد منه بأخيه ، فيقف معه فى الضَّرَّاءِ قبل السَّرَّاء ، وفى الضيق قبل السعة ، وفى الحزن قبل الفرح ، وفى المرض قبل الصحة ، أى يكونون كما صورهم لنا الهادى البشير فى قوله ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيُان يشدُّ بعضه بعضاً » [١]،وقوله ﷺ : « مثل المؤمنين فى توَادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تَداعَى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [٢] ،وقوله ﷺ : « لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [٣].

ويعنينا هنا أن نوضح ما تتمثل فيه الرحمة فى رابطة الإنسان بنفسه ، ثم ما تتمثل فيه فى تلك الروابط الأخرى ، لعل فى ذلك موعظة لنا .

إن المرء قد منحه الله تعالى الحرية فيما يختاره من علاقات مع ذاته ومع الآخرين ، فيجب عليه أن يبنى هذه العلاقات على أسس قوية صالحة من أهمها الرحمة ، فرحمته بذاته تتمثل فى إصلاحها وحمايتها من العلل الجسمية والنفسية ، وأن يسلك بها الصراط المستقيم ، فيتقى الله بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه ، واحترام نفسه وتكريمها ، حتى ينال رضا الله ورحمته .

أما رحمة المرء بغيره ، فإذا كان حاكماً وجب أن تقوم علاقته بمحكوميه على الرحمة متمثلة فى توفير الشورى ، والحرية ، والعدالة ، والمساواة،والأمن والطمأنينة ، والرخاء، والعمل ، والتعليم ، والصحة ...إلخ .

وعليه أن يعد الحكم أمانة ومسئولية ، وتكليفاً لا تشريفاً ومباهاة ، وفرصة لاستغلال السلطة والنفوذ وجمع المال ومحاباة الأهل والأصدقاء والأعوان .

وأن يكوْن قُدْوَةً حسنة للمحكومين ، وأن يتخذ بطانته من أهل الخير والصلاح والمشورة الصادقة ، لا ذوى الغش والفساد والمنافع الذاتية ، وأن يجعل الجميع أمام

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

(٣) متفق عليه .

الشريعة والقانون سواء : فلا محاباة فى منفعة ، ولا شفاعة فى إثم . وأن يطهر الدولة من الفساد والجريمة والرشوة .

وعليه - كذلك - أن يرفع شأن دولته سياسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، وثقافياً ، وعلميًّا بتشجيع العلماء المتخصصين فى شتى المجالات ، والمبتكرين والمخترعين ، حتى يضعها فى طليعة الدول المتقدمة .

وعليه - أيضاً - أن يحافظ على كيانها ، ويجعل جيشها من أقوى الجيوش وأحدثها تسليحًا ، وأن يجعل علاقتها بغيرها من الدول قائمة على النِّدِّيَّة والاحترام المتبادل ، لا على التبعية الذليلة المهينة ، وألاَّ يقيم فى برُج عاجيٍّ بمعزل عن أفراد دولته ، بل يجب عليه أن يتفقد أحوالهم ، ويتعرف مشكلاتهم ويسرع فى حلها ، وييسر لها سبل المعيشة، ولا يثقل كاهلها بالضرائب الباهظة ، ولا يدعها فريسة لاستغلال التجار الجشعين ، ولغول الغلاء المرعب المدمر للنفوس !

وقصارى القول : عليه أن يحب لشعبه ما يحبه لنفسه ، وأن يتقى الله تعالى فيه ، جاعلاً قدوته إمام الحكاَّم الصالحين محمدًا ﷺ مؤسس الدولة الإسلامية على تقوى من الله ورضوان ، والقائل : « كُلكم راعٍ ، وكُلكم مسئولٌ عن رعيته : الإمامُ راعٍ ومسئول عن رعيته ... » [1] الحديث.

فعلى هذا الدرب ، درب الرحمة بالمحكومين سار من بعده ﷺ صحابته ، ومَنْ تبعهم بإحسان ، وحسبى أن أشير هنا إلى موقف عمر - رضى الله عنه - من المرأة التى كانت تلهى أولادها بِقِدْرٍ منصوبة على النار ، ليس فيها سوى الماء ، قال أَسْلَمُ خادمه: خرجنا مع عمر - رضى الله عنه - إلى حَرَّةِ وَاقِم ، حتى إذا كنا بصرار إذا نار تُؤرَّثُ ، فقال : يا أَسْلَمُ ، إنى أَرَى هاهنا ركباناً قَصَّرَ بهم الليل والبرد ، انطلقْ بنا ، فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فإذا بامرأة معها صبيان ، وقدر منصوبة على نار ، وصبيانها يتضاغون ، فقال عمر : السلام عليكم يأهل الضوء ، وكره أن يقول : ياأصحاب النار، فأجابته امرأة : وعليكم السلام ، فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت: قَصَّرَ بنا

---

(١) متفق عليه .

الليل والبرد ، قال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ! قال : وأى شىء فى هذه القِدْر ؟ قالت : ماء أُسْكِتُهُم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر ! فقال: أى رحمك الله ، ومايدرى عُمَرَ بكم؟ فقالت : يتولى أمرنا ثم يغفل عنا؟ قال أسلم : فأقبل عمر علىَّ ، فقال: انطلق بنا ، فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق، فأخرج عِدْلاً [1] من دقيق ، وكَبَّة [2] من شحم ،وقال : احْـمِـلْه علىَّ ، قلتُ: أنا أحمله عنك ، قال : أتحمل عنى وِزْرِى يوم القيامة ؟ لا أم لك !!

فحملتهُ عليه ، فَانْطَلَق وانطلقتُ معه إليها نهرول ، فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئاً ، فجعل يقول لها : ذُرِّى عَلَىَّ وأنا أُحِر [3] لك ، وجعل ينفخ تحت القدر، وكانت لحيته عظيمة ، فرأيت الدخان يخرج من خلالها حتى طبخ لهم ، ثم أنزلها ، وأفرغ الحريرة فى صَحْفَةٍ ، وهو يقول لها: أطعميهم وأنا أسطح لهم (أى أبرده) ولم يزل حتى شبعوا ، وهى تقول له : جزَاكَ اللّه خيرًا ، كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين!![4].

هذا هو الحاكم الحى الضمير الذى يستشعر مسئولية الحكم وتبعاته ، فأين منه أى حاكم فى أية بقعة من الأرض هذه الأيام ؟!

نحن لا نطالب حكام هذه الأيام أن يخرجوا بأنفسهم فى جوف الليل وظلامه وبرده كما فعل عمر ؛ لأن خطرات النسيم قد تؤذيهم ، بله برد الليل وعواصفه ، ولأن ظهورهم مرهفة لا تتحمل مثل ما تَحَمَّلَهُ ظهْرُ عمر ، كما لا نطالبهم أن يطبخوا للفقراء بأنفسهم جالسين أمام القِدْرِ ، والنار تلفحهم ، ودخانها يكاد يعميهم ، كما فعل عمر أيضاً ؛ لأن الطبخ يقذر أيديهم وثيابهم ، والنار تلهب أيديهم الرخصة الناعمة ، والدخان يؤذى عيونهم ، ويلوث ثيابهم الجميلة الراقية !!

أجل ، لا نطالبهم بذلك ، وقد مَنَّ الله تعالى عليهم بوسائل الانتقال والاتصال

---

(١) العدل : مقدار من الدقيق .

(٢) الكبة : المقدار .

(٣) أى أصنع الحريرة ، وهى الحساء من الدقيق والدسم .

(٤) عبقرية عمر : عباس العقاد .

والتجسس التى يستطيعون بها التعرف على أخفى الخفايا ، بل نطالبهم أن يتفقدوا أحوال الرعية ويروها فى واقعها ، فليركبوا أفخم السيارات المكيفة ، وليتنكروا إذا خافوا أن يعْـرَفُوا ويُصابوا بالأذى أو المضايقة، وليذهبوا ـ دون موكب ضخم ـ إلى أقصى البلاد التى يحكمونها ؛ ليطلعوا عن قرب بأنفسهم على حقيقة أمر شعوبهم ، بدلاً من الاكتفاء بالتقارير المنمقة المزيفة التى تقول لهم : كل شىء على ما يرام ، والحال يا أفندم تمام التمام !! فى حين أن سوء الحال بلغ أقصى مداه ، والسخط وصل إلى منتهاه، والدماء تغلى من الغضب ، ونار الفتنة لا يخفيها إلاَّ طبقة رقيقة من الرماد!!

إن الحاكم ـ أيها المسلمون ـ إذا رَحِمَ شعبه بَادَلَهُ شعبه رحمة برحمة ، ووداً بِوُدٍّ ، ودان له بالطاعة والولاء ، ولم يشق عليه عصا الطاعة ، وفداه بالروح وكل ما يملك ، فكان هو وشعبه كالجسد الواحد ، كما جاء فى الحديث الشريف السابق ذكره .

هذا ـ أيها المسلمون ـ هو التراحم بين الحاكم والمحكومين ، فتعالوا معى ننظر فِيمَ يتمثل التراحُم بين الزوجين :

إن الرحمة من أهم أهداف الزواج ، يقول فى ذلك اللطيف الخبير : ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (١) . فرحمة الزوج بزوجته تكون بحنانه وعطفه عليها ، ولا يتحقق ذلك عملاً إلا إذا أَعَفَّهَا ، وأعطاها حقوقها التى قررها لها الله تعالى : فَأَنْفَقَ عليها ، وأَطْعَمَهَا ، وسقَاها ، وكَسَاها ، وأسكنها سكناً لائقاً بها ، وعالَجَها إذا مَرِضَتْ ، وسَرَّى عنها إذا حَزِنَتْ ، وحفظ سِرَّهَا ، ولم يَمْنَعْهَا من بر أهلها، وعاونها فى تربية أولادهما، أى وفَّرَ لها حياة كريمة فى حدود استطاعته .

وأما رحمة الزوجة بزوجها فتتمثل فى أن تطيعه فى غير معصية ، وألاَّ تخرج من بيته إلا بإذنه ، وألاَّ تأذن لأحد فى دخول بيته إلا بإذنه ، وألاَّ تصوم نافلة ـ وهو حاضر ـ إلا بإذنه، قال ﷺ « لا يحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيتها إلا بإذنه » (٢)؛ لأنه قد يرغب فيها ، فيحول صيامها بينه وبين رغبته ، وعليها ألاَّ

---

(١) سورة الروم : ٢١ .

(٢) متفق عليه .

تمنع نفسهـا منه إذا دعـاها لحاجتـه ، قال ﷺ : « إذا دعا الرجل زوجته لحاجته فَلْتَأْتِهِ وإنْ كانت على التنور » [(١)]؛لأنها إن منعته نفسها باءت بِغَضَبٍ من الله ، ولعنتها الملائكة حتى تصبح ، كما جاء فى قوله ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه ، فلم تأته ، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » [(٢)].

وكذلك من رحمة الزوجة بزوجها أن تكرمه وتحترمه وتُحْسِنُ عِشْرَتَهُ ، وتصون سره ، وألاَّ تُطالِبَهُ بما لا يقدر عليه ، حتى لا يضطر بسبب ذلك إلى السرقة أو الرشوة أو الغش أو التزوير أو النصب والاحتيال ، ويجب عليها أن تساعده فى تربية أولادهما على أسس من التقوى ؛ ليشبوا مواطنين صالحين نافعين أنفسهم ووطنهم وأمتهم ، وقرة عين لأبويهم وأهلهم...

وأما التراحم بين كل من الأبوين وأولادهما فيتمثل دور الأبوين فى تنشئتهم تنشئة صالحة ، وتوفير ما يحتاجون إليه ، فى حدود استطاعتهما ، وتعليمهم تعليماً ينفعهم فى دنياهم وأُخراهم ، وتوجيههم توجيها سليماً فى مختلف مراحل نموهم ، وعلاجهم عند مرضهم ، وحفظهم من قُرَنَاء السوء الذين يفسدونهم ، أى رعايتهم رعاية كاملة يتقيان فيها الله ورسوله ؛ حتى يكونوا ـ بحق ـ ذرية صالحة .

كما يتمثل دور الأولاد فى رحمة أبويهم فى برهم بهما برًّا يظهر فى حبهما وطاعتهما فى غير معصية ، والإحسان إليهما ، وتوقيرهما ، والتواضع لهما ، وعلاجهما ، وحمايتهما ، وإرشادهما إذا ضلا ، والدعاء لهما بالمغفرة والرحمة حَيَّيْنِ ومـيِّـتَـيْـنِ ؛ تنفيذاً لأمره تعالى فى قوله : ﴿**وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا**﴾ [(٣)].

---

(١) رواه الترمذى والنسائى ، وقال الترمذى : حديث حسن صحيح ـ والتنور : الفرن الذى يُخبز فيه .

(٢) متفق عليه .

(٣) سورة الإسراء ـ الآيتان : ٢٣ و ٢٤ .

وبذلك ينال هؤلاء الأولاد ما أعده الله تعالى للبارِّين من نَيْلِ ثوابه ورضاه وجنته، ومن طُول العمر، وغفران الذنوب، ومن برِّ أولادهم بهم، قال ﷺ: «بِـرُّوا آباءَكم تبركم أبناؤكم، وعِفُّوا تعفَّ نساؤكم» (١).

كما أمر الله تعالى بأن يتراحم القرباء، قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٢). وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾(٤).

هذا، ويجب أن تكون علاقة الإخوة بعضهم ببعض قائمة على الرحمة: فيُعِين الأخُ أخَاه، ويُشاركه فى السَّراء والضَّرَّاء، ويقف بجانبه فى الشدائد، ويتسامح معه، ويغفر له إساءته، ويسدى له النصح، وينتشله من مستنقع الضلال إذا تردَّى فيه، ولا يطمع فيما فى يديه، ولا يحسده على ما منحه الله من نعم، ولا يخونه، ولا يغدر به.

وعلى هذا النحو يجب أن تكون رحمة الأصدقاء والزملاء بعضهم ببعض؛ لأنهم كالإخوة، إذا خلصت الصداقة والزمالة، ولم يكن هدفهما المصلحة والمنفعة؛ لأن الصداقة أو الزمالة القائمة عليهما واهية الأساس، سريعة الانهيار. قال ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه ...» (٥).

ومن الرحمات التى يجب أن تسود المجتمع رحمة الجار بجاره، وتتمثل فيما تتمثل فيه رحمة الأخ بأخيه، والصديق بصديقه، من مساعدته إذا احتاج، ومشاركته فى أفراحه وأحزانه، وعدم التعالى عليه بمنصب أو جاه أو مال أو عقار أو سلطة أو غير ذلك، وأن يقدم إليه ما يستطيع من خدمات يحتاج إليها، ويحسن إليه ما استطاع،

---

(١) رواه الطبرانى بإسناد حسن.
(٢) سورة النساء ـ من الآية: ٣٦.
(٣) سورة النحل ـ من الآية: ٩٠.
(٤) سورة الإسراء ـ من الآية: ٢٦.
(٥) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن.

قال ﷺ: « ... وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره » [1] وأن يهديه مما عنده من طعام، أو يخفيه عن نظر أولاده إذا لم يشأ أن يهديه منه . عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « يا أباذر ، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتعاهد جيرانك» [2] وقال تعالى : ﴿ **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ** ﴾ [3].

كما يجب على الجار أن يكف أذاه عن جاره ، وإلا عرض إيمانه للخطر ، كما فى حديثه ﷺ : « والله لا يؤمن ، والله لايؤمن ، والله لا يؤمن » ، قيل : مَنْ يارسول الله؟ قال : « الذى لا يأمن جاره بوائقه » [4]. ذلك أن الجار أقرب إلى جاره من أخيه أو صديقه الذى يسكن بعيداً عنه ؛ إذ يكون أول من يسمع صوت استغاثته ، فَيُسْرِعُ إلى نجدته قبل أشد أقربائه صلة به ، ولعل هذا هو سبب إلحاح جبريل فى توصية النبى ﷺ بجاره ، قال ﷺ : « ما زَالَ جبريلُ يُوصِينى بالجار حتى ظَنَنْتُ أنه سيُوَرِّثُه»[5].

وكذلك يجب أن تسود الرحمة علاقة الرئيس بمرءوسيه ، حيث يجب عليه أن يتعاون معهم ، ولا يشق عليهم ، ولا يظلمهم فى تقديره إياهم ، ولا يقرب منهم أحداً ظلماً بسبب قرابته له ، أو مستواه المادى أو الاجتماعى أو لأى شىء آخر يتنافى مع العدالة ، ولا يكتم عنهم توجيهاته وإرشاداته وخبراته ، ولا يتعالى عليهم ؛ لأن كل واحد منهم سيصل يومًا ما إلى ما وصل هذا الرئيس إليه ، وقد يصل إلى مرتبة أعلى من مرتبته عندما تسنح له الفرصة ، ويتدرج فى سلم العمل .

---

(1) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

(2) رواه مسلم .

(3) سورة النساء ـ من الآية : ٣٦ .

(4) متفق عليه .

(5) متفق عليه .

وإذا سادت الرحمة علاقة الرئيس بمرءوسيه على هذه الصورة ساد التعاون، وانتظمت الأمور ، ونجح ما يقومون به من عمل ، وأعطى أطيب الثمرات .

أيها الإخوة المسلمون ، إن مجال الرحمة ليمتد حتى يشمل علاقة المعلم بتلاميذه ، فبالرحمة تنجح العملية التعليمية ، وتُخرج جيلاً من المواطنين الصالحين الذين يصلون بمستواهم ومستوى وطنهم إلى الذِّرْوَة ، وتتمثل رحمة المعلم بتلاميذه فى حُبه لهم ، وصبره على تعليمهم ، ومراعاة الفروق الفردية بينهم ، وعدم تكليفهم من الأعمال ما لا يطيقون ، والعدل فيما يعطيه إياهم من الدرجات والتقديرات ، وعدم تمييز بعضهم على بعض لأى سبب من الأسباب ، كالقرابة ، أو الغِنَى ، أو منصب آباء بعضهم ، وعدم إرغامهم على الدروس الخاصة مقابل أجر يتقاضاه من أهلهم ...إلى غير ذلك من مظاهر الرحمة التى تُحبب التلاميذ فى أستاذهم ، وتجعله قُدْوَةً حسنة لهم ، فيحترمونه ، ويستمعون إليه ، ويوفرون له كل الظروف لأداء رسالته على خير وجه ، وينتفعون بعلمه ، ويذكرونه بكل خير ، ويعترفون بفضله عندما يكبرون ، وتظل علاقتهم به موصولة طوال حياتهم ؛ لأنه أستاذهم القدوة الحسنة الذى أحسن تربيتهم وتعليمهم وتنشئتهم ...

كذلك علاقة التاجر بالمشترين لابد أن تتوافر فيها الرحمة ، وتتمثل فى عدم غش السلع ، وعدم نقص الكيل أو الميزان ، وعدم التغالى فى الأسعار لتحقيق ربح كبير ، وعدم بيع سلعة فاسدة ، حتى ولو لم يظهر فسادها لهم،كما تتمثل الرحمة فى صدقه فى كل مايقول ، فإذا تحلى بهذه الصفات الرحيمة أقبل عليه المشترون ، وراجت سلعته ، وحقق ربحاً حلالاً مباركاً ، وضمن دخول الجنة مع أعلى الناس أقدارًا ومنازل ، قال ﷺ : « التاجر الصدوق الأمين مع النَّبِيِّين والصديقين والشُّهداءِ »[1].

وعلاقة صاحب العمل بالعمال هى الأخرى فى حاجة إلى أن تكون مبنية على الرحمة، فلا يرهقهم بأعمال فوق طاقتهم ، ولا يبخسهم أجرهم ، ولا يُؤخِّر دفعه لهم بعد حلول ميعاده ، بل يعطيهم إياه قبل أن يجف عرقهم ، كما جاء فى الحديث الشريف :« أَعْطُوا الأجِيرَ أَجْرَه قبل أن يَجِفَّ عَرَقُهُ ».

---

(١) رواه الترمذى .

وعلى العامل فى مقابل ذلك أن يحترم مواعيد العمل ، وأن يخلص فى عمله ويتفانَى فيه ويتقنه ، عملا بنصيحة الرسول ﷺ فى قوله : « اللّه يُحب إذا عَمِلَ أحدكم عملاً أن يتقنه »[١] ، وبتوافر الرحمة بين صاحب العمل والعمال ترتقى الصناعة والزراعة ، وتستغنى البلاد عن استيراد المنتجات الصناعية والزراعية من الدول الأخرى التى تستغل حاجتنا إليها ، فتغالى فى أسعارها ، وتمتص أموالنا ...

أيها المسلمون ، إن التراحم فى الإسلام ليس مقصورًا على صلة المسلم بأخيه المسلم، بل يتعداها إلى صلة المسلم بأهل الكتاب ، رأى عمر رضى الله عنه شيخاً ضريراً يسأل على بابٍ ، فلما عَلِمَ أنه يهودىٌّ قال له : ما ألجأَكَ إلى ما أرى ؟ قال : الجزية ، والحاجة، والسن ! فأخذ عمر بيده ، وذهب إلى منزله ، فأعطاه ما يكفيه ساعتها ، وأرسل إلى خازن بيت المال يقول : انظر هذا وضُرَبَاءَه (أى أمثاله) فوالله ما أَنْصَفْنَاهُ إنْ أَكَلْنَا شَبِيبَتَهُ ثم نَخْذُلُه عند الهَرَم ، إنما الصدقات للفقراء والمساكين ، والفقراء هم المسلمون، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووَضَعَ عنه الجزية وعن ضربائه !!

أيها المسلمون ، هذا هو الإسلام فى صورته الجميلة : علاقات بين الناس أزاهيرها الرحمة والحب والإخلاص والإخاء الحق ، فما أَعْظَمَهُ من دين ! وما أَقْوَمَ شريعته ! وما أَحْرَاهُ أن ينضم إلى رياضه كل البشر !

وهؤلاء هم المسلمون : يتراحمون فتنزل عليهم رحمات ربهم فى الدينا ، وأما فى الآخرة فهم فى رحمة الله (جنته) هم فيها خالدون !!

قال ﷺ : « إنما يرحَمُ الله من عباده الرُّحَماء »[٢].

وقال ﷺ : « لا تُنْزَعُ الرحمة إلاَّ من شقى »[٣].

وقال ﷺ : « من لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ »[٤].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

(٢) رواه البخارى .

(٣) رواه أبو داود ، والترمذى بسند حسن .

(٤) رواه الشيخان ، والترمذى ، وفى رواية : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى ».

الإسلام : لماذا أحببناه ؟ ولماذا عادَوْهُ ؟

(أ)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حبب إلينا الإيمان ، وزيَّنه فى قلوبنا ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، جاء بالشريعة السمحة ، منارًا للهدى والرشاد ، وإصلاحاً للعباد ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وَمَنِ اهتدَى بِهَدْيِه وسَلَكَ طريقه إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيا معشر المسلمين ، إن الدول المعادية للإسلام كانت من قبل تنقسم إلى:

١ - دول شرقية شيوعية تنكر الأديان ، ولا تدين إلا بالمادة وبالأسباب والنتائج ، وترى أن العالم وجد بالمصادفة ، ولا مُوجِد له ، ولا مدبر لأموره، وإنما هى الطبيعة تسير على ما هى عليه ، دون أن يكون لها مالك يصرِّفها كيف يشاء ! كما ترى أن الدين أفيون الشعوب ، وأنه يدعو إلى الإيمان بالغيب الذى ينكرونه ؛ إذ لا يعترفون بما وراء المادة والمحسوسات !

٢ - دول غربية رأسمالية ، يدين معظمها بغير الإسلام ، ويسيرون بعيدًا عن هداه !

وقد ظل كل فريق من هذين الفريقين يكيد للآخر ، ويتربص به الدوائر للقضاء عليه وعلى مبادئه فيما يسمى بالحرب الباردة ؛ ليخلو له الجو العالمى، فيسيطر على العالم ويستغله ، ويُصَرِّفُهُ كيف يشاء ، وأخذ كل منهما ينفق فى سبيل ذلك الأموال بدون حساب ؛ لاجتذاب الدول إلى صفه ومبادئه ؛ تقوية له ، وإضعافاً لضده ، كما أخذ يعد لذلك ترسانات الأسلحة على اختلاف أنواعها ، نَوَوِيَّةٍ وغير نووية ، حَارِماً شعبه من حقه فى هذه الأموال بإنفاقها على غذائه وعلاجه وإصلاح حاله ورفاهيته !

وتشاء إرادة الله الذى لا رادَّ لإرادته - أن يُفاجَأ العالم بانهيار الشيوعية الملحدة

أساسها ، بدون أن يطلق عليها أعداؤها الغربيون رصاصة واحدة ، أو يريقوا نقطة واحدة من دماء جيوشهم ؛ لأن سُوسَ التنكر للأديان ، والإنفاقَ على التسليح ، وتَفَشِّى الظلم والفساد ، ورفْضَ الفضائل والقيم العليا - قد نخر فى عظامها حتى أتى عليها : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾(١) .

ويضج الغرب بالفرح ، ويزايله خوفه وقلقه واكتئابه ؛ لأن القَدَرَ قد قضى على عدوه بدون أن يكلفه ما كان سيخسره من أموال ودماء وجهد ووقت لو خاض معركة مع الشيوعية للقضاء عليها .

وكان الواجب على الغرب - وقد تحققت مناه على هذه الصورة - أن يشكر الله الذى خلصه من عدوه اللدود ، ويعمل على نشر الحرية ، والمحبة ، والسلام ، والعدل، والإخاء ، والمساواة فى ربوع العالم ، ويكرس لذلك كل أمواله التى كان ينفقها فى الاستعداد لملاقاة الشيوعية التى كانت متوقعة فى أى وقت؛ وذلك ليعيش العالم فى حرية وسلام ورخاء واستقرار ، بعد هذه الفترة القلقة المتوترة المضطربة التى عكرت صفو حياة العالم سنوات طويلة !

ولكن أَنَّى يتأَتَّى له ذلك ، والصهيونية تسيطر عليه وتوجهه ، والأهواء تتحكم فيه، والأطماع تحركه كيف تشاء ؟

لقد نظر الغرب وأمريكا التى زَجَّتْ بنفسها لقيادة العالم بعد انهيار الشيوعية - إلى المستقبل ، فوجدوا كل المؤشرات تشير إلى أن نور الإسلام يسرى فى كل اتجاه ، وأن المستقبل لهذا الدين ، وذلك بشهادة رجال الفكر والفلاسفة والعباقرة فى جميع أنحاء العالم - وبخاصة الغرب - الذين اعتنقوه، ودعوا إلى اعتناقه بعد أن تبين لهم أنه الحق !

من ذلك ما قاله المفكر الألمانى « مراد هوفمان » الذى دخل الإسلام فى الثمانينيات، وسمى نفسه مراداً : « إن الحل الوحيد للخروج من الهاوية التى سقط فيها الغرب هو الدخول فى الإسلام » .

---

(١) سورة هود : ١٠٢ .

فهالهم ذلك ، وأقَضَّ مضاجعهم ، وانتهزها الشيطان فرصة ؛ ليُسَوِّلَ لهم أن يتخذوا الإسلام عدوًّا لهم ، وأنْ يُشَوِّهُوا صُوَرَتَه وصورة أتباعه ؛ لإيقاف تياره الجارف لكل العقائد الفاسدة والظلم والظلمات ، ولِصَدِّ الناس عن سبيله حتى يقضوا عليه !

ومن ثَمَّ غرست أمريكا فى عقول شعبها ووجداناته عن طُرُق الإعلام التى تسيطر عليها وتوجهها الصهيونية من (سينما) وإذاعة مسموعة ومرئية وصحافة وشتى المطبوعات ـ غرست فيها العداء للعرب والمسلمين ، فوصفوهم بأنهم قراصنة ، إرهابيون ، متخلفون ، غامضون ، ذوو هيئة منفرة ، يعيشون فى الحاضر عيشة أهل العصور الوسطى ، أعداء للسيد المسيح ، فوضويون همجيون ، ألوانهم داكنة ، وأغنياؤهم مهووسون بالجنس، ونساؤهم إماَّ راقصات ، وإماَّ كُتَلٌ من التخلف المغلف برداء أسود ـ وصفوهم بكل ذلك وأكثر منه ، فى حين أنهم وصفوا إسرائيل الباغية ، المغتصبة للأوطان ، السفاكة للدماء ، الهتاكة للأعراض ، السراقة للأموال ، الخائنة للعهود ـ وصفوها بأنها بلدٌ راقٍ ، مُتَحَضِّر ، يستحق كل مساندة ومعونة وتقدير !!

بل أشاروا فى واحد من كتبهم إلى أن الإسلام بدأ فى مخيلة سائق للجمل من مكة اسمه محمد !! والقرآن من تأليفه !! وما جاء به ليس أكثر من أساطير !!

وفى الكتب الخاصة بالمدرسين توجيه يدعوهم إلى سؤال الطلاب عن الأسباب التى أدت إلى سقوط الحضارة الإسلامية ، وانبعاث النهضة الأوربية ، مرفق بملاحظة تقول بأن الإجابة يجب أن تشتمل على الإقرار بأن الهوس أو التطرف الدينى هو الذى أدى إلى سقوط حضارة المسلمين !!

إخوة الإسلام ، بهذه الصورة الكاذبة النكراء التى صوروا بها الإسلام ورسوله وكتابه سَمَّمُوا عقول شعوبهم ووجداناتها منذ الصغر ، وبكل المؤثرات ، ألا ساء ما يأفكون ، وبئس ما يفترون ، إن يقولون إلا منكرا من القول وزورًا : ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ**﴾ (١)!!

---

(١) سورة الشعراء ـ من الآية : ٢٢٧ .

أيها المسلمون ، هكذا فكر أعداء الإسلام وقَدَّرُوا ، فَقُتِل كيف فكروا وقدَّروا ، ثم قُتِلَ كيف فكَّروا وقدَّروا !!

فلنكن نحن ـ المسلمين ـ فطنين إلى مكائدهم ، ولْنَقِفْ لهم بالمرصاد ، ولْنُصَحِّحْ عن طرق الإعلام وغيرها ـ هذه الصورة الشوهاء التى رسموها للإسلام ورسوله وكتابه، ولنا النصر إن شاء الله ، كما وعدنا فى قوله تعالى : ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (١).

والآن اسمحوا لى ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن أصحبكم فى رحلة تأملية نسترجع فيها دوافع حبنا لديننا وتمسكنا به وجهادنا فى سبيله ، ودوافع عداء هؤلاء الخَرَّاصين لهذا الدين الحنيف .

● أَمَّا لماذا أحببنا نحن ديننا وتمسكنا به ، فلأنه دين الفِطْرة ، أى الطبيعة السَّوِيَّة ، والحالة الأولى التى جُبِلَ عليها الإنسان قبل أن تدنسه الأهواء والشهوات ، دين العقائد القويمة ، والعبادات الخالصة لله تعالى ، والمعاملات الحسنة ، والأخلاق العظيمة ، والتشريعات الخالدة الصالحة لكل زمان ومكان ، دين الإيمان المصحوب بالعلم والعمل ، دين الإنسانية التى لا تسعد إلا بالتمسك به ، ولا تشقى إلا بالبعد عنه وبمحاربته ، ولا حضارة صحيحة لها إلا إذا استنارت بنوره .

أجل ، أحببنا الإسلام لأنه دين الفطرة : ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (٢). فكل إنسان تهديه فطرته السليمة إلى أن هذا الكون البديع الصنع ، الدقيق النظام ـ لا بد له من مُوجِد ؛ إذ يستحيل وجوده بمحض المصادفة ، وهذا الموجِد لا بد أن يكون واحدًا ؛ لأن وجود أكثر من موُجِد له، مُدَبِّرٍ لأمره ـ يؤدى إلى عدم انتظامه : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ (٣).

---

(١) سورة الحج ـ من الآية : ٤٠ .

(٢) سورة الروم ـ من الآية : ٣٠ .

(٣) سورة الأنبياء : ٢٢ .

فمن خرج على الإسلام فقد بَدَّل خَلْق الله فيه وشوَّهَهُ ، قال تعالى : ﴿**لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ (١). وقال ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ على الفِطْرَة ، فأبواه يُهَوِّدَانِه أو يُنَصِّرَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه » .

فعقيدة التوحيد فيها التحرر من عبادة المخلوق : صنماً كان أو وَثَناً ، أو ظاهرة كونية، أو مخلوقاً أياً كان زعيماً أو قائدًا أو رئيس دولة ، أو أى شىء من دون الله . فيها إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، ويستتبع ذلك الإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومُرِّه: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ (٢)

وأما أعداء الإسلام فقد انحرفت فطرهم ، ومن ثم لم يؤمنوا بكل ما آمنا به ؛ فمنهم من جعل الآلهة إلٰهاً واحدًا ، ومنهم من عبدوا أو ثاناً وأصناماً بشرية تزعَّموهم وأوهموهم أن أقدارهم فى أيديهم ، ومنهم من يعبدون الحيوانات ، ومنهم من يعبدون الظواهر الكونية ، ومنهم من لا يدين بأى دين ، مؤثراً الزندقة على التدين ، وقد شقى كل هؤلاء وأولئك ، لانحرافهم ـ كما قلت ـ عن فِطْرَتهم التى فطرهم الله عليها ، وضلوا ضلالاً مبيناً .

● أحببنا ـ أيها المسلمون ـ ديننا ؛ لأنه بُنى على أركان ثابتة تهدف إلى بناء شخصية المسلم بناء متكاملا ، ففى الإيمان بالله تعالى ورسوله صدق الاعتقاد ، وفى إقامة الصلاة مناجاة لله تديم صلةَ العبد به سبحانه وتعالى ، وتمده بطاقة روحية وزاد دينى يستطيع به مواجهة الحياة ، وتقبل ماكتبه الله عليه ، كما أنها تنهاه عن الفحشاء والمنكر: ﴿ **إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾(٣).وتكون معيناً له على ما

---

(١) سورة الروم ـ من الآية : ٣٠ .

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥ .

(٣) سورة العنكبوت ـ من الآية : ٤٥.

يواجهه من صعاب فى حياته : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاة ﴾ (١)

وقد حث الشرع على أدائها فى جماعة ، وضاعف لها إذ ذاك الأجر ، لما فى ذلك من رمز إلى المساواة بين المسلمين ، حيث يقف بعضهم بجانب بعض، لا فَرْقَ بين غنى وفقير ، ولا بين أبيض وأسود ، ولا بين عظيم وغير عظيم ، ولما فى ذلك من تآلف القلوب ، وتقوية للروابط ، وغرس للوحدة والنظام والتعاون على البر والتقوى ...

وفى الزكاة أكمل وأروع نظام للتكافل الاجتماعى ، وللتراحم بين الناس ، ونزع لفتيل العداوة والبغضاء والحسد بين الفقراء والأغنياء ، فالمال مال الله، ومن بأيديهم ذلك المال مُسْتَخْلَفُونَ فيه ﴿ وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ (٢)﴿ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ (٣).

هذا إلى ما فى الزكاة من تدريب على البذل والعطاء والتضحية بالمال فى سبيل الله .

وفى الصوم عملية (عَمْرَة) صيانة سنوية للجسم والروح لا يحظى بها غير المسلمين، وحاشا لله أن يهدف بفرضه إلى ما يزعمه أعداء الإسلام من التجويع أو الإضعاف أو ترك العمل ، وإنما هدفه هو القوة الروحية والجسدية ، وتكريم للشهر الذى أُنزل فيه القرآن هُدًى للناس : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ﴾ (٤)، كما هدف إلى تقوية الإرادة ، وتدريب المسلم على الصبر والأمانة ، حيث لا رقيب عليه فى صومه إلا ربه ، فهو وحده الذى يعلم إن كان صائماً حقاً أو غير صائم ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به »(٥).

وفى الحج تلبية لأمر الله ، واستجابة لنداء أبى الأنبياء إبراهيم : ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٤٥ .

(٢) سورة الحديد ـ من الآية : ٧ .

(٣) سورة النور ـ من الآية : ٣٣ .

(٤) سورة البقرة ـ من الآية : ١٨٥ .

(٥) متفق عليه .

بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[1] وفيه تدريب للنفس على تحمل فراق الأهل والولد والوطن ، وتحمل مشاق السفر حُبًّا لله ، وفيه ـ فوق ذلك ـ اجتماع للمسلمين من شتى أنحاء الأرض ، يستطيعون أن يغتنموه فرصة لدراسة شئونهم ، وتبادل الرأى فى مشكلاتهم ، والتخطيط لمستقبلهم ونشر دعوتهم...

كما أن فيه منافع دنيوية كالتجارة واكتساب الخبرات ، والفوز بالثواب على ذكر الله فى الأيام المعلومات : **﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾**[2].

هذا إلى جانب أنه تتجلى فيه أروع صور المساواة ، فمظهر الناس جميعهم واحد ، قد ذابت فيه فوارق الجنس واللون والمستوى المادى والمعنوى ، وأنه مؤتمر عالمى سنوى ، يتبادل فيه المسلمون النظر فى أحوالهم ، ويتعاونون على حل مشكلاتهم ، ويخططون لمستقبلهم ومستقبل دعوتهم ، كما أسلفت.

أما أعداء الإسلام فدياناتهم ليس لها مثل هذه الأركان الثابتة التى تجعل شخصية المسلم متكاملة متوازنة سعيدة فى الدينا ، موعودة بالسعادة فى الآخرة ، ومن ثم فهم يحملون على الإسلام ويهاجمونه ، ويناصبون أهله العداء ، حَسَدًا من عند أنفسهم ، وحقْدًا عليهم ، وبغضاً لهم ، فليموتوا بغيظهم ، ولن يأكل الحقد إلا قلوبهم فى الدنيا، وأما فى الآخرة فلهم سوء المنقلب وبئس المصير !

هذا ـ أيها المسلمون ـ بعض ما جعلنا نحن ـ المسلمين ـ نحب ديننا ونتمسك به ، وما جعل أعداءنا يهاجمونه ويبتعدون عنه ، وخوفاً من الإطالة أرجئ تكملة هذا الحديث إلى خطبة قادمة ، إن شاء الله تعالى ، وطال الأجل .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين ، فاستغفروه ثم توبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) سورة الحج : ٢٧ .

(٢) سورة الحج : ٢٨ .

الإسلام : لماذا أحببناه ؟ ولماذا عادوه ؟

(ب)

الحمد لله الذى هدانا لهذا ، وماكنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، أكمل لنا ديننا ، وأتَمَّ علينا نعمته ، ورَضِيَ لنا الإسلام ديناً ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِكْ عليه وعلى آلهِ وصحابته صلاة وسلاماً وبركات دائمات ما دامت السمٰوات والأرض .

أما بعد ـ أيها المسلمون ـ فالحديث موصول عن إسلامنا ، وسر حبنا إياه، وسر بغض أعدائنا له .

● أحببنا ديننا ـ إخوة الإسلام ـ لأنه دين الحرية : حرية العقيدة ، قال تعالى : ﴿ **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** ﴾ (١)، وقال: ﴿ **أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** ﴾ (٢)

حرية الرأى والرجوع إلى الأمة فى الأمور الهامة ، قال تعالى : ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾ (٣)، وقال :﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ (٤). وأيضا حرية التفكير والحث عليه، قال تعالى:﴿**وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ (٥)، وقال: ﴿**قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلا تَتَفَكَّرُونَ**﴾(٦).

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .

(٢) سورة يونس ـ من الآية : ٩٩ .

(٣) سورة الشورى ـ من الآية :٣٨ .

(٤) سورة آل عمران ـ من الآية : ١٥٩ .

(٥) سورة الحشر ـ من الآية : ٢١ .

(٦) سورة الأنعام ـ من الآية : ٥٠ .

وحرية اختيار الحاكم ومراقبته ومحاسبته ، قال عمر بن الخطاب فى إحدى خطبه : « أيها الناس ، من رَأىَ فىَّ اعوجاجاً فَلْيُقَوِّمْه » فتقدم إليه رجلٌ وقال : لو رأينا فيك اعوجاجاً لقوَّمْناه بسيوفنا ، فرد عليه عمر : «الحمد لله أن كان فى أمة محمد من يُقَوِّم اعوجاج عمر بالسيف » ... وهذا هو عثمان بن عفان يبدى استعداده لإصلاح ما أخذته عليه جموع المتظاهرين من أخطاء فى تصريفه شئون الحكم ، إذ يقول : إننى أتوب وأنزع ، ولا أعود لشىء مما عابه علىَّ المسلمون ، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من زلَّ فليتبْ ، ولا يتماد فى الهلكة فإن من تمادَى فى الجور كان أبعد من الطريق ، فأنا أولُ من اتعظ ، أستغفر الله مما فعلتُ وأتوب إليه ، فإذا نزلتُ من منبرى فليأتنى أشرافكم ، فَلْيُرُونى رأيهم، فوالله لئن ردنى إلى الحق عبد لأذلَّنَّ ذلَّ العبيد»!!

وحرية التنقل ، قال تعالى : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** ﴾ (١)، وقال : ﴿ **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ** ﴾ (٢).

وحرية التملك ، بل حرية شتى التصرفات كحرية اختيار العمل وغيرها، ما دامت فى حدود الشرع ، حيث « لاضَرَرَ ولا ضِرَارَ » (٣).

أما أعداء الإسلام فيرون أن الحرية والكرامة وحقوق الإنسان لهم وحدهم ولمن على شاكلتهم ، أما الشعوب الأخرى فهم فى نظرهم لا يستحقون الحرية ، بل ليس لهم منهم إلا الاستعباد والاستغلال واستباحة الأوطان والأراضى بحجة تعميرها ، وإن حدثتهم أنفسهم بالاحتجاج على ماينزله بهم أولئك الطغاة استخدموا القوة والجبروت حتى يسكتوهم ، ومن كان فى ريب مما أقول فلينظر ما يفعلونه بمسلمى البوسنة والهرسك من قتلٍ وتعذيب وتجويع ، وهَدْم دورهم فوقهم ، وطردهم منها ، واغتصاب نسائهم ، وهتك أعراضهن ، مع أنهم أوربيون مثلهم ، يعيشون بينهم :

---

(١) سورة الأنعام : ١١ .
(٢) سورة العنكبوت ـ من الآية : ٢٠ .
(٣) رواه مالك فى الموطأ .

obeikandl.com

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [1]. ثم بعد كل ذلك يرفعون عقائرهم بكل تبجح بأنهم حماة حقوق الإنسان !!

● أحببنا ديننا ـ أيها الإخوة ـ لأنه دين الإخاء والمساواة ، فلا تفرقة بين الناس بسبب اللون أو الجنس أو اللغة ، أو المنصب أو القدرة المادية ، أو غير ذلك من ألوان التفرقة التى يقترفونها :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [2].

وقال ﷺ : « لا فَضْلٍ لعربى على أعجمىٍّ إلاَّ بالتقوى » .

لقد وضعت هذه النصوص المقياس العادل الذى يتفاضل الناس على أساسه ، وهو التقوى والعمل الصالح .

أما أعداء الإسلام فقد فرَّقوا بين الناس ، فَرَّقُوا بين الأبيض والأسود ؛ إذ احترموا الأول وأعطوه حقوقه وسوَّدُوه ، فى حين احتقروا الثانى وهضموا حقوقه واستعبدوه! فرقوا بين الجنس السامى والجنس الآرى ، إذ احتقروا الأول ، وعظَّموا الثانى ! فرقوا بين الغنى والفقير ، إذ هابوا الأول ، وعملوا له كل حساب ، واستهانوا بالثانى ، وأذاقوه ألوانَ العذاب ! فَرَّقُوا بين من يسكنون شمال الكرة الأرضية الذين هم منهم ، وبين سكان جنوبها الذين نحن منهم ، فعظموا أهل الشمال وتعاونوا معهم ، واحتقروا أهل الجنوب الذين لولا الأموال والطاقات والخامات التى نزحوها من بلادهم لما بلغوا ما بلغوه من قوة وغِنًى وتطاول ، ولظلوا فى الحضيض ، ولما استطاعوا أن يتعالوا على غيرهم ويسوموهم سوء العذاب !

فَرَّقوا بين الناس لكل هذه الأسباب ولغيرها ، ونسوا أن المعيار الربانى الحق للتفاضل هو ـ كما أسلفت ـ التقوى والعمل الصالح : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ

---

(١) سورة البروج : ٨ .

(٢) سورة الحجرات : ١٣ .

﴿أَتْقَاكُمْ﴾ فَضَلُّوا ضلالاً بعيداً، واستحقوا لعنة الله وملائكته ورسله والناس أجمعين!

● أحببنا ديننا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ لأنه دين الحق والعدل، العدل المطلق لكل الناس: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[١]، ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾[٢]،العدل فى القول قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[٣].العدل فى الشهادة، قال تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾[٤].

وبهذا العدل المطلق أرسل الله تعالى رسله جميعاً: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[٥].

أجل، إن ديننا هو دين العدل المطلق الذى لايفُرق فى المعاملة والحكم بين عربى وأعجمى، ولا بين أبيض وأسود، ولا بين غنى وفقير، ولا بين ذى جاهٍ وسُلطان ومَنْ لاجاهَ له ولا سلطان، ولا بين أهل الشمال وأهل الجنوب، كما أنه لا يقبل الشفاعة فى حق من الحقوق أوحدٍّ من الحدود لأى سبب من الأسباب: عن عائشة أن قريشاً أهمهم أمر المرأة المخزومية التى سرقت، فقالوا: من يكلم رسول الله ﷺ؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامةُ حِبُّ رسول الله ﷺ؟ فكلّم رسول الله، فقال: أتشفع فى حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب، قال: «أيها الناس، إنما ضلَّ مَنْ قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايْمُ الله، لو أنَّ فاطمةَ بنت محمد سرقَتَ، لقطع محمد يدها»[٦].

أما أعداء الإسلام فلا يقرون العدل المطلق، بل يجعلون العدل نسبياً، فتنفذ

---

(١) سورة النحل: ٩٠.
(٢) سورة النساء ـ من الآية: ٥٨.
(٣) سورة الأنعام ـ من الآية: ١٥٢.
(٤) سورة الطلاق ـ من الآية: ٢.
(٥) سورة الحديد ـ من الآية: ٢٥.
(٦) رواه البخارى.

القوانين فى الغرباء والضعفاء والفقراء ، ومن لا مَنْصِبَ لهم ولا سُلطة ولا جاه . أما الأقارب والأقوياء والأغنياء وذوو المناصب والسلطة والجاه فهم مستثنون من تطبيق القانون ، بل هم فوق كل القوانين !!

إن الميزان فى أيديهم مختل معتل ، والكيل لديهم كيلان : كيل لهؤلاء ، وكيل لأولئك، ومع ذلك لا يخجلون مما يصنعون ، بل يتبجحون بأنهم أهل العدل والقسطاس المستقيم وحماة حقوق الإنسان !!

إن الأمثلة التى تشهد بذلك فوق كل حصر ، انظر إلى مايصنعون فى أهل البلاد التى احتلوها بالقوة ، إذ يرتكبون فيها من المظالم والمفاسد والحماقات ما يَنْدَى له جبين العدالة : فيسفكون الدماء ، ويهتكون الأعراض ، ويأكلون الأموال ، وينشرون الفساد، غير دارين بأن الله ليس بغافل عَمَّا يعمل الظالمون ، إِنَّما يُؤَخِّرُهُم ليومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصار .

● أحببنا ديننا ـ أيها الإخوة ـ لأنه دين الاستقامة ، دين الثبات على توحيد الله وإخلاص العبادة لوجهه الكريم ، والعمل له ، والسير على شريعته قولاً وخُلُقًا وفعلاً وسُلوكاً ...

أما أعداء الإسلام فقد طمس الله على قلوبهم ، وسَلَّطَ عليهم المادة ، فاستحوذت على نفوسهم ، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون !

● أحببنا ديننا ـ إخوةَ الإسلام ـ لأنه الدين الذى يحافظ على التوازن بين الجسم والروح فى الإنسان ، فلا يضحى بالجسم فى سبيل الروح ، ولا بالروح فى سبيل الجسم ؛ ومن ثَمَّ لم يحَرِّم الطيبات : ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ**﴾(١). ولم يحرم الإنسان نصيبه من الدنيا : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾(٢)

---

(١) سورة الأعراف : ٣٢ .

(٢) سورة القصص ـ من الآية : ٧٧ .

وبهذا التوازن يحيا المسلم حياة بعيدة عن القلق والتوتر ؛ إذ لا يتكالب على الدنيا ومتعها ، فيجعلها أكبر همه ، ومبلغ علمه ، كما أنه لا ينقطع ليلا ونهاراً للعبادة بحجة العمل للآخرة وحدها ، عائشاً عالة على غيره ، حيث يرفض الإسلام ذلك كل الرفض «لا رهبانية فى الإسلام »[1].

● أيها المسلمون ، أحببنا ديننا أيضاً لأنه دين الرحمة ، والله تعالى الذى شرعه كتب على نفسه الرحمة : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴾[2]. والرسول الذى جاء بهذا الدين رءوف رحيم : ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]. وكذلك كانت الرحمة خُلُق كل من اتبع هذا الدين، تلك الرحمة التى لم تقتصر على الإنسان ، بل تعدته إلى الحيوان والنبات !

أما أعداء الإسلام فالرحمة لذويهم ولمن هم على شاكلتهم ، أما غير هؤلاء فلا يرون منهم إلا القسوة والوحشية والقتل والتعذيب والاستغلال ؛ لأن قلوبهم قَسَتْ فهى كالحجارة أو أشد قسوة !!

● أحببنا ديننا ـ أيها المسلمون ـ لأنه الدين الذى يحترم العقل ، ويحث على النظر والبحث وإعمال الفكر المؤدى إلى العلم الصحيح ، ثم إلى الحضارة الراقية ، والمدنية الصادقة .

أليست أول آية نزلت من القرآن الكريم تحث على القراءة التى هى سبيل العلم والمعرفة : ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾[4].ثم تمضى آياته تَتْرَى ـ أى تتتابَعُ ـ فى النزول ، حاثة على النظر والبحث وإعمال العقل والتفكير حتى تصل إلى مئات الآيات، أكتفى منها بهذه الآيات : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ

---

(١) رواه الدارمى ولفظه :« إنى لم أومر بالرهبانية » .

(٢) سورة الأنعام ـ من الآية : ٥٤ .

(٣) سورة التوبة : ١٢٨ .

(٤) سورة العَلَق : ١ .

الْخَلْقَ﴾(١). **﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾** (٢). **﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾**.(٣) **﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾**. (٤)

كما رفع الله تعالى قَدْرَ العلماء ، إذ قال : **﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾** (٥). وقال : **﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾** (٦).

ومنَّ على عباده بأن وهب لهم من الأجهزة ما يوصلهم إلى المعرفة ، ويستوجب شكره تعالى : **﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾** (٧).

ولم يترك الجهال الذين لم يستخدموا عقولهم وحواسهم فى الوصول إلى العلم والمعرفة للاهتداء إلى الحق والاعتبار بما يدركون ـ لم يتركهم دون أن يسخَرَ منهم ويقرعهم أوجع تقريع ، فجعلهم عُمْيَ القلوب ، حيث قال : **﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾** (٨). بل جعلهم شر الدواب ، حيث قال :

---

(١) سورة العنكبوت ـ من الآية : ٢٠ .

(٢) سورة الأنعام : ١١ .

(٣) سورة الروم ـ من الآية : ٨ .

(٤) سورة الذاريات : ٢١ .

(٥) سورة المجادلة ـ من الآية : ١١ .

(٦) سورة الزمر ـ من الآية : ٩ .

(٧) سورة النحل : ٧٨ .

(٨) سورة الحج : ٤٦ .

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [1]. وجعل عليهم الرجس ، وهو العذاب أو السخط، حيث قال : ﴿وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ﴾ [2].

وإذا كان المسلمون فى الوقت الحالى قد سبقهم غيرهم فى كثير من مجالات العلم ، فليس العيب فى الإسلام ، وإنما العيب فيهم هم ؛ لأنهم لم يستخدموا عقولهم الاستخدام الأمثل فى كل المجالات ، فينفذوا ما أمرهم الله تعالى به من النظر والبحث والتدبر والتفكر للوصول إلى إدراك آيات الله فى الكون وفى أنفسهم !!

وهكذا يجب استخدام العقل ليوصلنا إلى معرفة الله تعالى ، وإلى العظة والاعتبار ، وإلى ما ينفعنا وييسر أمورنا فى الدنيا وما ندخره للآخرة ؛ لتتم لنا السعادة فى الدارين.

أما أعداء الإسلام فلا يستخدمون العلم للاهتداء إلى الله ، بل يستخدمونه فى الوصول إلى اكتشافات ، منها ما ينفع فى الدنيا ، ويُيَسِّرُ سُبُلَ المعيشة فيها ، ومنها ما يُخَرِّبُ العقول ، ويدمر كيان الإنسان ، كأنواع المخدرات التى لا يفتئون يتفننون فى الوصول إليها ، ومنها مايهلك الحرث والنسل ويخرب الديار ، ويأتى على الأخضر واليابس ، كالأسلحة الفتاكة المدمرة الرهيبة ، مستخدمين ما هداهم الله تعالى إليه من اكتشافات تتصل بالذرة ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم !!

● أيها المسلمون ، أحببنا ديننا أيضاً لأنه دين العمل الصالح ، والعمل قيمة من أعلى القيم ، فبه تسير الحياة ، وتعمر الأرض التى استخلفنا الله تعالى فيها لتعميرها ، وصناعة الحضارة الرشيدة فيها ، قال تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[3] . وكان أنبياء الله ورسله يعمل كل منهم مايناسبه من عمل؛ لكيلا يكون عالة على غيره ، وليكون فى ذلك قدوة حسنة لغيره : فداود عليه السلام كان يصنع الدروع ، وزكريا عليه السلام كان نجارًا ، وخاتم الرسل ﷺ كان يعمل

---

(١) الأنفال : ٢٢ .

(٢) سورة يونس ـ من الآية : ١٠٠ .

(٣) سورة التوبة ـ من الآية : ١٠٥ .

بالتجارة والرعى ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[1]. وأطيب الكسب فى الإسلام ماكان عن طريق العمل كما جاء فى الحديث الشريف : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده»[2].

ولعظم قيمة العمل الصالح قرنه الله تعالى بالإيمان فى أكثر من خمسين آية فى القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[3]. فجعل أجره كثيراً غير ممنون ، كما جعله سبباً فى تكفير السيئات ، وفى الفوز بحب الله وبجنات النعيم ، وذلك ما جعلنى أتناوله فى خطبة مستقلة أتحدث عنه فيها بإفاضة .

وهكذا نعمل نحن ـ المسلمين ـ للدنيا والآخرة ، لا للدنيا فقط .

أما أعداء الإسلام فعملهم متجه إلى الدنيا وماديّاتها ومتاعها وإلى التنافس فى تحصيل الأموال واللذات ، وإطلاق العنان للغرائز والشهوات ، ولا يهمهم فى قليل أو كثير العمل للآخرة ؛ لأنهم فى شك من البعث والحشر والحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين ، فالويل ، ثم الويل لهم ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾[4].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ؛ إنه هو البر الرحيم .

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١ .

(٢) رواه البخارى .

(٣) سورة فُصِّلت : ٨ .

(٤) سورة آل عمران ـ من الآية : ٣٠ .

الإسلام : لماذا أحببناه ؟ ولماذا عادوه ؟

(ج)

الحمد لله الذى شرفنا بالإسلام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل القلوب العامرة بالإيمان فى أَمْنٍ واطمئنان ، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله ، قدوة المقتدين ، وإمام المصلحين ، اللهم صَلِّ وسلم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا خير ذَادَةٍ عن الإسلام .

أما بعد ، فالحديث ـ أيها المسلمون ـ موصول عن إسلامنا ، وسبب حُبِّنَا له ، وتمسُّكنِا به ، وجهادنا فى سبيل نَشْرِه ، وعن سبب بغض أعدائنا له ومحاربتهم إياه .

● نحب ديننا ـ أيها المسلمون ـ لأن مصادر شريعته وقوانينه ربانية عادلة، برئية من الأهواء ، منزهة عن الأغراض وعن النزعات والمصالح الخاصة ، صالحة لكل زمان ومكان ؛ لأنها شريعة رب العالمين ، الذى خلق النفوس وسوَّاها ، فكان أدرى بما يُصْلِحُها وبما تَصْلُح له ، ومن ثَمَّ جاءت مراعية مقتضيات أحوال الناس ، مسايرة كل المتغيرات التى لا تمس أصول الدين ، تجزى المحسن بإحسانه ، وتشجعه عليه ، وتعاقب المسىء بإساءته ، لا رغبةً فى الإيذاء والانتقام ، ولكن دفعاً للفساد ، وحماية للفضائل ، وجَلْبًا للمصالح العامة ، وصيانة للمجتمع من التحلل والفساد ، إذ وضعت عقوبات محددة تسمى حدودًا ؛ حماية للدين ، والنفس ، والعقل ، والنسل ، والمال .

* فلحماية الدين شرعت عقوبة الردة ، وهى قتل المرتد ؛ قضاءً على فتنة الناس عن دينهم ، وردعاً للمرتدين الذين سوَّل لهم الشيطان وأمْلَى لهم : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا**

obeikandl.com

عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ (١).

هذا فوق ما أعده الله لأولئك المرتدين من نار الجحيم : ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (٢).

* ولحماية الأنفس شُرعت عقوبة القصاص ؛ جزاء على قتل النفس التى حَرَّمَ الله قتلها بغير حق : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ (٣٢) إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٣)

كما قال تعالى : ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٤).وقال تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (٥).

---

(١) سورة محمد : ٢٥ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ٢١٧ .

(٣) سورة المائدة ـ الآيتان : ٣٢ و ٣٣ .

(٤) سورة المائدة : ٤٥ .

(٥) سورة البقرة : ١٧٩ .

obeikandl.com

* ولحماية العقول شرعت عقوبة شرب الخمر وشتى المسكرات ومايؤدى إلى فقدان العقل والوعى ؛ لأن العقل هو ما ميز الله تعالى به الإنسان من شتى المخلوقات ، وهو الذى يرشده إلى العقيدة الصحيحة ويهديه إلى الصراط المستقيم ، ويفتح له أبواب الخير إذا استقام تفكيره : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ (١).

* ولحماية النسل ووقايته من الاختلاط شرعت عقوبة الزِّنَى ، قال تعالى :

﴿ **الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾(٢)،

كما قال تعالى : ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً** ﴾(٣).

* كما شرعت من أجل صيانة الأعراض عقوبةُ القذف ، قال تعالى : ﴿ **وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ (٤).

* ولحماية المال شرعت عقوبة السرقة والحرابة ، قال تعالى : ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾(٥)

أما أعداء الإسلام فلم تعجبهم هذه الحدود التى حدها الله تعالى ، فشرعوا لهذه

---

(١) سورة المائدة : ٩٠ .

(٢) سورة النور : ٢ .

(٣) سورة الإسراء : ٣٢ .

(٤) سورة النور : ٤ .

(٥) سورة المائدة : ٣٨ .

الجرائم من القوانين الوضعية ما اتفق وأهواءهم ونزواتهم ومصالحهم الشخصية ، وأخذوا يغيرونها ويبدلونها لتظل فى إطار منفعتهم وأهوائهم :

فلاحماية عندهم للدين ، إذ أن لكل منهم أن يتقلب بين الأديان كما يشاء، بدون أن توقع عليه أية عقوبة ، بل قد لا يتبع أى دين ، مُفَضِّلًا الزندقة على الإيمان ؛ إذ يرون أن الأديان والشرائع تقف فى سبيل أطماعهم ونزواتهم وشهواتهم ،وأنها سبيل التأخر والرجعية والجمود !

ولا حماية فى قوانينهم للنفس بتلك الدرجة التى يحميها بها الإسلام : فأحياناً يجعلون عقوبة القتل السجن ، وأحياناً يجعلونها القتل ، ثم يرجعون عنه ـ حسب أهوائهم ـ إلى السجن ، وهكذا يتخبطون فلا يستقرون على حال فى تقرير عقوبة القاتل ، ضاربين صحفاً عن الاستقرار على العقوبة التى قررها أحكم الحاكمين وأعدل العادلين !!

كما أنه لا حماية عندهم للعقول ؛ إذ أباحوا كل ما يفسدها من خمر ومسكرات ، بالرغم من إدراكهم مدى ما تحدثه من ضرر على العقول ، وما تسببه من جرائم يرتكبها السكارى ، بل أصبحت الخمور جزءًا رئيسياً من مشروباتهم ، يشربونها وهم يتناولون طعامهم ، ويقدمونها تحية لضيوفهم ، مع تأكدهم أنها أم الخبائث ، ومن أجلِ تعلقهم بالخمر ابتعدوا عن الإسلام وحاربوه ؛ لأنه حرَّم كل مسكر ومُخَدِّرٍ ومُفَتِّرٍ ، فكيف يتبعون ديناً يحرمهم تعاطيها ؟ !

ياسبحان الله ! هل صيانة الدين لعقل الإنسان ، وضبطه لتصرفاته بتحريمه الخمر تكون سبباً فى أن ينصرف عنه هؤلاء الذين يدعون التقدم والحضارة والرقى ؟ !

وأيضاً يعادون الإسلام الذى يحرم الزنى ؛ حفظاً للنسل ، وصيانة للعفة، وستراً للعورات ، وحماية من الأمراض الفتاكة ، كالإيدز والسيلان والزهرى وغيرها ؛ لأنه بتحريمه الزنى يقف حائلاً بينهم وبين شهواتهم وملذاتهم ، فالمرأة لا تكتفى بزوجها ، بل تضيف إليه من العشاق من تشاء، بعلمه أو بدون علمه ، برضاه أو بدون رضاه ، وعندما تحمل وتلد لا تدرى لأيهم ينتسب مولودها ، ولدًا كان أم بنتاً ، فيحدث النزاع بين من ضاجعوها ، ويدعى كل منهم أبوته أو يتبرءون كلهم أو بعضهم منه ، ويرفع الأمر للقضاء ليفصل فيه ، وقد يأتى الحكم مطابقاً للواقع وقد يجافيه!!

والزوج كذلك له أن يتخذ من العشيقات من يشاء ، بمعرفة زوجته أو بدون معرفتها، برضاها أو بدون رضاها ، ويعترف بثمرة زناه أو لا يعترف ، المهم عنده أنه قضى شهوته ، وأشبع غريزته ، وما عليه بعد ذلك من سبيل !!

وهم كذلك يعادون الإسلام الذى جعل عقوبة السرقة قطع اليد ، ويشنعون عليه كل التشنيع ، ويحاولون إظهاره بمظهر القسوة والتجرد من الرحمة من أجل تشريعه هذه العقوبة العادلة الرادعة ، متجاهلين أن قطع اليد له شروط وظروف لا بد من تحققها حتى ينفذ ، وأن فى تنفيذه حماية للمال، وتوفيراً له ؛ ليستثمر فى منفعة الناس ، وحماية لممتلكات الناس. ولو أنصفوا لرأوا أن البلاد التى نفذت فيها هذه العقوبة استقام فيها الأمر ، واستتب الأمن ، وصِينتْ الأموال والممتلكات ، ولوجدوا أن عدد من نفذت فيهم محدود محدود !!

وحتى عقوباتهم التى تنحصر فى السجن عند ثبوت السرقة على الجانى ثبوتاً قطعيّا - يكون فيها مجال للمحامين فى الأخذ والرد ، والمغالطات والمعارضات والتأجيلات للمحاكمة ؛ سعياً لإنقاذ السارق من العقوبة ، هذا إذا لم يكن له شفيع يشفع له لينقذه، وإذا لم يكن له أحد فى البوليس يتلاعب فى محضر البوليس لإنقاذه ، وإذا لم يكن هو ممن لهم سلطة أو جاه ، وإذا لم يقدم رشوة تنقذه من تلك العقوبة !!

أما ديننا فلا شفاعة فيه فى حد من حدود الله تعالى : عن عائشة أن قريشاً أهمهم أمر المرأة المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم رسول الله ﷺ ؟ ومن يجترىء عليه إلاَّ أسامة حِبُّ رسول الله ﷺ ؟ فكلَّم رسول الله ، فقال : أتشفع فى حد من حدود الله ؟! ثم قام فخطب ، قال : « أيها الناس، إنما ضل من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه ، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد ، وايْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدهاً »(١).

● نحب ديننا - أيها المسلمون - لأنه دين التسامح والتفاهم والتعايش السلمى مع أهل الأديان الأخرى، فمادموا لايصدون عن سبيل الله فهم يعيشون فى ظل الإسلام آمنين، لايُعْتَدَى عليهم، ولاعلى أملاكهم ودور عبادتهم، فيمارسون حياتهم بكل

---

(١) رواه البخارى .

حرية ، وبالأسلوب الذى يفضلونه مادام ليس فيه مساس بالإسلام والمسلمين ، فلهم ما للمسلمين ، وعليهم ما عليهم ، ليس لأحد أن يُكْرِهَهم على الدخول فى الإسلام : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (١). وليس لأحد أن يظلمهم : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (٢).

أما إذا صدوا عن سبيل الله ، وعملوا على فتنة المسلمين عن دينهم وقاتلوهم فى الدين وأخرجوهم من ديارهم وظاهروا على إخراجهم ـ فإن الله ينهى المسلمين عن برهم، إذ يقول تعالى : ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣). كما أنه تعالى كتب على أعمالهم الضلال إذ يقول : ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (٤).

أجل إن ديننا دين التسامح ، أما أعداء الإسلام فيناصبون المسلمين فى شتى أنحاء الأرض العداء ، ولا يعاملونهم المعاملة العادلة كما يعاملون غيرهم من أهل دينهم أو الأديان الأخرى ، بل يرغمونهم على تغيير أسمائهم الإسلامية بأسماء أخرى ، ويحاولون فتنتهم فى دينهم ، فإن أبوا عذبوهم وشردوهم ، وهتكوا أعراضهم ، واستولوا على ممتلكاتهم ...!

وآية ما أقول ما حدث فى بلغاريا ، وما يحدث فى الهند ، وفى بورما ، بل فى كل مكان يعيش فيه مسلمون بين ظهرانى غيرهم من أهل الديانات الأخرى وممن لا دين لهم !

والطامة الكبرى ما حدث ـ ولا يزال يحدث ـ فى البوسنة والهرسك أمام أعين العالم وهيئة الأمم المتحدة برغم اعترافها بهذه الدولة الجديدة ، وأمام مجلس الأمن

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .

(٢) سورة الممتحنة : ٨ .

(٣) سورة الممتحنة : ٩ .

(٤) سورة محمد : ١ .

التابع لها ، أستغفر الله ! بل التابع للولايات المتحدة الأمريكية: ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).إن ذلك كله يحدث بتواطؤ من أمريكا وروسيا ودول أوربا التى تردد فى تبجح أنها دول الحرية ، الحامية لحقوق الإنسان !!

أين حقوق الإنسان مما يحدث للمسلمين فى هذه الدولة الناشئة من سجن وتجويع حتى الموت ، واغتصاب النساء ، وبقر بطون الحوامل ، وتعذيب ببتر الأعضاء ، وتكسير العظام ، وتدمير البيوت فوق أصحابها ، وتشريد أهلها ، والاستيلاء على ممتلكاتهم كلها فى تجبر وبطش وغلظة وقسوة ووحشية لم يشهد التاريخ لها مثيلا من قبل؟ !

أيحدث كل هذا لأن أعداء الإسلام صمموا على ألاَّ تقوم للإسلام دولة فى أوربا ، حتى لا تتحقق نبوءة مفكريهم وفلاسفتهم المعتدلين من أن المستقبل للإسلام ، وأن أوربا لا صلاح لحالها إلا باعتناق هذا الدين ، دين المحبة والتسامح ، والسلام ، والحرية والعدل ، والإخاء والمساواة ، والوفاء والإيثار ، والرحمة ، والتعاون على البر والتقوى ، ومراقبة الله فى السر والعلن؟ !

ما أعجب أمرهم ! ولماذا يخشون الإسلام ؟

أيخشونه لأنه يحل لهم الطيبات من الأطعمة والأشربة ، ويحرم عليهم الخبائث من أكل الخنزير وتعاطى المسكرات والمخدرات والمفترات ؟

أيخشونه لأنه يحرم عليهم الاختلاط المؤدى إلى تفكك الأسر وهدمها ، كما يحرم عليهم الزِّنَى الذى يؤدى إلى اختلاط الأنساب ، والإصابة بأفتك الأمراض وأقذرها كالسيلان والزهرى والإيدز وما قد يكتشف مستقبلاً من أمراض ، مقابل متع رخيصة وقتية ؟

أيخشونه لأنه يحرم الربا الذى يخرب البيوت ، ويجلب الفقر ، ويهدم الاقتصاد ؟

أيخشونه لأنه يدعوهم إلى العدل والابتعاد عن استعباد الناس ، والاستيلاء على بلادهم وخيراتها؟

---

(١) سورة البروج : ٨ .

أيخشونه لأنه يهذب الأخلاق ، ويرقى بالغرائز ، ويسمو بالطباع ، ويدعو إلى كل الفضائل والمثل والقيم العليا ؟

أيخشونه لأنه يقف فى سبيل تحقيق مطامعهم وشهواتهم وملذاتهم بالطرق غير المشروعة ؟

أيخشونه لبعض هذا أوكله أو غيره أم لماذا ؟

وهل كل مايفعله أعداء الإسلام بالمسلمين فى كل مكان سيحول دون انتشاره فى شتى ربوع الأرض ؟

كلا والله ، بل ألف كلا ، إن السيل عندما يتدفق لا يُوقفه أقوى السدود وأضخمها، والفجر عندما يبزغ لا تقف فى سبيله جحافل الظلام : ﴿ **فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ (١).

وإذا كانوا قد نسوا أو تناسوا ما قاله فى الإسلام بعض مفكريهم وفلاسفتهم غير المتعصبين فَلْأُذَكِّرْهُمْ به :

قال برناردشو الإنجليزى : « إنه لا يمضى على أوربا قرنان حتى تدخل جميع شعوبها فى الإسلام » . كما قال : « إنه لو تولى العالم الأوربى رجل كمحمد لشفاه من علله كافة ، وإن العالم بدأ فهم ما هو الإسلام ، وإنه سيتم إسلام أوربا عامة فى قرنين من الزمان » !!

وقال جوته الألمانى : « إذا كان الإسلام هو هذا ، فنحن إذَنْ فيه » !

وقال المفكر السياسى الألمانى الذى أسلم فى الثمانينيات وسمى نفسه «مراد هوفمان » ومازال حيا : « إن الحل الوحيد للخروج من الهاوية التى سقط فيها الغرب هو الدخول فى الإسلام » !

أيها المسلمون ، إن المقام ليطول بى لو مضيت أُعَدِّد أسباب حبنا نحن ـ المسلمين ـ للإسلام، وبغض أعدائنا له ، فحسبى ما ذكرت، ولْننتظرْ كل خير من وراء الإسلام،

---

(١) سورة التوبة : ٨٢ .

ولنمض فى الجهاد لنشر دعوته ورفع رايته خفاقة فى كل مكان : ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ** ﴾ (١)... ﴿ **يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ (٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين فاستغفروه وتوبوا إليه واشكروه أن هدانا للإسلام .

---

(١) سورة الأنفال : ٨ .

(٢) سورة الصف : ٨ .

obeikandl.com

إياكم و المسكـرات !!

الحمد لله واهب النعم ، كاشف الغمم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ميز الإنسان من دون مخلوقاته بنعمة العقل ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، قدوة العاقلين ، وإمام المتبصِّرين ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين أضاءت سيرتهم الدنيا ، وعطرت التاريخ ، صلاة وسلامًا وبركاتٍ دائمات إلى يوم نلقاهم أجمعين .

أما بعد ـ أيها الإخوة المسلمون ـ فقد اختص الله تعالى الإنسان بنعمة من أجلِّ نعمه ، وفضَّله بها على كل مخلوقاته ، ألا وهى العقل الذى يضىء له طريق حياته ، ويهديه إلى ماشاء الله تعالى أن يهديه إليه :

يهديه إلى معرفة الله تعالى ، والإيمان به وبرسله وملائكته وكتبه ، وباليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره ، حلوه ومُرِّه ،فينال رضا الله وسعادة الدنيا والآخرة .

يهديه إلى تمييز الخير من الشر ، و الهدى من الضلال ، و الحق من الباطل تمييزًا ينفعه ، ويضىء له درب حياته .

يهديه إلى السلوك القويم ، والأعمال الصالحة ، والكلمة الطيبة التى ينال بها ثواب الله تعالى ورضاه .

يهديه إلى النظر فى الكون ، وتسخير مافيه لمنفعته ، واكتشاف الوسائل والمخترعات التى تُيَسـِّر له حياته ، وتجلب له رزقًا يحقق له ولأسرته حياة كريمة .

يهديه إلى إدراك مبدأ الثواب على الخير والطاعة ، والعقاب على الشر و المعصية ، وأن الله سيحاسبنا على كل شىء خيرًا كان أم شرًّا ، كبيرًا كان أم صغيرًا ؛ ليعمل

لآخرته كما يعمل لدنياه ، فيعيش عيشة معتدلة طيبة ، ويلقى الله وهو راضٍ عنه فى نهايتها .

يهديه إلى مايحفظ له صحته ويصونها ؛ ليعيش سليما قادرًا على القيام بدوره فى الحياة وأداء رسالته فيها .

يهديه إلى ما يرفع قدره ، ويُعلى شأنه ، ويُكسِبه ثقة الناس ورضاهم ومحبتَهم ، ويصير قدوة لأهله ومن يعرفونه .

فمن الناس من أدرك قيمة العقل هذه ، فقدَّره حقَّ قَدْره ، واتقى الله فيه ، وشكره لتكريمه إياه به فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ [1] ، وحفظه وصانه من كل ما يضره أو يضعفه أو يخمره ويستره ، وقوَّاه بالتفكير السليم ، وغذَّاه بالمعلومات القيمة، و المعارف الراقية ، وشغله بالتأمل فى آيات الله فى الكون من أرض وسماء ، وليل ونهار ، وسحب وأمطار ، وفلك تجرى فى البحار ، كما شغله بتدبر كتاب الله الكريم ، وسنّة رسوله العظيم ، وجعل تفكيره محصورًا فيما يُرضى الله تعالى وينفع الناس ، مبتعدًا به عما يؤذيهم ويضرهم ، موجِّهًا إياه وِجْهة سليمة ، تبنى ولاتهدم ، تعمر ولاتخرب ، تنفع ولاتضر ، تجلب له ولغيره الخير والسعادة والسرور والسلام .

ومنهم ـ على العكس من ذلك ـ مَنْ جحد نعمة العقل هذه ، فضيعه بتناول مايخمره ويذهب به من المسكرات ، متأثرًا بقرناء السوء ، أو مفاخرًا مباهيًا بقدرته على شرائها وعلى تناول كمية كبيرة منها ، أو بما يزينه له ويوهمه من تقويتها إياه جنسيًّا ، أو بما تولده من نشوة كاذبة لا استقرار لها ،أو هرباً من مشكلة استعصى عليه علاجها ، أو تغييبا لعقله ؛ ليجرؤ على ارتكاب جريمة يجبن عن ارتكابها وهو فى كامل وعيه .

أقول : إن الشيطان وأعوانه يضلونه ، ويزينون له ما فى الخمر من مُتَع ولذائذ

---

(١) الإسراء : ٧٠ .

وهمية ، دافعين إياه إلى شربها تأثرًا بهذه الأسباب وبغيرها ، غافلاً عما يجره عليه شربها من ضياع وهلاك يتمثل فى أمور كثيرة أجتزئ منها :

● مرض فِطْرته بمخالفتها للفِطَرِ السليمة التى فطر الله تعالى الناس عليها ، والتى ترفض الخمر تلقائيا ، فعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتِىَ ليلةَ أُسرِىَ به بقدحين من خمر ولبن ، فنظر إليهما ، ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل :الحمد لله الذى هداك للفطرة ، ولو أخذتَ الخمر غَوَتْ أمتك [1] .

ضياع نعمة من أجلِّ النعم وهى العقل ، مما يجلب له التخبط والاضطراب فى حياته ، وقد ينتهى به إلى دخول مستشفى الأمراض العقلية !!

وقوعه فى مشكلات كثيرة بسبب مايبدر منه فى حالة سكره من أقوال شائنة تتناول أعراض الناس وسَبَّهم وقَذْفَهم ، وإفشاءَ أسراره وأسرار غيره التى أُؤتُمِنَ عليها ، ومن أفعال منكرة كالاعتداء على أموال الناس وأعراضهم ودمائهم ، مما يعرضه للمحاكمة والعقاب وانتقام الناس منه ومن أهله !!

فقدان صحته ، حيث تضعف الخمر مناعته ، فتصيبه الأمراض ويفقد تاج الصحة، أغلى تيجان الحياة ، ويعيش حياة لا طعم لها متنقلاً من طبيب إلى آخر حتى نهايتها!!

ضياع ماله ، وحرمان أسرته من ضرورات الحياة ، فتتفكك ويضيع مستقبلها ، وقد يدفعه ذلك إلى بيع أرضه وكل ما يملك حتى أثاث بيته أو إلى الاستدانة والسجن عند عجزه عن أداء ما استدانه ، أو إلى الانحراف بارتكاب جرائم السرقة أو الغضب أو النصب والاحتيال أو التجارة فى الممنوعات ، فيسجن وتسوء عاقبته !!

فصله من عمله لسوء سلوكه إن كان يعمل عند غيره ، وضياع تجارته أو صناعته أو زراعته إن كان يعمل لنفسه !!

سوء منظره ومظهره ، برعشة أعضائه وتَدَلّـى شفته وفأفأته فى كلامه واضطرابه فى مشيه ، وكراهة رائحته ،وتقذّر ملابسه بما يحدث له من قىء وتبوُّل وغير ذلك ، مماّ ينفر الناسَ منه ، ويجلب له سخريتهم واحتقارهم !!

---

(١) رواه البخارى .

ضياع منزلته وكرامته بين الناس ، فيجتنبونه ، ويحذرونه ، حتى أصدقاء السوء وأقرب الناس إليه يتبرءون منه !!

ابتعاده عن ذكر الله تعالى وعن عبادته وطاعته ، وبذلك يكون قد خسر الدنيا والآخرة !!

أيها الإخوة المسلمون ، هذه الخمر وتلكم هى آثارها المدمرة ، وحرصًا من الإسلام على إيجاد مجتمع طاهر راق يتقى الله ويسوده الخير و العدل و الحب والسلام والتعاون على البر - جعل حِفْظَ العقل من المصالح الخمس التى شرع الحدودَ لحمايتها، ومن ثَمَّ حرَّم شربَ الخمر وكل المسكرات التى تغطى العقل وتخمره وتدفع إلى ارتكاب الفواحش ، وتُلْهى عن ذكر الله وعن الصلاة ، ولكنه بحكمته السامية فى التشريع تدرج فى تحريمها ، بسبب اعتياد العرب عند ظهوره فيهم شُرْبَهَا ، واجتماعهم عليه وتغنِّيهم بها فى أشعارهم ، تدرَّجَ على ثلاث مراحل :

الأولى أن بيَّن لهم عندما سألوا الرسول ﷺ عنها - أن إثمها أكبر من نفعها ، وذلك فى قوله تعالى : ﴿ **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا** ﴾ (١) ، فعلم الناس أن فيها إثمًا أكبر من نفعها ، ثم لما أخطأ أحدهم فى صلاة المغرب بعد أن أكل وشرب خمرًا حين قرأ : قل يأيها الكافرون . أعبد ماتعبدون ، بدلاً من ﴿ **لاأعبد ما تعبدون** ﴾ كانت المرحلة الثانية ، إذ نزل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ** ﴾ (٢) . فتركوها فى النهار ؛ لأن الصلاة تتخلله ، وقصروا شربهم لها على الليل، من بعد صلاة العشاء ، حتى لايطلع الفجر إلا وقد ذهب عنهم السكر، وعلموا ما يقولون ، ولكن ذوى الفِطَر السليمة رأوا أن الآيتين قلَّلَتَا من شربها ، وأن بقاءها بلا تحريم جعل الناس يشربونها وينشأ عنها من الآثام الكثير ،

---

(١) البقرة : ٢١٩ .

(٢) النساء : ٤٣ .

فتطلعوا إلى تحريم قاطع ، إذ قالوا : اللهم بَـيِّـنْ لنا فى الخمر بيانًا شافيًا ، فأتت المرحلة الثالثة بالنهى الجازم فى قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ** ﴾ [١] .

كما قال ﷺ : « كل مسكر خمر ، وكل خمر حرام » [٢] ، وقال : « لعن الله الخمر وشاربها وساقيها ، وبائعها ومبتاعها ، وعاصِرها ومعتصرها ، وحاملها والمحمولة إليه ، وآكل ثمنها » . ووصفها قائلا : « الخمر أم الخبائث » .

أيها الإخوة المسلمون ، ردعًا لشارب الخمر ، وتطهيرًا للمجتمع منه ومن أمثاله لم يقف التشريع الإسلامى عند مجرد تحريمها فيما قدمنا من آيات وأحاديث نبوية ، بل جعل حدًّا لشربها ، أى عقوبة ثابتةً بنص القرآن أو السُّنة ومقدَّرةً حقًّا لله تعالى ، وقد ثبت حَدُّ شرب الخمر بالسُّنَّة وحْدَها ، روى أبو داود وغيره أن النبى ﷺ قال: « من شرب الخمر فاجلدوه » ، وعن أنس بن مالك أن النبى ﷺ: « أُتِىَ برجل قد شرب الخمر ، فضربه بجريدتين نحوَ الأربعين » ، وكذلك فعل أبوبكر ، وإلى هذا ذهب الشافعى وأحمد فى رواية عنه ، أما عمرُ بن الخطاب فقد ضربه ثمانين ، بناء على مشورة عبد الرحمن بن عوف ، وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم ، وإلى هذا ذهب أبوحنيفة وأحمد فى رواية عنه .

وسواء أكان الحد أربعين أم ثمانين ، أثناءَ السكر أم بعدَ الإفاقة ، نفَّذَته القوانين الوضعية أم استبدلت به غيره من الغرامة و الحبس تأثرًا بأية علة من العلل ـ فإن الحد الذى شرعه الله تعالى العليم وحده بخائنة الأعين وما تخفى الصدور ، الخبير وحده بما يُصلِح الناس ويصلحون له ـ باقٍ باقٍ إلى قيام الساعة !!

أيها الإخوة المسلمون ، بقيت لى كلمة أخيرة لا أهمس بها ، ولكن أرفع بها صوتى عاليا ؛ لتقرع آذان مدمنى الخمور و المسكرات :

---

(١) المائدة : ٩٠ , ٩١ .

(٢) رواه أحمد وأبو داود.

لماذا اخترتم الخمر المحرمة وتركتم غيرها من المشروبات المباحة ؟ لماذا لم تتأسَّوْا برسولنا ﷺ إذ أُتِيَ ليلةَ الإسراء و المعراج بقدحين من خمر ولبن ، فنظر إليهما ، ثم أخذ اللبن ، فقال جبريل : الحمد لله الذى هداك للفطرة .. ؟

لماذا استبدلتم الذى هو أدنى بالذى هو خير ، فاستبدلتم الخمر بما أباحه الله تعالى لكم من المشروبات الكثيرة المعتدلة الثمن ، المفيدة للعقل والبدن ، الخالية من الآثار المدمرة التى تجلبها الخمر ؟

لماذا لاتشربون ما تستسيغونه من الكركديه و القرفة و الزنجبيل و البنسون والكراوية و .... إلى آخر هذه المشروبات ؟!

وإذا كنتم تريدون منبها فأمامكم الشاى والبن تشربونهما باعتدال ، هذا إلى جانب المستطاب من عصائر الفواكه وما أباحه الله تعالى لكم من مشروبات .

وبهذا تكونون سواء أكنتم منفردين أم مجتمعين لأمر من الأمور أم للسمر ـ قد أشبعتم رغباتكم ، وحييتم ضيوفكم ، ونجوتم مما تسببه الخمر من ضياع الدنيا والدين ، ونلتم محبة الله تعالى ورضاه .

أدعو الله تعالى أن يذهب عنا رجس الشيطان ، ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

قال ﷺ: « من شرب الخمر فى الدنيا ، ثم لم يتب منها حُرِمها فى الآخرة » (١) .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله تعالى لكم ولى ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) متفق عليه .

إياكم و المخدِّراتِ ! إياكم و التدخينَ !

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، أحلَّ لنا الطيبات ، وحرَّم علينا الخبائث ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للأمة ، وكشف الغمة ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلُها كنهارها، لايزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا أئمة هداة ، أضاءت سيرتهم الدنيا ، وعطَّرت التاريخ ، صلاة وسلاما وبركات دائمات إلى أن يجمعنا الله تعالى بهم يوم البعث و النشور .

أما بعد ـ أيها الإخوة المسلمون . فقد تحدثت فى خطبة سابقة عن الخمر وآثارها المدمرة ، وعن موقف الإسلام منها ، وكم كنت أودُّ أن أتحدث أيضا عن المخدِّرات والتدخين ، ولكن الوقت لم يسمح بذلك ، وهأنذا أتحدث إليكم عن هاتين الآفتين :

المخدرات موادٌ طبيعية أو مُخلَّقة تؤثر على العقل عن طريق التأثير فى الجهاز العصبى المركزى تأثيرا ينشأ عنه تخبط الوعى وفقدانه بدرجات مختلفة ، ثم يؤدى إدمانها إلى مرض الجسم و الجنون ثم الموت !!

ويلجأ إليها متعاطوها جرياً وراء الشيطان وأعوانه ، وهرباً من واقع حياتهم ، واجتلاباً لما تحدثه من نشوة وهلوسات وتخيلات خادعة لاتلبث أن تزول بزوال المخدر .

وهى كلها تؤثر على العقل أسوأ تأثير ، وتغيبه ، وشيئًا فشيئًا تدمره ، وبذلك تسلب متعاطيها نِعَمة العقل التى أشرت إليها فى الخطبة السابقة عن الخمر ، و المتمثلة

obeikandi.com

بإيجاز فى معرفة الله تعالى وطاعته وعبادته ، وتمييز الهدى من الضلال ، و الخير من الشر ، والاهتداء إلى صراط الله المستقيم ، كما تتمثل فى التحلى بالفضائل و التخلى عن الرذائل ، والسلوك القويم ، والسيطرة على النفس و الجوارح ، وفى حفظ الصحة والمال و الكرامة ، وفى السعى لكسب الرزق عن طريق الحلال ، مما يحقق له ولأسرته حياة كريمة ، ويُنيله رضا الله تعالى ومحبته .

ولا يتوقف أثرها عند حرمان متعاطيها من هذه النِّعم الجليلة ، بل يتعداه إلى أضرار كثيرة رهيبة طالما حذر منها الأطباء وعلماء الدين و النفس والاجتماع ، وكرروا تحذيراتهم فى شتى وسائل الإعلام و الكتب المدرسية ، بسبب خطورتها على المجتمع كله ، وبيَّنُوا أن منها ما يتصل بالنفس و العقل ، ومنها ما يتصل بالجسم :

فمن الأضرار المتصلة بالنفس و العقل الاكتئاب ، وتناقص المشاعر ، وبلادة الذهن ، والْبَلَهُ ، والخبل ، والنزوع إلى العدوان ...

ومن الأضرار التى تلحق البدن اضطرابُ الأعصاب و الرعشة و الشلل ، والالتهابات المؤلمة للمعدة و الكُلْيتيْن ، وتضخم الكبد ، وتمدد القلب !!

وماذا ينتظر المدمن بعد ذلك ـ وقد فقد كل شىء ـ غيرَ ضياع أهله ، وتنقُّلِه من طبيب إلى آخرَ ، حتى ينتهى به الأمر فى النهاية إلى مستشفى الأمراض العقلية أو مقبرته ، حيث يرتاح هو من يأسه وآلامه ، ويرتاح أهله من عدوانه ونفقات علاجه وعاره ؟!!

أيها الإخوة المسلمون ، إنه لَـمِمَّا يؤلم ويُحزِن مغالطاتُ مدمنى المخدرات ، ومحاولتُهم تبريرَ تعاطيهم الآثم لها بأن موادها لم تتخمر ، فهى ليست كالخمر ، وبأن تحريمها لم يرد فيه نص فى القرآن أو السُّنة !!

ولهؤلاء وأمثالهم أقول : إن هذه المواد المخدرة كلها كالخمر سواء بسواء تأثيرًا وحكماً ، وذلك لمرورها بمرحلة تخمير بيولوجية أو كيميائية ، سواء منها ما كان طبيعيًّا أو ما كان مخلَّقاً ، أو ما كان تعاطيه عن طريق الفم بالمضغ أو البلع أو عن طريق الأنف بالشم ، أو عن طريق الحقن أو التدخين ، وسواء ماكان منها مأخوذًا من ثمار

الخشخاش كالأفيون و الهيروين ، أو من مسحوق أوراق الكولا كالكوكايين ، أو من أوراق القنب كالحشيش و البانجو و الماريجوانا .

حتى القات يحدث تخميره داخل فم متعاطيه بفعل أنزيمات اللعاب الذى يُفْرَزُ من الغدد اللعابية إلى الفم .

كذلك المواد البترولية مخمَّرة ؛ لأن زيت البترول ناتج من تخمُّر النباتات القديمة وملايين الكائنات الدقيقة و المحاريَّات التى كانت فى قاع البحار منذ القِدَم ، فهى خمر من أصلها .

وكذلك الأثير ناتج من تخمر السليولوز النباتى مع إضافة القلويات ، وله استعمالات طبية مقنَّنَةٌ فى التخدير ، ويتبعه بالقياس كذلك المواد و الغازات المخدرة الأخرى حيث إنها كلها مخمَّرة [1].

ومن ثَمَّ يدخل تحريم كل هذه المخدرات وما سوف يُمليه الشيطان على أعوانه من مخترعى المواد المخدرة التى تدمِّر الأمم ، وتُهلك شبابها ، وتستنفد أموالها وتبدد طاقاتها ، وتقضى على مستقبلها وآمالها - أقول : يدخل تحريم ذلك كله فى قوله تعالى ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ**﴾ [2] . وفى قول الرسول ﷺ « كل مسكر خمر وكل خمر حرام » وقوله تعالى: ﴿**وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ**﴾ [3] . وغير ذلك من النصوص ، وتجب إقامة حد شرب الخمر على من يتعاطَوْنها ، إذْ أنها لوكانت موجودة عند التشريع لعوملت معاملةَ الخمر سواءً بسواء .

---

(١) هذه المعلومات عن هذه الأنواع من المخدرات مأخوذة من كلمة الدكتور محمد عادل أبو الخير ، زميل كلية الجراحين الملكية بأدنبرة ، منشورة بالأهرام يوم ٩/ ٣/ ٢٠٠١م .

(٢) الآيات ٩٠ ـ ٩١ من سورة المائدة .

(٣) سورة البقرة : ١٩٥ .

ألا فاخسئوا أيها المتعاطون للمخدرات ، وانتشلوا أنفسكم من مستنقعها النتن قبل أن تهلكوا ، وتوبوا إلى بارئكم توبة نصوحًا ، بدلاً من محاولاتكم الفاشلة لتبرير فعلكم الآثم بتحليل ما حرَّم ربكم عليكم ، عسى أن يعفو عنكم ، ويقبل توبتكم ، إنه هو التواب الحكيم .

أيها الإخوة المسلمون ، الآن جاء دور الحديث عن ثالثة الآفات التى تمثل مِعْوَلاً من المعاول التى تهدم صرح أمتنا الإسلامية ، وتشوِّه حضارتها ، وتمتص ثرواتها ، وتدمر صحة أبنائها ، وتُفنى طاقاتها وجهودَها ، وتؤخرها عن بلوغ آمالها ، إنها التدخين !!

إذا كان التدخين لا يُحدِث ما تحْدِثه الخمر و المخدِّرات بالجسم والعقل بنفس الدرجة إذ يقتصر أثره على التفتير فإن خطره ليكاد يلحق بخطرهما ، ذلك أن نسبة المدخنين أعلى من نسبة متعاطى الخمور و المخدرات ، وأنها فى زيادة مستمرة فى بلاد العالم الإسلامى ؛ إذْ أخذت تنتشر بين نسائنا وفتياتنا ، تقليدًا لنساء الغرب وفتياته بِوَهْم أن هذا هو الرقى و التحضر ، مع أن ضرره للمرأة أشد من ضرره بالرجل ، وذلك فى الوقت الذى أخذت تتناقص فيه فى الغرب الذى نقل إلينا هذه الآفة وطالما شجع ومازال يشجع عليها عندنا بوسائله الشيطانية لابتزاز أموالنا ، وتدهْوُر أحوالنا، وضياع شبابنا !!

كما أن السيجارة فخ لإيقاع المدخن فى مستنقع المخدرات ، إذ ما يزال الشيطان وأعوانه يوسوسون له حتى يقع فى شباكهم ويضع المخدر مع التبغ فى سيجارة واحدة، وربما تحول تدريجيًّا من مدخن إلى مدمن مخدرات !!

أضف إلى ذلك أن التدخين لايقف ضرره عند المدخن ، بل يتعداه إلى غيره ممن يكونون معه ، فما يلحقه من ضرر السيجارة يعادل ٢٠٪ أما ما يلحقهم هم فهو ٨٠٪ فيُعَدّون رغم أنوفهم مدخنين وإن كانوا سلبيين !!

أيها الإخوة المسلمون ، لقد بُحَّتْ أصوات علماءِ الدين ومدرسيه ، وخطباءِ المساجد ، والأطباءِ ، وعلماء النفس و التربية والاجتماع وجمعياتِ محاربة التدخين فى بيان أضرار التدخين المروِّعة ، وكأن المدخنين معهم فى عناد ، فكلما أكثروا من

نصائحهم أملاً فى تخفيض نسبتهم ازدادت هذه النسبة بصورة رهيبة حتى صاروا كمن يؤذن فى مالطة أو ينفخ فى رماد بارد ، كما تقول الأمثال !!

ليت شعرى ، لماذا يتجاهل المدخنون هذه الآثار الخطيرة ؟ ومتى يفيقون ويدركون مدى خطورتها ؟

إن لفافة التبغ (السيجارة) تتكون من مقدار من التبغ به ١٠ مجم نيكوتين ومن الورقة التى تلفه والتى ينشأ من احتراقها غاز أول اكسيد الكربون وثانى أكسيد الكربون ، وهما ضاران جدًّا بالصحة ، أما النيكوتين فأخطاره أدهى وأَمَرُّ وأشمل وأعم ؛ لتأثيره على كل أجهزة الجسم العصبية و الهضمية والدورية والمناعية تأثيرًا ينجم عنه أخطار جسيمة ، حَسْبُنَا أن نشير إلى بعضها :

- التعرض للإصابة بسرطان الرئة ، والسل الرئوى !!
- ضعف جهاز المناعة ضعفاً يؤدى إلى وصول الأمراض إلى الجسم فى سهولة ويسر !!
- ارتفاع ضغط الدم ارتفاعًا يؤثر على القلب ، وقد يسبب الشلل أو الوفاة بانفجار شريان بالمخ !!
- ضيق الشريان التاجى المغذى لعضلة القلب ضيقًا قد يسبب الذبحة الصدرية!!
- اضطراب ضربات القلب !!
- فقدان الشهية ، والميل إلى القيء ، والتسمم فى حالة زيادة مقداره ، وضعف الإبصار !!

وبسبب هذه الأضرار المهلكة للجسم ، إلى جانب ضياع المال ، وتغيُّرِ رائحة الفم، واصفرار الأسنان ـ أقول : بسبب ذلك وغيره ممَّا لم أذكره أفتى علماء الدين والمفتون فى كثير من البلاد العربية والإسلامية بتحريم التدخين وكل استعمالات التبغ، مستندين إلى مافى ذلك من إلحاق الضرر المهلك بالجسم والنفس والمال ، مستدلين بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (١) ، وإلى نهى الرسول ﷺ عن كل مخدر ومفتر .

---

(١) البقرة : ١٩٥ .

ولاشك أن تعاطى التبغ فى شتى صوره ، تدخيناً أو استنشاقًا أو مضغًا أو امتصاصًا ـ بدرجات متفاوتة قد تصل إلى التخدير .

أيها الإخوة المسلمون ، بالبحث عن أسباب ظاهرة التدخين وجدنا أنها تتمثل فى أمور كثيرة أهمها :

- تقليد الصغار للكبار ، والأبناء للآباء ، ليشعروا برجولتهم وكيانهم المستقل وحريتهم فى تصرفاتهم !
- اتصال الفتيان فى دور المراهقة بقرناء السوء الذين يوقعونهم فيما وقعوا فيه ، سواء أكان ذلك بحسن نية أو سوء قصد !
- الدعاية التى تدفع فيها شركات إنتاج سجائرهم وتوزيعها مبالغ كبيرة لوسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وصحف ومجلات وتليفزيون وسينما وشبكة المعلومات لِبثِّ إعلاناتها المؤثرة على المراهقين ، كإظهار الممثلين والممثلات والأبطال الرياضيين ، وهم ينفثون دخان سجائر فى نشوة وزهو وسرور !
- إعطاء بعض الآباء أبناءَهم مبالغَ كبيرة لمصروفاتهم اليومية أو الشهرية تفوق حاجتهم ، فيُتيح لهم هذا الفائض شراء السجائر وغيرها مما يضرهم !

وهنا يبرز سؤال تلقائى يقول : ما العلاج إذن ؟

فأجيب قائلا : من البدهى فى علاج أية مشكلة أن نبحث عن أسبابها لنزيلها ، وعلاجا لهذه الظاهرة يجب أن نزيل أسبابها باتباع الآتى :

- عدم تدخين الآباء والمعلمين ومن يتصلون بالفتيان فى دَوْر ميلهم لشعورهم برجولتهم ، وإفهامهم أن الرجولة إنما تكون بالأخلاق الفاضلة ، والسلوك القويم ، والجدِّ فى العمل للوصول إلى النجاح فى الحياة .
- إبعاد قرناء السوء عنهم ، بِتَوْعيتهم بمدَى خطورتهم عليهم .
- إرشادهم ولَفْت نظرهم إلى أن قدواتهم الحسنة ومُثُلَهم العليا ليست أولئك الممثلين وأبطال الألعاب ، وإنما هى رسولنا الكريم ، وعلماؤنا الفضلاء فى علوم

الدين والدنيا ، وأطباؤنا النابغون ، ومخترعونا المتوصلون إلى ماينفعهم وينفع البشرية جمعاء، وكل العاملين الناجحين فى شتى مجالات الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والطبية والصناعية والزراعية والتجارية ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ (١)

- إيقاف إنتاج السجاير بمصانعنا ، وإيقاف استيرادها مهما بدا ذلك سبباً لخسارة مادية لاتعادل مهما بلغت ضياع شبابنا وثروتنا .
- إعطاء الآباءِ أبناءهم مايكفيهم دون زيادة تغريهم بشراء مايضرهم ، وتشجيعُهم على ادخار مايفيض عن حاجتهم ؛ لينفعهم مستقبلا .
- تشجيع كل القائمين بِدَوْر فى محاربة هذه الظاهرة البغيضة ، وإمدادهم بما يحتاجون إليه ؛ ليقوم كل منهم بدَوْرِه بطريقته فى القضاء عليها .

أيها الإخوة المسلمون ، بقيتْ كلمة أخيرة أرى لزاماً علىَّ أن أوجهها إلى المدخنين وكل متناولى التبغ :

أيها المدخنون ، ماذا تنتظرون من وراء فعلكم غير الخراب والضياع وغير فقدان الصحة والهلاك ؟

أتنتظرون أن يصل بكم السوء إلى أن يجبركم الأطباء أن تختاروا أحد أمرين : التدخين أو الموت ؟!

إن ترك التدخين ليس معجزة من المعجزات، إنما هو أمر فى استطاعة كل منكم ، إذا صحَّتْ نيتهُ ، وقويتْ إرادتُه ، فقدَّره فى لحظة حاسمة ، وداس علبة السجاير أو التبغ بقدميه ، إعلاناً لتوبته ، وتخلُّصا من سيطرتها عليه وعُبوديته لها .

أما ماتزعمونه من أن ذلك يُسبِّب لكم زغللة البصر ، وتَوَتُّرَ الأعصاب ، فهو أمر عارض سرعان مايزول بعد أسبوع واحد على الأكثر من تركه ؛ لأن العلماء حين تتبعوا مسار النيكوتين فى الجسد عند السحب ، وجدوا أن سحبه لايحتاج إلى أكثر من ٧٢ ساعة .

---

(١) الأنعام : ٩٠ .

أجل إن التخلص من استعباد السيجارة لكم قرار ينبع من الإرادة القوية فى لحظة حاسمة ، أما مايلجأ إليه بعضهم من التدرج فى الترك فلا ينمُّ إلا عن التردد وعدم صدق النية وضعف الإرادة ، وكثير ممن اتبعوا هذه الطريقة عادوا إلى ما كانوا عليه !!

أيها المدخنون ، جَرِّبوا لعلكم تفلحون ، كما جرب غيركم وأفلح ، وأعينوا أنفسكم على الخير يُعِنكم الله ، ويهدكم سواء السبيل .

قال ﷺ « من أصبح منكم آمناً فى سربه ، مُعَافى فى جسده ، عنده قوت يومه ، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها »[1] .

هذا ، والله يقول الحق ، وهو يهدى السبيل .

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

obeikandl.com

متى نحلم ؟ ومتى نغضب ؟

الحمد لله الذى أحسن كل شىء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان من طين ، ثم جعل نَسْلَه من سلالة من ماء مهين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له القائل: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (١) ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله قدوة الحلماء الذى لم يكن ليغضب إلا إذا انتُهكت حرمةٌ من حُرمَات الله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومَن حمل لواء دعوته ، أولئك هم الراشدون .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن الله تعالى خلق الإنسان ، وجعل له السمع والبصر والعقل ، وخلق فيه الغرائز و العواطف والميول والرغبات ، ومنحه حريةَ الاختيار فيما يأتى وفيما يذر ؛ ليستعين بذلك على شق طريقه فى الحياة وتحمل المسئولية والأمانة التى أَبَتْ السموات والأرض والجبال حملها : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (٢) .

كما جعله تعالى فى هذه الحياة عرضةً للابتلاء ، وعرضةً لما يرضيه من المواقف والحوادث وما يُسخِطه ، ولما كان الناس مختلفين فى ردود أفعالهم تجاه هذه المواقف والحوادث ؛ لاختلاف عقولهم وغرائزهم وعواطفهم ورغباتهم ـ أرشدنا الله تعالى لكى نعيش متحابين متصافين ـ أن نتأنى ونُسَكّن نفوسنا عندما يصيبنا مكروه أو

---

(١) البقرة : ٢٣٥ .

(٢) الأحزاب : ٧٢ .

يجهل علينا الجهال ، أو يحرك الشيطان فى نفوسنا ما ينزغ به بيننا وبين غيرنا ، وأن نضبط أعصابنا ، ونستمسك بالصبر وقوة الاحتمال ؛ لنستطيع إدراك الموقف على حقيقته دون تسرع خاطئ ، ونواجِهَهُ بما يتطلبه دون مخالفة لديننا وأخلاقنا بالغضب الذى يجر إلى الخطأ القولى أو الفعلى ، أو بالجزع الذى ليس وراءه إلا اليأس والإثم ، وبذلك نُحسِنُ التصرف ، ونكون سادة الموقف ، فنسلِّم بقضاء الله عند البلاء الذى لا نملك دَفْعَهُ ، ونعفو عمن جهل علينا مادام الأمر فى حدود احتمالنا ولا يمس ديننا.

وهذا هو الحلم الذى سمى الله تعالى به نفسه واتصف به ، ودعانا إلى التحلى به ، قال تعالى ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾[1]، وقال ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ** ﴾[2] .

أجَلْ ، إن الحلم لَيقتضينا أن نعرض عن الجاهلين ؛ تنفيذًا لأمره تعالى بذلك فى قوله:

﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ** ﴾[3] ؛ لنفوز بما أعده تعالى للعافين من المغفرة فى قوله :

﴿ **وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾[4] ، وليكون حلمنا المتمثل فى ضبطنا لنفوسنا وصبرنا وتسامحنا من الأمور المشكورة التى يجزل الله تعالى عليها الثواب إذ يقول : ﴿ **وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** ﴾[5] .

أيها الإخوة المسلمون ، لو راجعنا سيرة الأنبياء والمرسلين لوجدناهم يتحلَّوْن بالحلم ؛ لأنه من أهم ما يجب أن يتحلى به القادة والدعاة ، هذا هو سيدنا إبراهيم أبو

---

(١) البقرة : ٢٦٣ .
(٢) المائدة : ١٠١ .
(٣) الأعراف : ١٩٩ .
(٤) النور : ٢٢ .
(٥) الشورى : ٤٣ .

obeikandl.com

الأنبياء يُنَوِّه الله تعالى بحلمه فى قوله : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾ [(١)] ، كما يُنَوِّه بِحلْم ابنه إسماعيلَ فى قوله ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ [(٢)] .

أما خاتم الرسل والأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام فكان أحلم الحلماء ، حين كان يواجه موقفًا مستفِزًّا ، أو يجهل عليه الجاهلون . عن أنس رضى الله عنه قال : كنت أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نجرانى غليظ الحاشية ، فأدركه أعرابى ، فجبذه بردائه جبذة شديدة ،فنظرتُ إلى صفحة عاتق النبى ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جَبْذَته ، ثم قال : يا محمد ، مُرْ لى من مال الله الذى عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بعطاء [(٣)] !!

وبرغم تفنن قريش فى إلحاق الإيذاء به ، فإنه لما عرض عليه ملك الجبال أن ينتقم له منهم فيُطبِقَ عليهم الأَخْشَبَيْن ، قال له ﷺ : « أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده وحده لا يشرك به شيئًا » [(٤)] !!

أما موقفه ﷺ عقب فَتْحِهِ مكة فكان من أروع مواقف الفاتحين وأحلمها ، ولعله لم يحدث من قبله ولا من بعده : إذْ لم يَدُرْ بخلده أىّ خاطر من الخواطر التى تطرأ على قلوب المنتصرين ، ولم تدفعه نَشْوَةُ الانتصار إلى الانتقام ممن أذاقوه هو وأصحابَهُ من التكذيب و السخرية والإيذاء و المطاردة و التشريد ما تنوء بحمله الجبال ، بل كل ما حدث هو أن سألهم : يا أهل مكة ، ماتظنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخ كريم، وابن أخ كريم ، قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !!

أرونى حلمًا أعظم من هذا الحلم ! أرونى عفوًا أروع من هذا العفو ! أرونى منتصرًا يصنع ذلك الصنيع !!

ولحرصه ﷺ على أن يسود الحلم و العفو والتسامح المسلمين ، كان ينهى عن الغضب ، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رجلا قال للنبى ﷺ :أوصنى ، قال :

---

(١) هود : ٧٥ .

(٢) الصافات : ١٠١ .

(٣) متفق عليه .

(٤) متفق عليه .

«لاتغضب ، فردَّد مِرارًا ، قال : لاتغضب »[١] .

ولم يكن ﷺ يرى أن القوىَّ الذى يستخدم قوَّته فى صرع الناس هو الشديد ، إنما كان يرى أن الشديد هو الذى يملك نفسه ويسيطر على أعصابه إذا استفزه أحد الجهال ، أو واجَه مكروهًا أو ظرفًا قاسيًا ، إذ يقول ﷺ : « ليس الشديد بالصُّرعَةَ إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب »[٢] .

وذلك لأن فقدان الإنسان السيطرة على نفسه يجعله يغضب الله تعالى بتصرفاته الاندفاعية الجائرة التى يظلم فيها غيره ويؤذيه بالقول أو بالفعل .

كما أمدنا ﷺ بنصيحة سديدة تبدد الغضب ، وتزيل التوتر وتُسكِّن الانفعال ، إذ قال : « إذا غضب أحدكم فلْيتوضأ » ذلك أن الوضوء يحدث استرخاءً عضليًّا ونفسيًّا، ويمتص التوتر ، ويُغَيِّر اتجاه المشاعر عن الموقف إلى مجال آخَرَ ، وقد اكتشف العلماء حديثًا أن رذاذ الماء فى الوضوء يتولد منه أيونات سالبة الشحنة تؤدى إلى الاسترخاء العضلى والنفسى !!

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو خلق الحلم الذى أمرنا الله تعالى بالتحلى به ، ووعد العافين بالمغفرة والثواب العظيم ، كما حثنا عليه رسولنا ﷺ وضرب لنا فيه أروع الأمثلة .

غير أن الحلم يجب أن يكون فى موضعه ، بأن يكون فى أمر لاعدوان فيه على الله تعالى ولا على رسوله ولا على حرمة من حرمات الله ، وليس كبيرة من الكبائر ؛ لأن الأمر إذا كان كذلك وجب مقابلته بالغضب و الثورة والاستنكار و العمل على تغييره؛ لأن الحلم فى هذه الحالة معناه الإقرار و السلبية البغيضة التى تُقِرُّ المنكر فى المجتمع ، وتتركه حتى يترعرع ويقضى على العقائد والأخلاق و المثل العليا .

وقد غضب الله تعالى على مرتكبى تلك الأفعال : غضب على المنافقين والمشركين، إذ قال : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ

---

(١) رواه البخارى .

(٢) متفق عليه .

ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ (١) .

غضب على بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل بعدما ذهب سيدنا موسى لمناجاة ربه وتلقِّى التوراة ، إذ قال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (٢) ، كما غضب عليهم لكفرهم وقتلهم الأنبياء بغير حق وعصيانهم ، وسجل ذلك فى قوله تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلاَّ بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (٣) .

كما غضب على مرتكب الكبيرة كالقتل العمد ، فقال : ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ (٤) .

كذلك رسولنا ﷺ كان يغضب فى هذه المواقف وأمثالها مما يستوجب الغضب دفاعًا عن الله ورسوله ودينه وعن المسلمين : عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : « ماضرب رسول الله ﷺ شيئًا قَطُّ بيده ، ولا امرأةً ولا خادمًا ، إلا أن يجاهد فى سبيل الله ، ومانِيلَ منه شىءٌ قَطُّ فينتقم من صاحبه ، إلا أن يُنتَهَكَ شىء من محارم الله تعالى فينتقم لله تعالى » (٥) . وعنها أيضا أن قريشا أهمهم شأن المرأةَ المخزومية التى سرقت ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله ، فقالوا : من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حبُّ رسول الله ﷺ فكلمه أسامة ، فقال رسول الله ﷺ : « أتشفع

---

(١) الفتح : ٦ .
(٢) الأعراف : ١٥٢ .
(٣) آل عمران : ١١٢ .
(٤) النساء : ٩٣ .
(٥) رواه مسلم .

فى حدٍّ من حدود الله » ؟ ! ثم قام واختطب ، ثم قال : « إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وايْمُ الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها »[١] !!

أيها الإخوة المسلمون ، فلنتقِ الله تعالى فيما نأتى وما نذر ، ولْنحلمْ فى المواقف التى تستوجب الحلم ، ولنغضب فى المواقف التى تستوجب الغضب ، فلا يكون غضبنا انتقاما مِمَّنْ أخطأ فى حقنا خطأ يمكن أن نسامحه فيه ، وإذا لم نعف وأصررنا على أخذ حقنا فلْنجازِ السيئة بمثلها دون مبالغة أو تشفٍّ أو انتقام ، متبعين قوله تعالى : **﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾**[٢] .

أدعوه تعالى أن يعيننا على التخلق بخلق القرآن الذى كان خلق رسولنا ﷺ ؛ لنسعد فى الدارين .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

(١) متفق عليه.

(٢) الشورى : ٤٠ .

فى نور حديث قدسى

(أ)

الحمد لله الحكم العدل اللطيف الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الغنى المغنى المعطى المانع الضار النافع ، بِكرمه أنعم علينا بالإسلام ، وأطعمنا من جوع ، وآمَنَـنَا من خوف ، وستر عيوبنا ، وقَبِل توبتنا ، سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولا تضره معصية العاصين ، لانحصى ثناء عليه ، هو تعالى كما أثنى على نفسه .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم البعث و النشور .

أما بعد فتعالوا ـ أيها المسلمون ـ نَعِشْ معًا فى ظلال حديث قدسى ، نستضىء بنوره ونهتدى بهديه .

والحديث القدسى هو ما كان معناه من عند الله تعالى ووصلَ رسولَه عن طريق جبريل عليه السلام أو عن طريق الإلهام أو الرؤيا ، وعبَّـر عنه ﷺ بلَفْظه .

وأما الحديث النبوى فهو ما كان معناه ولفظه من عند الرسول ﷺ ، وكلاهما كلام صادق نافع هادٍ إلى الحق وإلى صراط الله المستقيم ؛ لأن الرسول ﷺ لاينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحَى !!

يبدأ الله تعالى هذا الحديث بنداء (ياعبادى) يضيف فيه لفظ عباد إليه تعالى

obeikandi.com

تشريفًا لهم ، ثم يكرره حتى تبلغ النداءات عشرة نداءات ، فى كل مرة يُتْبع النداء بتوجيه كريم لعباده ؛ ينهى فيه عن منكر أو يأمر فيه بمعروف ، أو يقرر حقيقة من الحقائق أو يبين نعمةً من نِعمه، وفضلاً من أفضاله ؛ ليؤكد أنه هو الغنى ، وأننا نحن الفقراء إليه ، وأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لاتنفعه طاعة الطائعين ، ولاتضره معصية العاصين ، وأن أعمال العباد مسجلة فى صحائف أعمالهم ، وسيحاسبون عليها ، فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرًّا يره ، وذلك ليستشعر العباد أن منزلتهم من ربهم إنما هى منزلة العبد من سيده ، ويستوعبوا معنى العبودية ، ويعُوه وعيًا حقيقيًّا ، لعلهم يعملون بمقتضاه ، حتى يفوزوا برحمته ومغفرته ورضاه .

يبدأ الحق تبارك وتعالى هذه النداءات بقوله : « ياعبادى ، إنى حرّمتُ الظلم على نفسى ، وجعلتُه بينكم محرمًا ، فلا تظالموا » ؛ ليبين أنه ـ وهو مالك الملك ، المتصرف فيه كيف يشاء ، الذى لايُسأل عما يفعل ، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له : كن فيكون ـ قد تقدَّس عن الظلم ، وتعالى عليه : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[1] ، ثم يبين أنه تعالى جعله محرما بين الناس ، وينهاهم عنه أفرادًا وجماعاتٍ وأممًا؛ لما فيه من تجاوز الحد و التصرف فى ملك الغير والعدوان عليه ، وإهدار حقوقه، وإلحاق الضرر به دون ذنب اقترفه ، ولما يؤدى إليه من اضطراب الحياة ، وإيقاد نار العداوة والبغضاء ، والحقد والنزاع والتدابر ، والشعور بالمرارة الذى يدفع إلى الانتقام بارتكاب الجرائم ، وإشعال نار الحروب والفتن ، وإضاعة الوقت والجهد والمال فى التخاصم و التحاكم ، مما يصرف الناس عن العمل المثمر وعبادة ربهم والجهاد فى سبيله !!

وأيًّا كان نوع الظلم ومقداره ، فإن الله تعالى قد حرمه ، وسيحاسب عليه ؛ حتى يسود الناسَ العدلُ والحب والخير والسلام .

وأياً كان الظالم و الظالمون بطشًا وجبروتًا وسلطانًا ،فإن الله سينتقم منهم فى الدنيا: ﴿ **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** ﴾[2]

---

(١) يونس : ٤٤ .

(٢) هود :١٠٢ .

وقد يسلط الله تعالى بعض الظالمين على بعض ؛ ليطهر الأرض منهم : ﴿ **وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ** ﴾ [(١)]. وفى هذا المعنى قال الشاعر:

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقَها ولا ظالمٍ إلا سَيُبْلَى بظالمِ

وأما فى الآخرة فمآل الظالم جهنم وبئس القرار : ﴿ **يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ** ﴾ [(٢)].

ألا فلْيعلمْ الظالم ذلك ، ولْيعلمْ أن الظلم ظلمات يوم القيامة ، وأن الأمر كما يقول رسولنا ﷺ : « من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين » [(٣)].

ألا فلْيُبادرْ من ظلم أحدًا بالتوبة ، وردِّ ما أخذه ، وطلب عفو المظلوم عنه ، قبل يوم الحساب ، يقول المعصوم ﷺ : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضٍ أو شىء ، فلْيتحلَّلْه منه اليومَ قبلَ ألا يكون دينارٌ ولادرهمٌ ، إن كان له عمل صالح أُخذ منه بِقَدْر مَظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذ من سيئات صاحبه فَحُملَ عليه » [(٤)].

أيها الإخوة المسلمون ، أما النداء الثانى فيقول فيه الحق تبارك وتعالى : « كلكم ضال إلا من هديته ، فاستَهدونى أهْدِكم » ، ليتناول أمرًا خطيرًا آخر ، هو الهداية والضلال ، فيبين أن أمرهما بيده تعالى وحده : ﴿ **مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا** ﴾ [(٥)] . فمن كتب له فى علمه الهداية يشرحْ صدره للإسلام ، ويرشدْه إلى طريق الهدى ، ومن كتب له فى علمه الضلال يتركْه دون هداية : ﴿ **فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾[(٦)] . ومن تخلَّى الله تعالى عن هدايته وقع فى شَرَك من أشراك الضلالة، كالكفر والصدِّ عن سبيل الله: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا**

(١) الأنعام : ١٢٩ .
(٢) غافر : ٥٢ .
(٣) متفق عليه . (٤) رواه البخارى .
(٥) الكهف : ١٧ . (٦) الأنعام :١٢٥ .

ضلالاً بعيداً ﴾ [1] ،أو الشرك بالله : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ [2] أو معصية الله ورسوله: ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾ [3] ، أو اتباع الهوى ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [4] ، أو القنوط من رحمة الله تعالى : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [5] .

هذا ، وقد منح الله تعالى الإنسان عقلاً يُميِّز به الهدى من الضلال ، والحقَّ من الباطل ، والنافع من الضار ، ثم أرسل إليه رسلا يوضحون له صراط الله المستقيم ، مبشرين من سلكه بجنات النعيم ، كما يحذرونه من الضلال و الهوى والشيطان ، وينذرون من ضل بنار الجحيم ؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ولتعود هداية من اهتدى لنفسه ، وضلال من ضل لنفسه أيضا :﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [6] .

فالْوَيْلُ كلُّ الويل لمن ضل وغوى ، إنَّ عاقبته لأَوْخَم العواقب ، إنها الخسران المبين، والعذاب الشديد فى نار جهنم ، والأكل من شجر الزقوم ، والشرب من الماء الحميم : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ [7] .

---

(١) النساء : ١١٦ .

(٢) النساء : ١٦٧ .

(٣) الأحزاب : ٣٦ .

(٤) القصص : ٥٠ .

(٥) الحجر : ٥٦ .

(٦) الإسراء : ١٥ .

(٧) الواقعة : ٥١ـ ٥٦ .

أَفَلَيس من رحمة الله بعباده أنْ أمَرَهم فى بدء هذا الحديث أن يستهدوه ، لعله يهديهم صراطه المستقيم ، فيفوزوا بجنات عرضها السموات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين ؟!

أيها الإخوة المسلمون ، لمَّا كان الله تعالى هو الذى خلق عباده وأخرجهم من بطون أمهاتهم عُرْيًا لا يعلمون شيئا ، وجعل لهم السمع والأبصار والأفئدة ، وكان هو الذى بيده الرزق وملكوت السموات الأرض وخزائنها ، فقد ناداهم فى هذا الحديث النداءين الثالث و الرابع : « ياعبادى ، كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى ، كلكم عارٍ إلامن كسوته فاستكسونى أكْسُكم »، وذلك ليطلبوا منه مطلبين هامين هما الطعام واللباس ، فيستجيب لهم ، ويمنحهم من الطعام ما يقيم حياتهم ويشبع رغباتهم ، ويبنى أجسامهم ، ويمنحهم من القوة ما يساعدهم على عبادته وطاعته ، ونشر دعوته والجهاد فى سبيله ، كما يمنحهم اللباس الذى يستر عوراتهم ويكون زينة لهم ، ويُمِدُّهم بالدِّفْء ، ويقيهم البرد ويحفظ أجسامهم من التلوث ، ويقيها شدة حرارة الشمس ، سبحانه وتعالى له الحمد والثناء الجميل على ما منحنا من الطعام ، وما سترنا من اللباس .

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو خامس النداءات التى نادى الله تعالى بها عباده ، يقول فيه : « ياعبادى ، إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعًا ، فاستغفرونى أغفِرْ لكم » .

أجل ، ياإلهنا وخالقنا ورازقنا ، إننا ـ ونحن عبيدك الضعفاء ـ يعترينا الهوى ، فنضعف ونفقد السيطرة على أنفسنا ، حيث تدفعنا غرائزنا الجامحة ، وعواطفنا الملتهبة، وشهواتنا الضالة ، ورغباتنا العمياء ، وأَثَرَتُنا الطاغية حيث يدفعنا كل ذلك إلى نسيان خشيتك أو تناسيها ، فنقترف من المعاصى ما يغضبك ، ومن الأخطاء ما يستوجب لعنتك ، ونتعدَّى حدودك ، كماننسى أو نتناسى فى لحظات الضعف هذه وتحت هذه المؤثرات أنك مطلع علينا ، عليم بما نقترف من هذه الأخطاء ، حتى لوكنا فى غياهب الظلمات ، أو فى أعماق البحار ، أو فى أخفى الكهوف ، أو نحلق فوق السحب ، وأنك قلت فى كتابك :

﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ (١) .

---

(١) النحل : ١٩ .

وقلت: ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ [١] !!

وينتهز الشيطان هذه اللحظات ليزين لنا هذه الخطايا ويباركها ، ويؤكد لنا أننا من حقنا أن نرتكبها ، ويعدنا ويمنينا ؛ لِيُضلَّنا عن سبيلك ، ويجلب لنا لَعْنتك ، ويحرمنا رحمتك ويدخلنا نارك ، ثم ساعة الحساب يتنكر لنا ، ويتبرأ منا : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [٢]

ثم إنك ـ ياإلهنا ـ بعد كل مانرتكب من هذه الخطايا ـ برٌّ كريم ، غفور رحيم ، إذ تعلن لنا أنك تغفر الذنوب جميعا ماعدا الشِّرْكَ ، وتأمرنا أن نستغفرك ، وأن نتوب إليك ، ونعمل صالحا ، نتوب إليك توبة نصوحًا ، نقلع فيها عن أخطائنا ، ونندم عليها ، ونعزم على عدم العودة إليها ، ونرد حقوق العباد إليهم ، أو نطلب مسامحتهم لنا ، فتقبل توبتنا ، وتغفر لنا ذنوبنا ، وترضى عنا ، فأنت القائل فى كتابك الكريم: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾ [٣] ، والقائل: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [٤] ، كما قال رسولك ﷺ : « إن الله تعالى يمد يده بالليل ؛ ليتوب مسىء النهار ، ويمد يده بالنهار ؛ ليتوب مسىء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها » [٥] .

أجل ، ما أجلك ياربنا ! وما أعظمك !! وما أبرك ! وما أرحمك ! ألسنا العبيدَ وأنت المالك ؟! ألسنا الضعفاءَ وأنت القوى ؟! ألسنا الفقراءَ وأنت الغنى ؟!

عباد الله ، أرى ـ خشيةَ الإطالة أن أُرْجِئَ الكلام عن بقية الحديث إلى الخطبة القادمة إن شاء الله ، فاستغفروا ربكم وتوبوا إليه ، عسى أن يرحمنا جميعًا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) غافر : ١٩ . (٢) إبراهيم : ٢٢ . (٣) طه : ٧٢ .
(٤) النور : ٣١ (٥) رواه مسلم .

فى نور حديث قدسى

(ب)

الحمد لله الغنى المانع ، الضار النافع ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، يهدى من يشاء ، ويضل من يشاء ، سبحانه لايسأل عما يفعل وهم يسألون ، سبحانه لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولاتضره معصية العاصين .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، صفوة خلقه ، وخيرة رسله ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، مادامت السموات والأرض وما فيهن .

أما بعد فيأيها الإخوة المسلمون ، لقد أسلفت فى الخطبة السابقة الحديث عن خمسة من النداءات العشرة التى يتضمنها الحديث القدسى الذى نحن بصدد الاهتداء بنوره، فلْنتناولْ الآن بقيةَ نداءات هذا الحديث القدسى :

النداء السادس ، يبين لنا ربنا أننا كلَّنا عاجزون كلَّ العجز عن ضرره أو نفعه ، فيقول : « ياعبادى ، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى » .

صدقتَ صدقتَ يامن بيدك وحدَك الضرُّ و النفع وأنت على كل شىء قدير ، إذ كيف يستطيع المخلوق أن يضر خالقه ؟ وكيف يستطيع من لا يملك لنفسه نفعًا أن ينفع من بيده وحده النفع ؟ سبحانك ربنا إنك أنت وحدك الذى بيدك الضر و النفع، ومن أسمائك الحسنى الضار ، النافع !!

إن العباد جميعا لايملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا إلا بمشيئتك : ﴿ **قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ** ﴾ [1] ، فإذا مسّهم الضر لم يجدوا مَن يدعونه

(١) يونس : ٤٩ .

ويجأرون إليه غيرك لكشف مابهم من ضر : ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِى الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ [١] . ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴾ [٢] .

كما أنهم إذا أرادوا نفعا وخيرا لم يجدوا من يدعونه لينفعهم سواك ، وإذا مسهم نفع فلن يستطيع أحد غيرك أن يدفعه عنهم ويحرمهم إياه ؛ لأن نافعهم هو الله الذى بيده وحدَه النفعُ ، وبيده وحدَه ملكوتُ السموات والأرض وخزائنهما : ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [٣] .

إخوتى فى الله ، أَعيرونى أسماعَكم وعقولكم ؛ لنتدبر معًا ما جاء فى النداء السابع فى هذا الحديث القدسى : « ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإِنْسَكم وجِنَّكم لو كانوا على أتقَى قلب رجل واحد منكم مازاد ذلك فى ملكى شيئا » .

حقا ، إنه لوصار كل من خلقهم الله تعالى من الأولين والآخرين والإنس والجن أتقياء ، يخشون الله تعالى حقَّ خشيته ، فينفذون أوامره ، ويجتنبون نواهيه ، ويعبدونه حقَّ العبادة ، ويراقبونه كلَّ المراقبة ، ويوفون بما أخذه عليهم من عهود ومواثيق ، أقول : إنهم لو صاروا كذلك لَمَا زاد فى ملكه تعالى شىء ؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ لا تنفعه طاعة الطائعين ، ولأنه هو الذى خلق ملكه بما يشتمل عليه من سموات وأَرَضين وما فيهما وما بينهما ، بحيث لا يحتاج إلى زيادة ، كما أنه هو المتصرف فيه كما يشاء ، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون ، فصلاحُ الصالحين من الأولين والآخرين والإنس و الجن لا يعود نفعه إلا عليهم هم وحدَهم ، أمَّا الله ـ سبحانه وتعالى ـ فغنىٌّ عن كل ما سواه :﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِىُّ الْحَمِيدُ ﴾ [٤] .

---

(١) الإسراء : ٦٧ .

(٢) النحل : ٥٣ .

(٣) يونس : ١٠٧ .

(٤) فاطر : ١٥ .

أيها الإخوة المسلمون ، ثم يقول تعالى فى هذا الحديث مناديًا عباده للمرة الثامنة: «ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئًا » .

أجل ، إن الأولين والآخرين والإنس و الجن لوصاروا كلهم فجَّارًا ، يتَّبعون خطوات الشيطان ، ولايستحيُون من الله ، فيعصونه ، بِفعْل مانهى عنه ، وتَرْكِ ما أمر به ، وتعدّى حدوده ، ويثيرون الفتن و الحروب ، ويسعوْن فى الأرض فسادًا ، أقول : إنهم لوصاروا كذلك مانقص فجورهم من ملك الله تعالى شيئًا ؛ لأنه تعالى هو وحده خالق الكون ، ومالك الملك ، الذى يتصرف فيه وحده كيف يشاء وليس لأية قوة قدرةٌ على إحداث نقص فى ملكه : ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً** ﴾ (١) .

أمَّا فجور الفجَّار ، وفسادُ المفسدين ، وكيد الكائدين ، فلن يكون وبالُه إلا عليهم: ﴿ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ** ﴾ (٢) ، ﴿ **وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ** ﴾ (٣) .

أيها الإخوة المسلمون ، ثم ينادى الحق جل وعلا نداءً تاسعًا فى حديثه القدسى الذى نتدبره ، فيقول : « ياعبادى ، لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألونى ، فأعطيت كل إنسان مسألته . مانقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أُدخِل البحر » .

صدقتَ ، صدقتَ ، ياربنا وخالقنا ورازقنا ، يا أكرم الأكرمين ، ويامجيب السائلين، أنتَ الذى خلقتَ عبادك ، وأنتَ وحدك الذى ترزقهم من خزائنك التى لا يعتريها نقصٌ ولانفادٌ ، رحمةً بهم ، وشفقة عليهم ؛ لأنك أنت الوهاب الرزاق الحليم العظيم!!

---

(١) فاطر : ٤٤ .

(٢) فصلت : ٤٦ .

(٣) غافر : ٢٥ .

فلو اجتمع الأولون والآخرون والإنس و الجن فى صعيد واحد ، وسألوك - لأعطيتَ كلَّ إنسان منهم ما يريد ، فمن يريد المال أعطيته المالَ ، ومن يريد الصحةَ منحته إياها ، ومن يريد السلطان و العزة و الجاه لبَّيْتَ طلبه ، ومن يريد العلم والصلاح نفذت رغبته ، ومن يريد غير ذلك أو أكثر من شىء واحد من ذلك أَنَلْتَه مايريد ، وكيف لا وأنتَ الذى تملك السموات والأرض وخزائنهما التى لا تنقص ولا تنفد ، فالخلق عبادك ، و الرزق رزقك ، تعطيه من تشاء متى تشاء وبأى قدر تشاء ، وحاشاك أن يكون لك حسيبٌ يحاسبك ، أو رقيب يراقبك ، أو مراجع يراجعك !!!

إنك - ياربنا - لو أجبتَ كل هؤلاء إلى ماسألوا لما نقص من ملكك إلا كما تنقص الإبرة من البحر إذا أُدْخِلَتْ فيه ، وماذا تأخذ الإبرة إذا انغمست فى بحر لجى واسع عميق يموج بالمياه ثم خرجت منه ؟ اللهم لاشىء !!

عبادَ الله ، هانحن أولاء قد وصلنا إلى النداء العاشر ، و آخر النداءات التى تضمنها هذا الحديث القدسىُّ : « ياعبادى ، إنما هى أعمالكم أُحصيها لكم ، ثم أُوفيكم إياها ، فمن وجد خيرًا فلْيحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه» .

لقد منح تعالى الإنسانَ عقلاً مفكرًا يميز الخير من الشر ، و الهدى من الضلال ، وأرسل رسله ليبينوا له صراط الله المستقيم ودينه القويم ، بما يتضمنه من عقائدَ وعبادات ومعاملات وأخلاق ومنهج متكامل للحياة الرشيدة ، التى يرضاها الله تعالى ويكافئ عليها ، كما يحذرونه من اتباع الهوى والشيطان وسلوك طريق الضلال الذى يؤدى إلى الهلاك ، وأعطاه مع عقله حرية الاختيار فيما يأتى وما يَذَرُ ، بحيث يختار لنفسه ما يشاء ، وجعل له صحائف أعمال تسجَّلُ فيها كل أعماله وأقواله أولاً فأولاً ، خيرًا كانت أو شرًّا : ﴿ **وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا** ﴾[١] .

---

(١) الإسراء : ١٣ ، ١٤ .

فمن وفقه الله تعالى وعمل صالحا ، فلْيحمدْه تعالى لتوفيقه إياه ، ولْيسعدْ بذلك فى الدنيا والآخرة : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] ، ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2] . وأما من اختار طريق الضلال ، وأسلم قياده للهوى و الشيطان ، فما أسوأَ حياته ! وما أتعسَ عاقبتَه !

وإذ ذاك فلا يلومنَّ إلا نفسه ؛ لأنه باختياره قد ضل ، وسلك طريق الهاوية : ﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾[3] .

نسأل الله تعالى من فضله أن يهدينا صراطه المستقيم ، وأن يجعلنا ممن يعملون صالحًا يحمدون الله عليه ، إنه ولى الصالحين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(1) يونس : ٢٦ .

(2) النحل : ٩٧ .

(3) الإسراء : ١٥ .

opelkandl.com

فى ظلال آيات ثلاث

(أ)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له ، أمَرَنا بكل ما فيه صلاحُ أمرنا ، ونهانا عن كل ما فيه ضررُنا وفساد شأننا ،وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فبلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلُها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ، ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيقول الله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (١) .

أيها الإخوة المسلمون ، تعالوا نتفيأ معًا ظلال هذه الآيات التى تتضمن عددًا من

---

(١) الأنعام : ١٥١ ـ ١٥٣ .

المأمورات ، وآخر من المنهيات التى يكون بها خير المجتمع وصلاحه وثباته على الصراط المستقيم : يبدأ الله تعالى أولى هذه الآيات بالنهى عن الشرك به ، حيث يقول تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[١] .

والأمر بتوحيده تعالى ، و النهى عن الشرك به كان أساس رسالات كل الرسل والأنبياء: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[٢] ؛ لأن إفراده بالعبادة هو الطريق المستقيم : « إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ »[٣] . وهو المتفق مع فِطْرة الله التى فطر الناس عليها ؛ إذْ جعل فى كل مولود استعدادًا للاهتداء إلى توحيده تعالى ، قال ﷺ: « كل مولود يولد على الفطرة ، ثم أبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه » .

أما الشرك بالله فهو المجافى للفطرة ، المخالف للحقيقة ؛ لأنه افتراء على الله تعالى، وضلال مبين ، وإثم عظيم ، لن يغفره الله تعالى ، إذْ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٤] . بل إنه تعالى فوق ذلك قد حرَّم جنته على المشركين: ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٥] .

ولن ينفعهم يومَ القيامة إنكارُهم الشرك : ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٦] ، بل سوف يتبرأ منهم شركاؤهم ، ولن يستطيعوا العودة إلى الدنيا ليتبرءوا من هؤلاء الشركاء : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ

(١) الأنعام : ١٥١ .

(٢) الأنبياء : ٢٥ .

(٣) الزخرف : ٦٤ .

(٤) النساء : ٤٨ .

(٥) المائدة : ٧٢ .

(٦) الأنعام : ٢٢ , ٢٣ .

الَّذين اتبَعُوا وَرأَوُا الْعذَابَ وتَقطَّعَتْ بهِمُ الأَسْبَابُ (١٦٦) وَقَالَ الَّذين اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فنتبرأَ منهُمْ كَمَا تبرَّءُوا منَّا كَذَلكَ يُريهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حسَرَات عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بخارجين من النَّار ﴾[1]. ﴿ويوْمَ نَحْشُرهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ للَّذين أَشْرَكُوا مكانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فزيَّلْنا بينهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إيَّانَا تَعْبُدُونَ (٢٨) فَكَفَىٰ باللَّه شَهيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إن كُنَّا عَنْ عبادَتكُمْ لَغَافلين ﴾[2] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضيَ الأَمْرُ إنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لي فَلا تَلُومُوني وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بمُصْرخكُمْ وَمَا أَنتُم بمُصْرخيَّ إنِّي كَفَرْتُ بمَا أَشْرَكْتُمُونِ من قَبْلُ إنَّ الظَّالمينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَليمٌ ﴾[3].

أيها الإخوة المسلمون ثم يقول تعالى : ﴿ وَبالْوَالدَيْنِ إحْسَانًا ﴾[4]. فينتقل من النهى عن الشرك إلى الأمر بالإحسان إلى الوالدين وبرِّهما ، ودوام وَصْلهما ، و القيام بحقوقهما فى غير تأفُّف أو اشمئزاز أو تضرر أو استثقال أو استعلاء ؛ ليؤدوا بذلك الإحسان بعضًا مما قدمه لهم آباؤهم منذ حمل أمهاتهم بهم إلى بلوغهم رشدهم من حب وإخلاص ، ورعاية وحماية ، وسهر وتوجيه ، وتضحيات مادية ومعنوية .

وتشجيعًا للأبناء على بِرِّ الآباء والإحسان إليهم جعل جزاءَه رضاه و الفوزَ بالجنة وسعةَ الرزق وطولَ العمر ممَّا أشار إليه ﷺ بقوله : « رضا الرب فى رضا الوالدين وسخط الرب فى سخط الوالدين »[5] ، وقوله « العبد المطيع لوالديه و المطيع لرب العالمين فى أعلى عليين » ، وقوله: « من سره أن يُبسَطَ له فى رزقه ويُنْسَأَ له فى أثره فلْيصلْ رحمه »[6].

وإذا شاع البر فى الأسرة صلحت وتماسكت وسعدت ، وفى سعادة الأسر سعادةُ المجتمع كلِّه التى هى من أهداف الإسلام .

---

(١) البقرة : ١٦٦ , ١٦٧ .

(٢) يونس : ٢٨ ، ٢٩ .

(٣) إبراهيم : ٢٢ .

(٤) الإسراء : ٢٣ .

(٥) رواه الترمذى .

(٦) أخرجه الديلمى فى سند الفردوس .

أيها الإخوة المسلمون ، لقد كان من عادات العرب الذميمة فى الجاهلية أن يقتلوا مارزقهم الله تعالى به من الأولاد ، خوفا من فقرهم الذى يُعجِزهم عن الإنفاق عليهم ، أو خوفًا من أن الإنفاق عليهم قد يؤدى إلى فقرهم ، فنهاهم الله تعالى عن ذلك فى هذه الآية بقوله : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (١) معللاً هذا النهى بأنه تعالى هو الذى يرزق هؤلاء الآباء ويرزق الأبناء ؛ لأنه وحده هو الذى يملك خزائن السموات والأرض ﴿ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَفْقَهُونَ ﴾ (٢) ، وهو وحده الذى يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر ، وليس فى مقدور أحد أن يتحكم فى رزقه زيادةً أو توسطًا أو نقصًا : ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٣)

أيها الإخوة المسلمون ، حرصًا من الله تعالى على جعل المجتمع الإسلامى طاهرًا من كبار القبائح والآثام التى تلوثه وتغرس فى نفوس أفراده العداوة و الشقاق - أقول: حرصًا منه تعالى على ذلك نهى عن الاقتراب من الفواحش ما أظهره الناس منها وما أخفَوه ، وذلك فى الآية التى نتدبرها معًا : ﴿ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (٤) ؛ إذ كانوا يُظهرون بعضها استهتارًا أو افتخارًا ، كما كانوا لايرَوْن بأساً فى اقتراف بعضها كالزنى إذا كان مستترًا ، فجعل تعالى النهىَ يعمُّ ما ظهر منها وما بطن ، وجعله عن مجردِ اقترابها ليؤكد النهىَ عن اقترافها ؛ لتزول من المجتمع الإسلامى تلك القبائح الكبيرة كالربا و الزنى و السرقة وجميع ألوان الظلم ، وتحل محلها أضدادُها من الفضائل التى تشيع فيه المودة و العدل و السلام ، وتحقق للأمة الإسلامية الخيرية على الأمم التى أشار إليها الحق تبارك وتعالى بقوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٥) .

أيها الإخوة المسلمون ، ثم يختم الحق تبارك وتعالى هذه الآية بالوصية الخامسة ، وهى النهى عن قتل النفس إلا بالحق ، إذ يقول : ﴿ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ

---

(١) الأنعام : ١٥١ . (٢) المنافقون : ٧ .
(٣) العنكبوت : ٦٢ . (٤) الأنعام : ١٥١ . (٥) آل عمران : ١١٠ .

إلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1] ؛ لأنه تعالى هو وحدَه خالقُ النفوس، وهو وحدَه الذى بيده إنهاءُ آجالها المحددة لها . ولم يُعْطِ أحدًا حقَّ إنهاء حياته بيده انتحارًا ، كما لم يُعْطِ أحدًا حقَّ قَتْل غيره إلا إذا كان بالحق ، وذلك فى الأحوال التى حددها الله تعالى ورسوله ، قال تعالى :﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾[2]. وقال ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3] ، وقال ﷺ : « لايحل دم امرئ مسلم يشهد أن لاإله إلا الله ، وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمارق من الدين التارك للجماعة » .

فإذا قتل أحد نفسًا بغير حقها متعمدا فجزاؤه جاء فى قوله تعالى : ﴿ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابًا عظيمًا﴾[4] . بل إنه تعالى جعل ذلك القتل بمثابة قتل الناس جميعًا : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[5] .

وبذلك صان الله تعالى الناس من القتل ، وأعطاهم حقهم فى الحياة الآمنة المطمئنة؛ ليتفرغوا للقيام بِدَورهم فى عمارة الأرض وعبادة ربهم ونشر دعوته فيها ؛ ليحققوا لأنفسهم ما كتب لهم الله تعالى من رزق وسعادة ، ولأمتهم العزة و الكرامة و الرقى و الرخاء .

عن بكرة بن نُفَيْع الحارثى أن النبى ﷺ قال : « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار ، قلت : يارسول الله ، هذا القاتل ، فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصًا على قتل صاحبه»[6] ،وقال ﷺ : « الحلال بيِّنٌ ، و الحرام بيِّنٌ ، وبين ذلك أمور مشتبهات ، ومَن يَحُمْ حول الحِمَى يوشك أن يقع فيه » .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

---

(١) الإسراء ٣٣ . (٢) المائدة :٤٥ . (٣) المائدة : ٣٢ .
(٤) النساء : ٩٣ . (٥) المائدة : ٣٣ . (٦) متفق عليه .

فى ظلات آيات ثلاث

(ب)

الحمد لله الهادى إلى صراطه المستقيم ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، الآمر بالعدل والإحسان ، واستيفاء الكيل و الميزان ، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله الداعى إلى كل خير ، المحارب لكل شر ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحابته وتابعيه مادامت السموات والأرض ومافيهن .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، لقد وقفنا فى الخطبة السابقة عند نهاية أولى الآيات الثلاث التى نتفيأ ظلالها معًا ، فلْنتناولْ فى حديثنا الآن الآيتين الباقيتين متدبرين مسترشدين ، يقول الحق تبارك وتعالى ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ** ﴾[1] ذلك أن الصغير الذى يموت عائله ويترك له مالاً يكون فى حاجة شديدة إلى من يدير شئونه ، ويحفظ له ماله ، حتى يسلمه إليه عندما يبلغ رشده، ولما كان حب المال قد يتمكن من قلوب ذوى النفوس الضعيفة تمكُّنًا يزيِّن لهم بوسوسة الشيطان أكْلَ أموال اليتامى ظلماً ، متعللين بشتَّى العلل الباطلة ، حتى إذا ماكبر هذا اليتيم لم يجد شيئاً ـ لما كان الأمر كذلك نهى الحق تبارك وتعالى عن قُرْب مال اليتيم وأخْذ شىء منه إلا بالطريقة الحسنى ، أى بالمعروف بحيث لا يؤدى إلى تناقصه وتآكله ، مقابل الإشراف عليه وتَعَهُّدِه واستثماره ، على أن الأفضل إذا كان ذلك المشرف غنيًّا أن يستعفف ،ولْيحتسبْ عند الله تعالى ما بذله من وقت وجهد ، ﴿ **وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾[2] .

وبذلك يكون قد اتَّقَى الله ، وصنع لهذا اليتيم ما يجب أن يُصنَع لذريته لومات وتركهم ضِعافًا محتاجين إلى من يقوم بنفس الدَّوْر الذى يقوم هُوَ به لهذا اليتيم !!

---

(١) الأنعام : ١٥٢ .	(٢) الشورى : ٣٦ .

من يفعل الخير لايَعْدَم جوازيه

لايذهب العُرْفُ بين الله و الناس

وقد يرتفع قَدْر هذا اليتيم ، فيقدِّر له هذا الجميل ، ويرده إليه أو إلى ذريته فى الصورة التى يستطيعها .

وبالتزام المجتمع بهذه الوصية الإلهية يطهر من حُثالة البشر ، تلك الفئة التى تأكل أموال اليتامى ظلماً ، ناسين أو متناسين أنهم بذلك يُسَوِّدون صحائفهم ، ويستحقون عذاب الله الأليم ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** ﴾[1].

أيها الإخوة المسلمون ، حرصًا منه تعالى على صيانة المجتمع الإسلامى من التشاحن و التقاطع و التباغض و التعادى الذى ينشأ عند التعامل بيعًا وشراءً بالكيل والميزان – قال تعالى : ﴿ **وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾[2] أى أعطوا كلاً من الكيل و الميزان حقه بالعدل ما وَسِعكم ذلك ؛ حتى لايكون هناك غَبْنٌ على أحد الطرفين المتبايعين يستتبع النزاع وضياع المال والجهد والوقت .

وقد أوعد الله تعالى بالعذاب الأليم المطففين الذين إذا اشتروا أَوْفَوْا الكيل والميزان ، وإذا باعوا نقصوهما ، وذلك فى قوله تعالى فى أول سورة المطففين :

﴿ **وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[3].

وقد كان أهل مدين (أصحاب الأيكة) ممن يُخْسِرون الكيل ، ولا يَزِنون بالعدل ، فلما بعث الله تعالى إليهم نبيه شعيبًا كان من أهداف رسالته بعد دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وعبادته أن يأمرهم بإيفاء الناسِ حقوقهم فى الكيل و الميزان ، ولكنهم

---

(١) النساء : ١٠ . (٢) الأنعام : ١٥٢ . (٣) الآيات الأولى من سورة المطففين .

كذَّبوه وسخِروا منه ، وزعموا أنه مسحور سيطر السحر على عقله سيطرةً جعلتْه يهذِى بما يدعوهم إليه ،وبالغوا فى ذلك فتحدَّوْه ـ إن كان صادقاً ـ أن يُنزل عليهم العذاب قِطَعاً من السماء ، فما كان من الله تعالى ـ وقد وصلوا فى تَعَنُّتِهم وإعراضهم إلى هذا الحد ـ إلا أن بعث عليهم سحابةً فى يوم أخرجَهم حرُّه من بيوتهم ، فتنادوا ليستظلوا بها ، فلما اكتمل جمعهم وجدوا لها أول الأمر بردًا ، فلم يكادوا ينعمون بظلهِّا حتى استحالت شررًا ولهباً ، ورجَفَتْ بهم الأرض ، وأخذتْهم صيحةٌ أزهقتْ أرواحهم !!

أيها الإخوة المسلمون ، ثم يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ** ﴾[1] ؛ ليأمرنا بالعدل فى القول ، فإذا نطقنا فلْيكنْ قولُنا كلامًا عادلاً صادقًا طيباً، خالصًا لوجه الله تعالى ، سواءٌ أكان شهادةً أم غير شهادة ، وسواءٌ أكانت الشهادة تتصل بقريب أم بعيد .

أجل ، يجب أن يقول المسلم الحقَّ ولو على نفسه أو على أقرب أقربائه ، أو أعز أصدقائه ، خالصًا لوجه الله تعالى ، لايخشى فيه لومة لائم ، أو بطش جبَّار ، أو تهديد متسلط ، أو تعذيب وحش يرتدى ثيابًا آدمية ، ولا يستجيب لإغراء مِن الإغراءات مهما عظمتْ ؛ لأنه إذا سادتْ كلمةُ الحق وشهادة العدل فى مجتمعنا الإسلامى صِينتْ الحقوقُ ، واحتُرمتْ المشاعر ،وحُفِظتْ الكرامةُ ، وقويتْ أركان المجتمع ، وتماسك بنيانهُ ، وصار من أرقى المجتمعات وأسعدها .

ولكى يشجع الإسلام على كلمة الحق ، والشهادة العادلة ، جعل من ينطقها عند السلطان الجائر بمنزلة المجاهد ؛ لأنه لم يَخش بطشه ، كما أن المجاهد لم يَخش لهيب الحرب وشدَّتها ، يقول سيد الخلق ﷺ « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر »[2] .

ثم لكى ينفر من شهادة الزور وعاقبتها الوخيمة جعلها من أكبر الكبائر ، وقَرَنَها بالشرْك بالله تعالى ، وعقوق الوالدين ، حيث يقول ﷺ « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ؟ قلنا : بلى يارسول الله ، قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين » وكان متكئاً فجلس فقال: « ألا وقول الزور » فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت[3].

(١) الأنعام : ١٥٢ .
(٢) رواه أبو داود و الترمذى ، وقال : حديث حسن .
(٣) متفق عليه .

أيها الإخوة المسلمون ، ثم يذكر الحق تبارك وتعالى آخر وصية فى هذه الآية ، وهى: ﴿وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [1] ، فيأمرنا بالوفاء بعهده ، أى بتنفيذ كل ما أخذه تعالى علينا من العهود وما تتضمنه من التكاليف والأحكام والأوامر و النواهى و التوجيهات ومراقبته تعالى و الثبات على صراطه المستقيم .

ولما كان سير الحياة ومُضِيّهاَ إلى غاياتها يستلزم عقد العقود ، وإبرام المعاهدات فى التعامل بين فرد وفرد ، أوبين فرد وجماعة ، أو بين دولة وأخرى ـ لما كان أمر الحياة كذلك وجب الوفاء بكل هذه العقود ، والالتزام بتنفيذ جميع بنودها فى الأوقات المحددة لها ، مثلما يجب الوفاء بعهد الله تعالى ؛ لأنه تعالى شاهدٌ على هذه العهود ، وآمِرٌ بتنفيذها ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا أوفُوا بالعقود ﴾ [2] .

وبالوفاء بالعهود ، سواءٌ كانت بين العبد وربه ، أو بين الناس تنتظم الحياة ، ويسود السلام ، وتُصان الحقوق ، وتقوى الصلات ، ويثق الأفراد والأمم بعضهم ببعض ، ويسود الوئام ، وتُنَفَّذُ المشروعات ، وتتحقق الآمال و الأحلام ، ويصلح حال الناس وبالُهم ، فيُجِدُّون فى عمارة الأرض ، وعبادة الله ، ونشْر دعوته ، مما يوحى باتعاظ الناس بما وعظهم الله تعالى به ، وأشار إليه فى ختام هذه الآية بقوله تعالى : ﴿ لعلكم تَذَكَّرون ﴾ .

أما نقضُ العهود فليس وراءه إلا الشرور والآثام وسوء المصير ، فنقض عهد الله تعالى يؤدى إلى الشقاء فى الدنيا والآخرة ، ونقض عهد الناس يؤدى إلى غضب الله وعقابه ، فوق ما يسببه من ضياع الحقوق ، واضطراب الحياة ، وتعطيل المصالح ، وتوقف المشروعات ، وضعف الصِّلات ، وفقدان الثقة بين الناس ، وشيوع العداوة والبغضاء ، ونشوب الحروب ، وانتشار الجرائم ، وضياع الوقت و الجهد و المال فى التقاضى من أجل تنفيذ هذه العهود !!

---

(١) الأنعام : ١٥٢ .

(٢) المائدة : ١ .

ومن أجل هذه الشرور والآثام التى يجُرها نقض العهود أو التراخى فى تنفيذها جعله الرسول ﷺ علامة من علامات النفاق وجعل ناقض العهد منافقاً مستحقًّا جزاءَ المنافق وعقابَهُ فى الدنيا والآخرة ، وما أبشعه من جزاء ، قال المعصوم ﷺ: « آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا اؤتمن خان »[1] .

أيها الإخوة المسلمون ، فى ثالثة هذه الآيات يقول الحق تبارك وتعالى **﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾**[2] ؛ ليختم هذه الوصايا بالأمر باتباع صراطه المستقيم ، ودينه القويم الذى يحقق سعادة الدارين الدنيا والآخرة ، بما يتضمنه من أوامرَ ونواه وتكاليف وتوجيهاتٍ سليمة لا حَرَجَ فيها ولامشقة ، لا نفرق بين جنس وجنس ، ولابين لون ولون ، ولابين طبقة وطبقة ، ولابين ذكر وأنثى ، ولا بين شعب وشعب ، ولابين وطن ووطن ، بها يتحقق العدلُ و السلام والأُخُوَّةُ و المحبةُ و التعاونُ على البر والتقوى ، والقوةُ و العزةُ والكرامةُ و الرخاءُ .

أجل ، هذا هو الصراط المستقيم الذى يجب اتباعه ، و السير فى هديه لأنه يؤدى إلى تقوى الله تعالى التى تُوَصِّلنا إلى السعادة فى الدنيا والآخرة .

أما ماعداه من السبل فضالَّة مضللة يجب نَبْذُها واجتنابها ؛ لأنها لا توصل إلا إلى الظلم و الخوف والكراهية والتفرق و الدمار والخراب ، والتعاسة فى الدنيا ، والعذاب الأليم فى الآخرة .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : خط لنا رسول الله ﷺ يوما خطاً ، ثم قال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطًا عن يمينه ويساره ، ثم قال : هذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليها ، ثم قرأ **﴿ وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾** .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم وللمسلمين فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) متفق عليه .
(٢) الأنعام : ١٥٣ .

الإســراء والمــعــراج

الحمد لله الذى بيده ملكوت السموات والأرض وهو بكل شىء عليم ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، إذا أراد شيئاً فإنما أَمْرُهُ أَنْ يقول له : كن فيكون ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أيده ربه بمعجزات لم يؤيد بها غيره من النبيين والمرسلين، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الذين صَدَّقُوه ونَصَرُوهُ ، واتَّبَعُوا النورَ الذى أُنْزِلَ معه أولئك هم المفلحون .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن الله ـ جلت قدرته ـ لم يَتَخَلَّ عن رسوله محمد ﷺ قط وهو يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان ـ كلما اشتد عليه الأمر ، وأمعن قومه فى اضطهاده وإيذائه والوقوف فى سبيل دعوته ـ يجرى من الأحداث ما يُهَوِّن عليه الأمر ، وينشط الأمل ، ويشحذ العزم ، ويدفعه إلى المضى فى نشر الدعوة، مهما عانده المعاندون ، وصد عن سبيل دعوته الصَّادُّون ، ذلك أنه ﷺ ابتلى فى العام الذى سبق هجرته إلى المدينة بثلاث سنين ـ بموت أعز نصيرين مخلصين له ، هما : زوجه خديجة التى أيدته تأييدًا ماديًّا ومعنويًّا لم يسبق له مثيل ، إذْ واسته بمالها، وكانت أولَ من صَدَّقَ بما جاء به ، كما كانت تهون عليه أمر الناس ، وتقوّى روحه المعنوية ، وتدفعه إلى المضى فى سبيله ، كأنها وحدها كتيبة من أقوى الكتائب تقف معه فى معركته ضد الشرك والمشركين !

أما ثانى النصيرين الذى ابتلى الرسول ﷺ بموته فى نفس هذا العام ، فهو عمه أبو طالب الذى أظله ﷺ بمظلة حمايته ، فكان هو الآخر بمثابة كتيبة تقف معه وتحميه وهو ماضٍ فى دعوته !

لقد أطمع موت هذين النصيرين المشركين فى إيذاء رسول الله ﷺ ، فنالوا منه من الأذى مالم يكونوا لينالوه فى حياتهما ، فرأى أن يتلمس لدعوته نصراء جددًا يؤمنون

بها وينصرونها وينشرونها ، ويحمونه من مطاردة قريش وإيذائهم إياه ، فذهب إلى الطائف؛ طمعاً فى اجتذاب قبيلة ثقيف ، فدعاهم إلى الله ، ولكنهم خَيَّبُوا رجاءه ، وردوه ردًّا قبيحاً ، وأَغْرَوْا به سفهاءهم وعبيدهم يَسُبُّونه ، ويصيحون به ، ويقذفونه بالحجارة ، حتى اضطر إلى اللجوء إلى حديقة عُتْبَة وشَيْبَة ابنى ربيعة ، وبه من الضيق والهم ما لا حَدَّ له ، فأخذ يُسَرِّى عن نفسه بالشكوى إلى ربه بحديثه الذى صور حالته النفسية أصدق وأدق تصوير : « اللهم أشكو إليك ضَعْفَ قُوَّتى ، وقِلَّة حيلتى ، وهوانى على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت ربُّ المستضعفين وأنت ربى ، إلى مَنْ تَكِلنِى ؟ إلى بعيد يتجهمنى أم إلى عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أمرى ؟ إن لم يكن بك علىَّ غضب فلا أبالى ، ولكن عافيتك هى أوسع لى، أعُوذُ بنور وجهك الذى أشْرَقَتْ له الظُّلمات ، وصَلَحَ عليه أَمْرُ الدنيا والآخرة من أن ينزل بى غضبك ، أو يحلَّ علىّ سَخَطُكَ ، لك العُتْبَى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك » .

ثم عاد إلى مكة كاسف البال حزيناً ، ولم يستطع أن يدخلها إلا فى حماية المُطْعِم بن عدى - رضى الله عنه - الذى مدحه الشاعر صادقاً بقوله :

ولو أن مجداً أخلد الدهرَ واحداً
من الناس أبقى مَجْدُهُ الدهرَ مُطْعِما

هنا أدركته العناية الإلٰهية كأنها تقول له : نحن لم ولن نتخلى أو نغفل عنك ، وإن ابتليناك بفقد أعز نصرائك ، واشتداد عداوة أعدائك ، فَهَوِّنْ على نفسك ، إذ اصطحبه جبريلُ عليه السلام فى رحلة برِّ جَوِّيَّةٍ ؛ ليرى من آيات ربه الكبرى ، ويلتقى بإخوانه الأنبياء والمرسلين ، ويؤمهم فى الصلاة ؛ وليتأكد أن من يكرمه بتلك الرحلة لن يتخلى عنه ، وقد تمت هذه الرحلة ذهاباً وعودة فى ليلة واحدة ، حتى إنه ﷺ عندما عاد منها وجد فراشه - كما تركه - لم يبرد !!

أما الرحلة البرية فقد حددت الآية الأولى من سورة الإسراء مكانَ بدئها ومكان انتهائها وغايتها ، إذ يقول تعالى : ﴿**سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ (١).

(١) سورة الإسراء - الآية : ١ .

وأما الرحلة الجوية فقد بدأت من المسجد الأقصى ، إذْ عَرَجَ به جبريل ـ عليه السلام ـ إلى السمٰوات العُلا ، حيث قابل فى السماء الأولى آدم عليه السلام ، وفى الثانية عيسى ويحيى بن زكريا عليهما السلام ، وفى الثالثة يوسف عليه السلام ، وفى الرابعة إدريس عليه السلام ، وفى الخامسة هارون عليه السلام ، وفى السادسة موسى عليه السلام ، وفى السابعة إبراهيم عليه السلام مُسْنِدًا ظهره إلى البيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون ألف مَلَك لا يعودون إليه .

وكل واحد من هؤلاء الأنبياء الثمانية رحَّب به ابناً صالحاً ، ونبيًّا صالحًا ، ودعا له بخير ، ثم ذهب به جبريل إلى سدرة المنتَهَى ، فأوحى الله تعالى إليه ما أوحى ، وفرض عليه وعلى أمته خمس صلوات فى اليوم والليلة ، ركناً من أركان الإسلام ، وطهارةً للنفس والبدن ، وكفارة للذنوب ، ورفْعًا للدرجات ، وفوزًا بالجنة ، ونجاةً من النار .

كما رأى فى هذه الرحلة عجائب ملكوت الله تعالى ، كالجنة والنار ، ورأى كيف يُعَذَّبُ العُصاةُ من الزناة ، والمغتابين ، والْقَتلة ، وأَكَلَة الرِّبا وأموال اليتامى ظُلْماً وعدواناً .... إلى آخر ماراه ، مما لم يره أحد غيره ، قال تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (١) .

فلما أصبح ﷺ من تلك الليلة أخبر قريشاً بما حدث له ، فكانوا ثلاثة فُرَقَاء :

---

(١) سورة النجم : ١ ـ ١٨ .

فريق آمن بما قاله ؛ لأنه لا ينطق عن الهوى ؛ ومن ثم يجب تصديقه فيما يخبرهم به من أمور ، ولو كانت خارقة للعادة .

وفريق أراد أن يتثبت من الأمر ، فذهبوا إلى أبى بكر ، وحدثوه حديث محمد ، فقال أبو بكر : والله لئن كان قد قاله لقد صدق ، وإنَّه لَيُحَدِّثُنَا بخبر السماء فَنُصَدِّقُه .

وجاء إلى النبى ﷺ واستمع إليه يصف بيت المقدس، وكان أبو بكر قد جاءه من قبل، فلما أتم النبى صفته قال له أبو بكر : صدقت ! صدقت يا رسول ! ومن يومئذٍ دُعِيَ أبا بكر الصديق .

وأما الفريق الثالث فقد أصروا على التكذيب ، وارتدوا عن الإسلام ؛ لضيق أُفُقِهِم، وعدم إدراكهم أن قدرة الله تعالى مُطْلَقَة ، وأنه تعالى إذا أراد شيئاً فإنما يقول له كن فيكون ؛ ومن ثَمَّ يُجرِى على يد رسله المعجزات الخارقة للعادة والمألوف ؛ تصديقاً لدعوتهم ، وإيجاباً للإيمان بهم ، كما فعل من قبل مع عيسى ، إذ أَقْدَرَهُ على إبراء الأَكْمَهِ والأبرص ، وإحياء الموتى ، وكما فعل مع موسى فى معجزات اليد ، والعصا ، وانشقاق البحر ... إلخ.

ثم إن من صدقوا بوقوع الإسراء والمعراج منهم من ذهب إلى أن ذلك كان بالجسد والروح ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ . إذْ المراد بالعبد حقيقته كلها جسداً وروحاً ، ولو كان ذلك بالروح فقط لَقال : أسرى بروح عبده، وهذا الرأى هو ما عليه جمهور المسلمين ـ ونحن بفضل الله تعالى منهم، وذلك لوضوح الدليل عليه ، ولأن العقل والقلب يطمئنان إليه .

ومنهم من رأى أنَّ الإسراء والمعراج كانا بالروح فقط .

وفريق ثالث رأى أنه كان مناماً . وهذان الرأيان ضعيفان واهيا الأساس ؛ لأن الرسول ﷺ لو كان أخبر قريشاً بأنه رأى ذلك بروحه أو فى منامه لما أنكر عليه أحد ذلك؛ لأننا نرى فى منامنا من الرُّؤَى والأحلام مايفوق الخيال ، بدون أن يُقال لمن حَدَّثَ برؤيا غريبة : إنه كاذب .

وأَيَّـامَّـا كان الأمر فيجب التسليم ـ بدلالة النص الواضحة ـ بأن الإسراء والمعراج كانا بالجسد والروح معاً ، كما يجب عدم الجدال فى ذلك أو إثارة كونهما

obeikandi.com

بالروح أو بالرؤيا المنامية ؛ إذ إن الله تعالى قادر على أن يقول لأى شىء كن فيكون !

وقد استطاع الإنسان بما وصل إليه - بفضل الله ومشيئته - من علم واكتشافات أن يمشى فوق سطح القمر ، وأن يسمع الصوت ويرى الصورة منقولين إليه عبر الأثير عشرات الآلاف من الأميال فى ساعة حدوثهما ، بل إنه توصل إلى نقل أى شىء مكتوب عبر آلاف الأميال ، فإذا كان الإنسان الضعيف المحدود القدرة استطاع ذلك ، أَفَيَسْتَبْعِدُ أحدٌ على خالق الكون القادر على كل شىء قُدْرَةً مطلقة - أن يسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ثم يعرج به فى السموات حتى سدرة المنتهى، ثم يعود به فى نفس الليلة إلى فراشه بمكة ليجده مازال دافئاً كما تركه؟!!

أيها الإخوة المؤمنون ، هذا هو أمر الإسراء والمعراج ، وموقف الناس منهما ، أمَّا ما فيهما من العظات والعبر فكثير ، وحسبى - لضيق الوقت - أن أذكر منه :

١ - أنهما جاءا معجزتين ، تصديقاً للرسول ﷺ فى دعواه ، وإيجاباً للإيمان به ، وتكريماً له ، وتثبيتاً لفؤاده ، وتطييباً لخاطره ، وتقوية لحالته المعنوية ، وسلوى له عمَّا أصابه من عنت قومه وصلفهم واضطهادهم إياه ومن آمنوا به .

٢ - أنهما إشارتان إلى أن من يكرمه ربه بتلك الرحلة البَرِّجَوِّيَّة من السهل عليه أن ينصره عندما يواجه عواصف الأحداث .

٣ - أن الله تعالى أراد أن يعلم من يثبت على إيمانه ، ومن ينقلب على عقبيه ؛ ليجزى كلاًّ بما فعل .

٤ - فرض الصلاة فى رحلة المعراج ، وما أجلها من فريضة تربط بين المسلم وربه ونبيه ، إذ يقف بين يديه خمس مرات كل يوم وليلة .

٥ - فى حديث الرسول ﷺ عما شاهده من صور بشعة لتعذيب الزناة ، والمغتابين ، والقتلة ، وأَكَلَةِ الربا وأموال اليتامى ظُلْماً ، وغيرهم - فى كل ذلك زَجْرٌ لمن يرتكب هذه الجرائم أو تُحَدِّثُهُ نفسه بارتكابها ؛ إذ سوف يحل به ما حل بأمثاله هؤلاء .

وقانا الله تعالى جميع الشرور والآثام وثبت فى قلوبنا الإيمان . وجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

أول جريمة قتل على وجه الأرض

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى خلقَ السمٰوات والأرض وجَعَلَ الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ، الحمد لله الذى له ما فى السمٰوات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير ، الحمد لله فاطر السمٰوات والأرض جاعل الملائكة رُسُلًا أُولِى أجنحة مَثْنَى وثُلاثَ ورُبَاع ، يزيد فى الخلق مايشاء ، إن الله على كل شىء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ربنا الذى أعطى كل شىء خَلْقَه ثم هدى ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله الله تعالى إلى الناس كافة بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فَبَلَّغَ الرسالة ، وأَدَّى الأمانة ، ونَصَحَ للأمة، وكشف الغمة ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين نشروا فى الدنيا الأمن والعدل والمحبة والإخاء والمساواة .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، يقول الله عز وجل فى كتابه العزيز : ﴿ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ**

سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ (٣١) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾(١).

صدق الله العظيم

تعالوا معى ـ أيها المسلمون ـ نتدبر معانى هذه الآيات ؛ لنتعظ ونعتبر ؛ فإنما يتذكر أولو الألباب ، إنها تخبرنا عن أول جريمة قتل وقعت فى تاريخ البشرية ، مبينة دوافعها الرخيصة التى يستحيل أن يقتنع أدنى عقل بأنها تبيح للأخ دم أخيه ، ذلك أن الله تعالى رزق آدم عليه السلام ـ أول ما رزقه ـ بِتَوْءَمَين : أولهما قابيل وأخته ، وثانيهما هابيل وأخته ، فرعاهم حق الرعاية، ونَشَّأَهُم أقوم تنشئة ، إنها تربية النبيين لأبنائهم ، ورعايتهم لفلذات أكبادهم ، وبعد أن شب قابيل وهابيل عن الطوق اتجه كلٌّ منهما إلى ما يُسِّرَ له وما يلائمه من عَمَل ، فاتجه قابيل إلى الزراعة ، واتجه هابيل إلى الرَّعى ، حتى بلغا أشدهما واستويا ، ونضجت فيهما غريزة الرجولة ، ورغب كل منهما فى أن تكون له زوجة يسكن إليها ، فيسعد بصحبتها ، وينعم بمودتها، ويحظى برحمتها، وتكون له راعية ، ولأوامره منفذة ، ولنصحه باذلة ، ولهمومه مبدِّدة ، ويرزقه الله منها من الأولاد من تَقَرُّ بهم عينه ، وتتزين حياته ، فتطلعت نفس كل منهما إلى البحث عن هذه الشريكة التى يتحقق فيها ما يأمله .

هنا أوحى الله تعالى إلى أبى البشرية أن يزوج كل فتى من فَتَيَيْهِ بِتَوْءَمَةِ أخيه ، أى يتزوج قابيل توءمة هابيل ، ويتزوج هابيل توءمة قابيل ، فنقل أبوهما إليهما هذا الوحى؛ ليعملا بما جاء به ، ويمتثلا لأمر الله ، فتتحقق لكل منهما السعادة التى تصبو إليها نفسه ، وتمتلئ حياته أمناً ورضاً .

ولكن أَنَّى يتأَتَّى هذا مع الغريزة الإنسانية إذا تملكها الطمع ، ودفعها إلى التطلع إلى نصيب غيرها ؟

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية ٢٧ إلى ٣٢ .

هاج قابيل وماج ، ورفض مشورة أبيه ؛ إذْ كانت توءمة أخيه هابيل التى خصصها الله له أقل جمالاً من توءمته هو ، فرأى أنه أَوْلَى بتوءمته من أخيه هابيل !!

وهكذا نرى الجمال منذ بدء البشرية يسيطر على النفوس ، ويملؤها بالحقد والتنافس ، ويدفعها إلى الحصول عليه ، ولو أَوْرَدَهَا ذلك موارد الهلاك !!

فكر آدم عليه السلام كيف يقنع قابيل أن يرضى بنصيبه ، وألا يجره الطمع إلى العدوان على حق أخيه ، فاقترح على كُلٍّ من قابيل وهابيل أن يقدم قرباناً لله تعالى ، فمن تُقُبِّلَ قربانه نفذت رغبته .

ولما كان قابيل زارعاً ، فقد قدم قربانه من أرذل زرعه ، وأما هابيل فقد قدم أحسن كبش عنده ؛ لأنه ـ كما أسلفنا ـ كان راعياً للماشية .

وتشاء إرادة الله تعالى أن يتقبل قربان هابيل بأن نزلت نار فأكلته ، كما يقول المفسرون ، وأن يرفض قربان قابيل الذى عصى أباه ، ولم يرض بحكمه، بل ضل واتبع هواه !

هنا امتلأت نفس قابيل بشحنة مدمرة من السخط والحقد والحسد والبغض ، وسيطرت عليه الأثرة والطمع ، فأخذ يهدد أخاه قائلا : لأَقْتُلَنَّكَ حتى لا تبقى سعيداً بزوجتك أمامى ، وأنا شقى بزوجتى !!

رد عليه هابيل بأنه لو اتقى الله ، وأخلص نيته ، وأطاع أباه لَتُقُبِّلَ قربانه؛ لأن الله إنما يتقبل من المتقين .

ولكن أَنَّى لمن أَصَمَّ أذنه ، وقاده هواه ، وسيطرت عليه غرائزه ، وعَصَى أباه ، وأغضب ربه ـ أَنَّى له أن يستمع إلى نُصْحٍ أو يهتدى إلى حق ؟ !

ولما رأى هابيل إعراض أخيه عن النصح لم يهدده ، ولم يبسط يده إليه بسوء ، برغم تهديده إياه بالقتل ، وبرغم أنه كان أقوى منه ، كما قيل ، بل قال له : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلُكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ

الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ (١).

ظل بركان حقد قابيل على أخيه هابيل يشتد غليانه، ويتصاعد دخانه، حتى بلغ درجة لا بد له فيها أن ينفجر، فكان أن امتدت يده إلى أخيه هابيل فقتله؛ ليخلو له الجو، ويظفر بالزواج من توءمته الجميلة التى كانت من نصيب أخيه!!

وهكذا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ وقعت أول جريمة قتل على وجه الأرض بقتل الأخ أخاه!!

ولكن، هل يرتاح للقاتل الأثيم ضمير، أو يطمئن له قلب، أو تطيب له حياة بعد أن نفذ جريمته البشعة بقتل أخيه على هذه الصورة النكراء؟

لا، ثم ألف لا! لقد واجهته بعد أن أتم فَعْلَتَه، وصحا ضميره، وثاب إليه رشده، وأفرغ سموم حقده، وأحس بالندم ينهش قلبه ـ لقد واجهته بعد كل ذلك مشكلة مواراة أخيه؛ لأنه لم يحدث من قبل أن مات أحد وَوُورِيَتْ جثته؛ حتى يتعلم من ذلك كيف يُوارِى جُثَّةَ أخيه، وكأنى به قد حمله فى جراب على ظهره، وظل مضطربا حائراً، محترق الوجدان، لا يقر له مضجع، ولا يهدأ له بال، حتى تغير ذلك الجسد، وانتشرت منه الرائحة الكريهة، دون أن يهتدى إلى حل لمشكلة مواراته!!

هنا تتدخل العناية الإلٰهية، ويشاء الله تعالى ـ رفقاً بجثة هابيل، وحفظاً لكرامته وآدميته، وسَنًّا لدستور الدفن للخليقة، وإيلاماً لنفس قابيل، وحطًّا من كبريائه وغروره ـ يشاء الله تعالى أن يكون معلمه ومرشده إلى طريقة الدفن ليس إنساناً مثله، وإنما غُراب أسود، إذ بَعَثَ الله غُرابَيْنَ، فَاقْتَتَلا، فقتَلَ أحدهما صاحبه، ثم حفر له بمنقاره، ووارى جثته تحت التراب، فزاد ندمه وحسرته ـ وهو يشهد ما حدث ـ واحتقر غروره وكبرياءه؛ لعجزه عن مواجهة هذه المشكلة، وحاجته إلى أن يتعلم من الغراب كيفية حلها، قال تعالى فى ذلك: **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ**

---

(١) سورة المائدة ـ الآيتان: ٢٨ و ٢٩.

سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (١).

من أجل هذه الحادثة الشنيعة النكراء حكم الله تعالى على بنى إسرائيل أنَّ مَنْ قتل نفساً بدون سبب موجب للقتل بِأَنْ كان القتْل بغير قَتْلِ نَفْسٍ ، وبغير فسادٍ فى الأرض ـ كان ذلك بمثابة قَتْلِ الناس جميعاً ، وأن من امتنع عن قتل نفس صانها الله ؛ خوفاً منه تعالى ، فهو كمن أحيا الناس جميعاً !

ولكنهم بعد أن كتب الله تعالى عليهم ذلك ، وأرسل إليهم رسله بالمعجزات والآيات الواضحات لم يكفُّوا عن الفساد فى الأرض والإسراف فى القتل طوال تاريخ البشرية حتى الآن !

وذلك قوله تعالى : **﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾**(٢).

قال ﷺ : « لا يَحِلُّ دم امْرِىءٍ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمارق من الدين التارك للجماعة »(٣).

أيها الإخوة المسلمون أتباع رسول السلام ، هذه هى قصة أول جريمة قتلٍ ارْتُكِبَتْ على وجه الأرض ، ولعلكم رأيتم كيف كانت نتيجتها حرمان القاتل من تحقيق ما ارتكب من أجله جريمته ، وبوَاءَه بالندم والخزى والهوان ، ولعنة الله ، وسخط الوالد.

ثم مضى مسلسل القتل بعد ذلك فى بنى آدم ، قتالاً بين فرد وفرد ، أو فرد وجماعة، أو جماعة وجماعة ، فيما سمى بحوادث فردية محدودة ، أو حروب أهلية أو غير أهلية ، بدوافع مشروعة أو غير مشروعة .

---

(١) سورة المائدة ـ الآية ٣١ .

(٢) سورة المائدة ـ الآية ٣٢ .

(٣) متفق عليه .

ومن ثم استدعى الأمر ـ إحقاقاً للحق ، وإزهاقاً للباطل ـ أن يشرع الله تعالى عقوبة القتل أو الاعتداء على أى عضو من الأعضاء ، وهذا ما ينبغى أن أتناوله فى خطبة أو خطب قادمة ، إن عشت وشاء الله .

اللهم اغفر للشهداء الذين قُتِلُوا فى سبيلك وأدخلهم فى رحمتك يا أرحم الراحمين .

اللهم أرِنَا الحق حقًّا ، وَارزُقْنَا اتِّبَاعَه ، وأَرِنَا الباطلَ باطلاً وازرقنا اجتنابه، ياهادى المهتدين .

اللهم إنا نعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لايخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها ، كما نعوذ بك من الشيطان الرجيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com

السلام والحرب فى الإسلام

الحمد لله الذى كَرَّمَ الآدميين ، وصان دماءهم من عدوان الآثمين ، وأشهد أن لا إلٰه إلاَّ الله وحده لا شريك له ، السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، نشر ألوية السلام تظلل الأنام ، اللهم صَلِّ وسلم وبارِك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه وكل من دعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، تحدثت فى الخطبة السابقة عن أول جريمة قتل روَّت بدمها الأرض ، وما كان لها من نتائج وخيمة ، أما الآن فتعالَوْا معى لنرى كيف أدَّتْ هذه الحادثة إلى تحريم القتال بغير حق ، وبيان عقوبة القاتل العادلة ، أصغوا معى إلى قول الحق ـ سبحانه وتعالى : ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ (١) .

صدق الله العظيم .

لقد عَظَّمَ الله سبحانه وتعالى شأن السلام ، وآية ذلك أنه :

-جعل من أسمائه الحسنى السلام :﴿**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ**

---

(١) سورة المائدة ـ الآيات من ٣٢ إلى ٣٤ .

السَّلامُ ﴾ (١).

- كما جعل الإسلام دين السلام ، وأمر المسلمين بالسلام ، أصغوا معى إليه تعالى إذ يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(٢).

-وجعل تحية المسلمين هى السلام ، فالمسلم عندما يلقى أخاه المسلم يبادره بالسلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) سواء عَرَفَهُ أم لم يعرفه ؛ ليعلن له أن أمره هو السلام ، هو الأمان ، هو المودة والوئام ، لا العدوان والوحشة والمقاطعة والخصام ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ : أى الإسلام خير ؟ قال : «تُطْعِم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف»(٣).

-كما جعل الجنة دار السلام ، قال تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤) ،ودعا إليها ؛ لأنها دار السلام ، حيث قال تعالى : ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٥).

- وعندما تقبض الملائكة أرواح الأبرار تحييهم بالسلام ، مُبَشِّرَةً إياهم بالجنة: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٦) ،ثم إن الملائكة تدخل عليهم الجنة من كل أبوابها بعد استقرارهم فيها مهنئة ومحيية إياهم بالسلام : ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ

---

(١) سورة الحشر ـ من الآية : ٢٣ .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٨ .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة الأنعام : ١٢٧ .

(٥) سورة يونس : ٢٥ .

(٦)سورة النحل : ٣٢ .

﴿وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(١)

كما أن تحية أهل الجنة بعضهم بعضًا فى الجنة هى السلام، قال تعالى: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢).

– وقد بين لنا الرسول ﷺ أن إفشاء السلام من أسباب دخول الجنة، قال ﷺ: «يأيها الناس، أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصِلُوا الأحام، وصلُّوا والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام» (٣).

– وذلك لأن إفشاء السلام يؤدى إلى التحابِّ، والتحابُّ يؤدى إلى الإيمان، والإيمانُ يؤدى إلى الجنة، كما يؤكد ذلك قوله ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تُؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا، أَوَلَا أدلكم على شىء إذا فَعَلتُموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» (٤).

– ولعظم ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر جعلها الله تعالى كلها سلامًا من أولها حتى مطلع فجرها، حيث يقول: ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (٥).

هذا – أيها الإخوة – بعض ماورد عن السلام فى القرآن الكريم والسنة النبوية، مما يعظم شأنه، ويدعو إليه، ويرغب فيه؛ ذلك أن السلام هو الأمان، هو الطمأنينة والاستقرار، هو الحب والتقارب والتآلف، هو نبذ الخصام والعداء والكراهية والظلم والعدوان، والاقتتال.

أجل، إن السلام عندما يعم الناسَ تصفو نفوسهم، وترتاح ضمائرهم، وتخلو من

(١) سورة الرعد: ٢٣ و ٢٤.
(٢) سورة يونس: ١٠.
(٣) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.
(٤) رواه مسلم.
(٥) آخر آية فى سورة القدر.

الدنس والحقد والبغضاء سرائرهم ، وتهدأ أعصابهم ، وتعمر بالمحبة قلوبهم ، ويحفظون الأنفس والأموال والأوقاتَ التى تهلكها الحروب والخصومات ، وإذ ذاك يتفرغون للعمل والإنتاج ، مقبلين عليه فى تواد وتعاون ، وبر وصدق ، فيسعدون بحياتهم ، ويشكرون نعمة ربهم ، ويدخرون لأخراهم كما يعملون لدنياهم ، ويعمرون الأرض ، وينشرون فيها دعوة الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، أليست هذه هى الحياة التى يريدها الله تعالى للأنام ؟

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو السلام ، وهو منهج الله القويم ، وصراطه المستقيم، ولٰكنَّ هناك قلوباً دنَّسها الحقد والحسد ، ولوثتها العداوة والبغضاء وشهوة الانتقام ، ونفوساً شوهها الطمع فيما لدى غيرها من مال ، أو أرض ، أو منصب ، أو جاه ، أو نساء ، أو قدرات ، أو غير ذلك من متاع الحياة الدينا ...

كما أن هناك عقولا ضيعتها الخمر وغيرها من ألوان المخدرات ، فانحرفت بها عن المنطق السليم ، والتفكير القويم ، والسلوك السديد...

كل هذه القلوب والنفوس والعقول أعمى الشيطان أصحابها عن طريق السلام ، وساقهم إلى التنازع والخصام ، والطمع والجشع ، والتنافس فيما يغضب الله ، ويعكر صفو الحياة ، فدفنوا السلام ، وأهالوا عليه التراب ، وأحلوا محله القتل والقتال ، والبغى والعدوان على الأنفس والأموال والأعراض وكافة الحقوق ، ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم !

لقد صرنا نرى الأخ يقتل أخاه ، والابن يقتل أمه وأباه ، والصديق يغتال صديقه ، والمرءوس يصرع رئيسه ، والدولة القوية تُوسع الدول الضعيفة تعذيباً وقتلا ، وتجويعاً وتشريدًا ، وتوقع الفتنة والفرقة بين أبنائها ؛ لتذلها وتخضعها ، وتستولى على أرضها وخيراتها وقدراتها وكل ما تملك ظلماً وعدواناً!!

وإذا بحثنا عن الدوافع التى دفعت أولئكم القَتَلَة إلى القتل ـ وجدناها ـ كما لاتخرج عن الحقد والحسد ، أو التنازع والخصام ، أو التنافس على متاع الدنيا، أو

الثأر، أو الأثرة والطمع فيما لدى الآخرين ، أو فقد الوعى بتناول المسكرات والمخدرات ، أو أكثر من سبب من هذه الأسباب!!

ولكى يصون الإسلام دماء الناس حرم القتل بغير حق ، وشرع عقوبة القصاص الرادعة ، وغَضِبَ اللهُ تعالى على القاتلِ ولَعَنَهُ فى الدنيا ، وأعَدَّ له عذاباً عظيماً فى الآخرة، بل إنه جعل من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن تركها حية فكأنما أحيا الناس جميعاً ، حتى يسود السلام ، ويختفى شبح الحرب والخصام .

استمعوا ـ إخوةَ الإسلام ـ إليه ـ سبحانه وتعالى إذ يقول فى محكم آياته : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (١).

وإذ يقول تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ (٢).

وإذ يقول تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨) وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣).

فالسلام أصل ودعامة من دعائم الحياة فى الإسلام ، وأما القتل والحرب فلا يلجأ

---

(١) سورة المائدة ـ من الآية : ٣٢ .

(٢) سورة النساء : ٩٣ .

(٣) سورة البقرة ، الآيتان : ١٧٨ و ١٧٩ .

إليهما إلا إذا كانا من أجل السلام ، والقضاء على الفتن ، وفتح الطريق أمام دعوة الله، وصيانة الإسلام ، فإذا ارتكب إنسان جريمة تستحق القتل كأن قتل غيره بغير حق ، أو ارتد ، أو زَنَى وهو محصن ـ وجَبَ قَتْلُهُ ، قال رسول الله ﷺ : « لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسوله الله إلا بإحدى ثلاث : النفس بالنفس ، والثيب الزانى ، والمارق من الدين التارك للجماعة »(١).

وكذلك من يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا ـ نص الله تعالى على عقوبتهم فى قوله : ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٢).

والآن تعالوا معى ـ أيها المسلمون ـ لنرى لماذا شرع الله تعالى القتال ، ومتى شرع:

إن الرسول (ﷺ) لما دعا مشركى مكة إلى الإسلام كان منهجُهُ الدَّعَوِىّ ما أنزله الله تعالى عليه فى قوله : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٣). ولكن المشركين رفضوا دعوته ، ولم يكتفوا بذلك، بل صَدُّوا عن سبيل الله ، وأرادوا إطفاء نُوره ، وأذاقوا الرسول ﷺ ومن آمن به من السخرية والتعذيب والاضطهاد والمطاردة ، والمقاطعة ـ ألواناً وألواناً ، فصبر إلى أن تجاوز الإيذاء كل الحدود، وبلغ الظلم أقصى مداه !

هنا لم يكن بُدٌّ من أن يأذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالقتال استمعوا معى لقوله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾(٤).

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة المائدة : ٣٣ .

(٣) سورة النحل ـ من الآية : ١٢٥ .

(٤) سورة الحج : ٣٩ .

وإذ يقول تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ (١).

إِذَنْ لم يكن الدافع إلى القتال هو فرض الإسلام بالسيف كما زعم ويزعم الخرَّاصُون ، أو إخضاع الناس وإذلالهم والسيطرة عليهم وعلى ممتلكاتهم ، واحتلال أراضيهم ، أو تحقيق أى هدف من الأهداف التى تقوم بسببها الحروب الظالمة ، كما يفعل المعتدون .

وإنما كان القتال فى الإسلام للدفاع عن العقيدة والنفس ؛ فالإسلام له من قوته الذاتية ما يقنع الناس به ، ويجذبهم إليه ؛ لأنه الدين الحق ، دين الفطرة السليمة ، يقبل عليه الناس تلقائياً ماداموا لا يجدون من يصدهم عنه ، يقول تعالى فى ذلك : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ (٢)

ولو كان الإسلام قائماً على الإكراه والسيف لما انتشر بهذه السرعة والسهولة حتى أضاء نواحى المعمورة فى زمن قياسى .

وكيف يقوم على الإكراه ، ومن أرسل رسوله به ينزل عليه قوله تعالى : ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (٣). وقوله تعالى : ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤). وقوله تعالى: ﴿ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴾ (٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾(٦) ؟ .

أيها المسلمون ، هذا هو القتال فى الإسلام ، لَخَّصَ الحق - تبارك وتعالى - بواعثه فى أنه فى سبيل الله ، كما لخص بواعث قتال المشركين فى أنه فى سبيل الطاغوت ، إذ

---

(١) سورة البقرة : ١٩٠ .
(٢) سورة الروم : ٣٠ .
(٣) سورة البقرة - من الآية : ٢٥٦ .
(٤) سورة يونس - من الآية : ٩٩ .
(٥) سورة الغاشية : ٢٢ .
(٦) سورة ق - من الآية : ٤٥ .

يقول تعالى : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ (١). وإذ يقول تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٢). وإذ يقول : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٣).

هذا ـ أيها المسلمون ـ هو السلام فى الإسلام ، دين السلام ، الداعى دائماً إلى السلام، الذى لم يلجأ إلى الحرب إلا مضطرًّا ؛ ردًّا على الباغين ، ودفاعاً عن النفس والعقيدة ، ولم يحارب قط للانتقام أو التَّشَفِّى ، أو الطمع فيما لدى غير المسلمين ، أو احتلال أوطانهم ، أواستعبادهم والسيطرة عليهم وإذلالهم وإجبارهم على الدخول فيه!!

ولما كانت أهداف الحرب فى الإسلام سامية فإنه جعل لها آداباً سبق بها مدعى السبق بأكثر من أربعة عشر قرناً ؛ إذ نَهَى المقاتل عن قَتلِ النساء والصبيان والشيوخ والرهبان المتعبدين فى صوامعهم ، وعن هدم المنازل أو إحراقها ، وعن قطع الأشجار ، وغير ذلك من أعمال التخريب ...

عن ابن عمر رضى الله عنه أن امرأة وُجِدَت فى بعض مغازى النبى ﷺ مقتولة ، فأنكر رسول الله ﷺ قتل النساء والصبيان .

وعن بريدة قال : « كان رسول الله ﷺ إذا أَمَّرَ أميرًا على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا ، ثم قال : أُغْزُوا باسم الله فى سبيل الله ، قاتلوا من كَفَرَ بالله ، اغزوا ولا تغلُّوا ، ولا تغدروا ، ولا تُمَثِّلُوا ، ولا تقتلوا وليدًا».

---

(١) سورة النساء : ٧٦ .

(٢) سورة البقرة : ١٩٠ .

(٣) سورة التوبة ـ من الآية : ٣٦ .

هذا - أيها المسلمون - هو الجهاد فى سبيل الله ، وهذا هو منهج الإسلام فيه .

أليس الإسلام -كما قلت -هو دين السلام ؟

بلى ، إنه هو دين السلام ، وإن ربه هو السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر، سبحانه وتعالى .

فعليكم - أيها المسلمون - أن تعرفوا حق المعرفة موقف الإسلام من السلام والحرب ، حتى تستطيعوا الدفاع عنه بالأدلة القاطعة ، وَرَدَّ كيد المفترين الذين يحاولون تشويهه بمفترياتهم إلى نحورهم .

وتحضرنى الآن أبيات قالها شوقى داحضا فريتهم أن الإسلام قام على السيف :

قـالـوا : غــزوتَ وَرُسْــلُ الله مابُعِثُــوا
لقتــل نفـس ولا جــاءوا لسفــك دَمِ

جــهْلٌ ، وتـَضْليـلُ أَحْلامٍ، وسَفْسَطَةٌ
فَتَـحـتَ بالـسيف بعد الفتح بالقلـم

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين فاستغفروه وتوبوا إليه واشكروه أن هدانا إلى دين السلام والحرية والعدل والمحبة والبر ، إنه أهل لكل حمد وثناء .

obeikandi.com

جزاء الجهاد فى سبيل الله

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، كتب النصر للمجاهدين الصابرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أشرف المجاهدين ، وأعز المنتصرين ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الذين رفعوا راية الجهاد خَفَّاقَةً فى العالمين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، إن الإسلام هو دين السلام ، جاء به رسول السلام ، من لدن الله السلام ، وإن تحية الإسلام هى السلام (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ، وإفشاء السلام من الأمور التى أمر بها الله تعالى ورسوله فى نصوص كثيرة.

ومن ثم نهى الرسول ﷺ عن تمنى لقاء العدو حيث يقول : « لاتمنوا لقاء العدو ، فإذا لقيتموه فاصبروا » (١).

ولكن كيف يتصرف المسلمون مع من يؤذونهم ، ويعتدون عليهم ، ويعملون على إخراجهم من ديارهم ؟ كيف يتصرف المسلمون مع من يحتلون أرضهم ، ويستعبدونهم، ويستولون على خيراتهم ؟ كيف يتصرف المسلمون مع من يهتكون أعراضهم ، ويغتصبون نساءهم ؟ كيف يتصرف المسلمون من يفتنون بعض المسلمين فى دينهم ؟ كيف يتصرف المسلمون مع من يصدون عن سبيل الله ، ويقفون فى طريق الدعوة الإسلامية ؟ كيف يتصرف المسلمون مع يضطهدونهم ويعادونهم لمجرد أنهم مسلمون ؟ بل كيف يتصرف المسلمون مع من يجازونهم بالإحسان سوءًا ، وبالمودة بغضاء وعداء ؟

---

(١) رواه مسلم .

أعتقد ـ أيها الإخوة ـ أن الإجابة واضحة ، وهى أن يقاتل المسلمون كل هؤلاء حتى يكفُّوا عن الأذَى ، ويستَتِبَّ الأمر ، ويعود الأمن ، وتعم الحرية ، وتُسترد الأرضُ ، وينتشر العدلُ ، وتشق الدعوة طريقها لهداية الضالين .

ليس الجهاد ـ إذن ـ شهوة لدى المسلمين ، أو قسوة فى قلوبهم ، أو أطماعاً تدفعهم فى سبيل تحقيقها إلى سَفْك الدماء ، والاستيلاء على أراضى غيرهم وأموالهم واستعبادهم، وإنما هو أمر لا يلجأ إليه المسلمون ـ كما أسلفت ـ إلا لرد العدوان والأذى ، ولتمهيد الطريق أمام الدعوة حتى يصل نورها إلى البشر جميعاً ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾ (١).

ذلك أن رسول السلام جاء بالهدى ودين الحق ، فدعا الناس إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ؛ تنفيذاً لأمر ربه إياه فى قوله تعالى : ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾(٢). ولم يسلك طريق إكراه الناس على الدخول فى دين الله ؛ تنفيذًا لتوجيهات ربه فى قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾(٣).وقوله: ﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (٤). فمنهم من هَدَى الله، ولبوا دعوته ، ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فاستمسَكُوا بما كان عليه آباؤهم من شرك وضلال ، ولم يكفهم ذلك ، بل اتهموه بأنه كاهن وساحر وشاعر ومجنون ، وبأن ما جاء به إنْ هو إلا أساطير الأولين اكتتبها فهى تُمْلَى عليه بُكْرَةً وأصيلا، ولم يكفهم ذلك ، بل أخذوا فى صَدِّ الناس عن سبيل الله ، وفتنة من هداهم الله تعالى إلى الإيمان ، وفى إلحاق شتى ضروب الإيذاء بالرسول ﷺ وبالمؤمنين ، فى قسوة ، وكبر، وعناد وتحد ، وحقد ، وغدر ، لا ميثل لها، والرسول ومن آمن معه يتحملون كل ذلك فى صبر واحتساب ؛ لعل الله تعالى يهديهم، فلم يزد المشركين

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ٢١٦ .

(٢) سورة النحل ـ من الآية : ١٢٥ .

(٣) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٥٦ .

(٤) سورة يونس ـ من الآية : ٩٩ .

ذلك الصبر إلا تمادياً فيما هم فيه ، فأذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، ثم إلى المدينة، ثم لحق بهم ﷺ فى المدينة عندما بيّت المشركون قتله ، إذ أمره ربه بالهجرة ؛ إحباطاً لمكيدتهم ، وانتقالاً بالدعوة إلى جو تتنفس فيه هواء نقياً منعشًا ، ومع ذلك استمر المشركون فى الكيد للمسلمين وظلمهم، فما كان من الله تعالى إلا أن أَذِنَ لرسوله ﷺ بالجهاد فى سبيله ، حيث قال تعالى :﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ (٣٩) الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ**﴾ (١).ثم فرضه على رسوله وعلى المؤمنين ، يقول تعالى : ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ**﴾(٢). ويقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ**﴾ (٣). ويقول ﷺ : « أُمِرْتُ أن أُقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، وحسابهم على الله » (٤)، بل أمره تعالى أن يحرض المؤمنين عليه ، وأن يصبروا فى المعركة ويثبتوا ، ويبذلوا أقصى جهدهم ، حتى يغلب الواحد منهم عشرة من المشركين ، حيث يقول تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ**﴾ (٥). ثم شجعهم على ذلك بأن وعدهم إحدى الحسنيين: النصر ، حيث يقول تعالى : ﴿**وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾(٦)،ويقول تعالى : ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾ (٧)، أو الاستشهاد ، حيث تصعد أرواح الشهداء إلى ربها لتقيم فى جنة

---

(١) سورة الحج ـ الآية : ٣٩ وصدر الآية : ٤٠ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ٢١٦ .

(٣) سورة التوبة ـ من الآية : ٧٣ .

(٤) متفق عليه .

(٥)سورة الأنفال : ٦٥.

(٦) سورة الروم ـ من الآية : ٤٧ .

(٧) سورة الحج ـ من الآية : ٤٠ .

النعيم ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ﴾ (٢)، كما شجعهم على الجهاد بإمدادهم بالملائكة المُسَوِّمين ، مثلما حدث فى غزوة بدر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٣)

ولا يُعَدُّ القتال جهادًا فى سبيل الله تعالى إلا إذا كان لرد العدوان ، ولإعلاء كلمة الله تعالى ، لا لتحصيل مغنم ، أو إذاعة صيت ، أو إظهار شجاعة ،أو الاستيلاء على الحكم ظلما أو غير ذلك من الأهداف الدنيوية التى تشوه صورة الجهاد ، وتبعده عن سبيل الله ، جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : الرجل يُقاتل للمَغنَم ، والرجل يقاتل للذِّكرِ ، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن فى سبيل الله ؟ قال : من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله » (٤).

هذا ، وأعلى المجاهدين منزلة مَنْ جَاهَدَ بنفسه وماله فى سبيل الله ، مستجيباً لأمره تعالى إذ يقول : ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥).فبذلُ المال دليل على التضحية ؛ لأنه بذلُ شيءٍ مُحَبَّبٍ إلى النفس تحرص عليه أكثر من حرصها على بنيها ، وأما بَذْلُ النفسِ فهو أقصى غاية الجود ، كما يقول الشاعر :

---

(١) سورة التوبة : ١١١ .

(٢) سورة التوبة ـ من الآية : ٥٢ .

(٣) سورة الأنفال : ٩ .

(٤) متفق عليه .

(٥) سورة التوبة : ٤١ .

يجود بالنفس إن ضَنَّ الجبانُ بها   والجودُ بالنفسِ أقْصَى غايةِ الجود

يليه فى المنزلة من يجاهد بنفسه فقط، ومن لا يقدر على حمل السلاح وملاقاة العدو، فيجاهد بماله فقط ، حيث يساعد المال على تجهيز الغزاة ومدهم بالسلاح والذخيرة والغذاء ، وتمكينهم من الاستمرار فى ملاقاة الأعداء حتى نهاية المعارك .

ثم يلى هذا فى الدرجة من عجز جسميًا وماليًا عن الجهاد ، فخلف الغزاة فى رعاية أسرهم ، يمدهم بما يملك من مال ونصح وتوجيه ، ويقضى لهم ما يقدر عليه من مصالحهم ، حتى يعوضهم بعض ما يقوم به مَن خرجوا للقتال من أهلهم ، ويهون عليهم غيابهم عنهم ، قال ﷺ : « من جَهَّزَ غازياً فى سبيل الله فقد غَزَا ، ومن خلف غازيًا فى سبيل الله بخير فقد غزا » (١).

أما من قعد عن الجهاد بنفسه وماله وجهده ، وهو قادر على ذلك أو على بعضه ـ فقد خَالَفَ أمر ربه ، وقعد عن إعلاء كلمة الله ، وحرم نفسه ثمرات الجهاد ، ومات على شُعبَة من النفاق ، كما يقول ﷺ : « من مَاتَ ولم يغز ، ولم يحدث نفسه بِغَزوٍ مات على شعُبْة من النفاق » (٢)، وأصابه الله بقارعة يوم القيامة ، قال ﷺ : « من لم يَغْزُ ، أو يجهز غازياً ، أو يخلف غازياً فى أهله بخير أصابه الله بقارعة يوم القيامة » (٣).

هذا ، وقد سن الإسلام للقتال آدابًا سامية ، سبق بها الغربيين الذى يزعمون أنهم ابتكروها ، وينكرون أنهم عنه أخذوها ، ذلك أنه نهى عن قتل من لا يقدر على حمل السلاح ومقاتلة المسلمين من نساء الأعداء وأطفالهم وشيوخهم ومرضاهم ورهبانهم، عدالة منه ورحمة ، كما نهى عن التمثيل بالقتلى ، وعن قطع الأشجار ، وغير ذلك مما يدل على الضعة وحطَّة النفوس .

أيها المسلمون، تعالوا بنا نُلْقِ نظرة على معارك الرسول ﷺومن خلفه فى الجهاد من

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) رواه أبو داود .

المؤمنين الصادقين ؛ لنرى أنها كانت تتوافر فيها كل المقومات الواجب توافرها فى أنجح المعارك ؛ إذ كان الرسول ﷺ وصحبه يعدون للمعركة ويخططون لها إذا لم تكن مباغتة لهم ، فيستشير أصحابه ، ويجمع عن طريق مخابراته أقصى ما يستطيع من المعلومات عن قوة العدو ، وعدده ، وخط سيره ، وروحه المعنوية ، وغير ذلك مما يفيد فى رسم خطة حربية سليمة تؤدى إلى كسب المعارك بأقل الخسائر وبأسرع ما يمكن ، فإذا بدأت المعركة رَتَّبَ الجيشَ ، وأعطى إشارة البدء إن لم تكن المبادأة من العدو ، وأشرف بنفسه على سير المعركة من عريشه الذى يشبه ما نسميه هذه الأيام بغرفة العمليات الحربية ؛ إذ يحث الجيوش على الصبر والثبات والاستعانة بالله ؛ تنفيذاً لأوامره تعالى فى قوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾[1].

كما كان يحذرهم من الفرار من المعركة وتولى الأدبار ، إلا إذا كان ذلك لحيلة حربية، أو للانضمام إلى جزء آخر من الجيش تقتضيه إدارة المعركة : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥) وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾[2].

كما كان يدعو الله تعالى أن يحقق له ما وعده من نصر ، إذ قال ﷺ فى غزوة بدر: «اللهم هذه قريشٌ قد أقبلتْ بخَيْلِهَا وخُيَلَائها وفخرها تُحَادُّكَ، وتُكَذِّبُ رسولك ، اللهم فَنَصرَكَ الذى وعَدتَنِي ، اللهم أَحِنْهُم الغداةَ ».

فإذا ما جَنَحَ العدوُّ للسلم صادقاً استجاب الرسول ﷺ وهَادَنَ العدو ، حتى تتم المعاهدة على إيقاف القتال ؛ تنفيذاً لأمر ربه تعالى : ﴿**وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**﴾[3]. أمّا إذا أحس منهم خيانة للعهد

---

(١) سورة الأنفال : ٤٥ .

(٢) سورة الأنفال : ١٥ و ١٦ .

(٣) سورة الأنفال : ٦١ .

بأمارات ظاهرة فيقول لهم : نبذتُ إليكم عهدكم ، وأنا مُقاتلكم ، قال تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ** ﴾ (١).

أيها المسلمون ، لما كانت منزلة الجهاد عظيمة كانت جوائزه كذلك عظيمة ، حتى تجيء متكافئة مع تضحيات المجاهدين :

* الجهاد هو الطريق إلى النصر أو الاستشهاد ، وما أسعد المنتصر بنصره! وما أسعد الشهيد بشهادته ! إنها سبيله إلى الجنة : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ** ﴾ (٢). وقال ﷺ : « ما أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيدُ ، يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ، فيُقتَلَ عشر مرات ؛ لما يرى من الكرامة » وفي رواية : « لما يرى من فضل الشهادة » (٣).

* الجهاد هو سبيل نشر الدعوة الإسلامية في كل مكان حين يتعرض الأعداء لنشرها: ﴿ **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ** ﴾(٤).

* وهو أفضل الأعمال ، فعن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله ، أيُّ العَمَلِ أفضل ؟ قال : « الإيمان بالله ، والجهاد في سبيله» (٥).

* وهو تجارة مع الله تنجي من العذاب الأليم ، وتكفر الذنوب ، وتدخل الجنة : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (١٠) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (١١) يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**

---

(١) سورة الأنفال : ٥٨ .

(٢) سورة التوبة : من الآية : ١١١ .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة الأنفال ـ من الآية : ٣٩ .

(٥) متفق عليه .

﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [1]. وقال ﷺ : « يغفر للشهيد كل شىء إلاَّ الدَّيْن » [2].

● وهو سبيل المسلمين إلى المحافظة على أوطانهم وديارهم ، وخيراتهم ، وعزتهم، وحريتهم ، وكرامتهم ، ودمائهم ، وأعراضهم ، وإلى رهبة أعدائهم لهم : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [3].

● بل هو أفضل من الدنيا وما فيها ، قال ﷺ : « الرَّوْحَةُ والغَدوَةُ فى سبيل الله أفضلُ من الدنيا وما فيها » [4].

أيها المسلمون ، هذا هو الجهاد فى سبيل الله ، كما جاء فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وهو باق إلى يوم القيامة ، حيث تتوافر دواعيه من رد العدوان ، ورفع راية الدعوة فى كل مكان ، فإذا دعاكم داعيه، فأسرعوا إلى تلبية النداء ، ولا تقعدوا أو تتباطئوا عنه ؛ لتنالوا ثواب المجاهدين ، وتنجوا من عقاب القاعدين بغير عذر ، حتى تبقى كلمة الله هى العليا ، وتكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . قال ﷺ : « لا هِجْرَةَ بعد الفتح ، ولكن جهادٌ ونية ... » [5].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) سورة الصف : ١٠ ـ ١٢ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة المنافقون ـ من الآية : ٨ .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

أشهر القَتَلة فى التاريخ

الحمد لله الذى شَرَعَ القِصَاصَ ، وجعل فيه حياة للعالمين ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له ، خير الحافظين ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، إمام المجاهدين ، ورائد المصلحين ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه مادامت السمٰوات والأرض .

أما بعد ، فيأيها المؤمنون ، ذكرتُ فى خطبة سابقة قصة أول جريمة قتل فى تاريخ البشرية ، ثم ذكرت فى خطبة تالية لها ما شرعه الله تعالى من تحريم قتل النفس بغير حق ، ومن تشريع للقصاص ، ثم أتبعتها بخطبة عن جزاء الجهاد فى سبيل الله .

ولعله من المفيد أن أتحدث الآن عن أشهر القتلة فى التاريخ ، وعن الدوافع التى دفعتهم للقتل ، والأهداف التى هدفوا إليها من وراء جريمتهم هذه النكراء .

استعرضت أحداث التاريخ ، وتدبرت آيات القرآن الكريم ، وأنا بصدد البحث عن أشهر القَتَلَةِ فى التاريخ ، فاستبان لى أنهم هم كُفَّار بنى إسرائيل ، ثم بحثت عن دوافع ارتكابهم هذه الجريمة : أكانت الدفاع عن النفس ، أو الدين ، أو المال ، أو الأولاد ، أو أى حق من الحقوق ، أم كانت الرغبة فى البغى والعدوان والتعطش إلى سفك الدماء واتباع الشيطان ؟

صدقونى ـ أيها المسلمون ـ إذا قلت لكم : إن بحثى قد كشف لى أنهم قتلوا من قتلوهم جميعاً بغير حق ، وأن يدهم امتدت بالقتل إلى خير البشر جميعاً ، أنبياء الله تعالى ، كما امتدت إلى غيرهم من الخلق فُرادَى وأُمَماً !!

يقول الله جل شأنه عن كُفرهم بآيات الله ، وتكذيبهم بعض الأنبياء وقتل بعضهم الآخر بغير حق، عندما دعوهم إلى صراط الله المستقيم، وترك ماتهواه

أنفسهم : ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١).

ويقول تعالى موبخا إياهم:

﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٢).

ويقول تعالى مبيناً ما حاق بهم بسبب قتلهم الأنبياء وعصيانهم وعدوانهم ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (٣).

كما يقول جل شأنه فى تبشيرهم بالعذاب الأليم جزاء جريمتهم هذه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ (٤)

أجل ، إن هؤلاء السفاحين من بنى إسرائيل لم يكتفوا بالكفر وتكذيب الرسل وعصيانهم ، بل تجرءوا عليهم ، وامتدت إليهم أيديهم الدنسة القذرة تغتالهم ، ولا ذنب لهؤلاء الأنبياء والرسل والآمرين بالقسط إلا أنهم دعوهم إلى صراط الله المستقيم ، وإلى ترك المآثم والذنوب وهوى نفوسهم ، واستنكروا منهم إقامتهم على

---

(١) سورة البقرة : ٦١ .
(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ٨٧ .
(٣) سورة آل عمران : ١١٢ .
(٤) سورة آل عمران : ٢١ .

المنكر وعدم نهى بعضهم بعضاً عنه : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (١).

لقد قتلوا زكريا وابنه يحيى عليهما السلام ، كما كذبوا عيسى عليه السلام واتهموه بالسحر : ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ (٢).

ولم يقف كيدهم له عند هذا الحد ، بل دبروا قتله عليه السلام ، ولكن الله نجاه من كيدهم ومكرهم ، ورفعه إليه ، فافتروا كذباً أنهم قتلوه ، وأشاعوا ذلك ، قال تعالى معددًا أسباب استحقاقهم اللعنة والإذلال ، مبينًا أن من هذه الأسباب تلك الفرية الشنيعة وما افتروه على أمه من البهتان العظيم : ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٥٥) وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣).

أما موسى وهارون عليهما السلام فقصتهما معهم طويلة : أليسوا هم الذين أضلهم السامرى بعدما ذهب موسى إلى الطور لمناجاة ربه ، فجعلهم يعبدون العجل الذى صنعه لهم من الحلى ، ثم أعرضوا عن نصح هارون إياهم بأنَّ ربهم الرحمٰن وبأن

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ و ٧٩ .

(٢) سورة الصف : ٦ .

(٣) سورة النساء : ١٥٥ ـ ١٥٨ .

عبادتهم العجل شِرْك وضلال مبين ؛ لينقذهم من فتنتهم ، كما فى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾(١)؟!

أليسوا هم الذين تبجحوا وطلبوا من موسى عليه السلام أن يُريهم الله جهرةً حتى يؤمنوا ، وفى ذلك قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ (٢)؟!

ثم أليسوا هم الذين جادلوا موسى فأكثروا الجدال ، وتشدَّدوا فشدَّد الله عليهم ، وتبجحوا وقالوا له : أتتخذنا هزوًا ؟ وذلك عندما قال لهم : إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ؛ ليضربوا الميت ببعضها حتى يحييه الله تعالى ، ويخبر عن قاتله الحقيقى بعد أن ضاع الحق بينهم ، وأصبح كل فريق منهم يدفع تهمة القتل عن نفسه وينسبها إلى غيره؟

ولو أنهم أحضروا أية بقرة لَقُبِلَتْ منهم ، ولكنهم ـ بطبيعتهم المعوجة ـ جادلوه ، فسألوا عن صفتها ، فقال لهم : إنها وسط بين الكبيرة والصغيرة ، فسألوا عن لونها ، فقال لهم : صفراء فاقع لونها ، فعاودوا الإلحاح ، وسألوا عن ماهيتها بعد أن تشابه البقر عليهم ، فذكر لهم صفتها ، فقالوا : الآن جئت بالحق، وفى ذلك جاء قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ

---

(٣) سورة طه : الآيتان : ٩٠ و ٩١ .

(٤) سورة البقرة : ٥٥ .

obeikandl.com

اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١) وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[١].

جدل ممقوت ممجوج ، يتوارثونه صاغراً عن صاغر حتى الآن !! ألم تَرَوْا كيف تستغرق مفاوضاتهم مع الفلسطينيين عشرات الجلسات ومئات الساعات من أجل استرداد أصحاب الأرض أرضهم التى احتلوها فوق ما احتلوه من قبل وجعلوا منه دولة جمعت حثالة البشر من شذاذ الآفاق ؟!

جلسة تعقبها جلسة فى لف ودوران ، ولؤم وخبث ، وخداع ومراوغة ، وغدر وخيانة وقسوة ، وألوان من خسة الطبع لم يعرف لها تاريخ المفاوضات مثيلا من قبل!!

كل ذلك فى قضية تتلخص فى جملة واحدة يقولها أصحاب الأرض المغتصبة : ردوا إلينا أرضنا التى استوليتم عليها ظُلْماً وعدواناً .

أجل ، إن القضية واضحة وضوح الشمس فى رائعة النهار ، ولكنهم اليهود الذين يعرفون الحق دائماً كما يعرفون أبناءهم، ولكن فريقاً منهم يكتمون الحق وهم يعلمون !!

أيها المسلمون ، لوا ستطردتُ فى الحديث عن أمر بنى إسرائيل مع أنبياء الله ورسله قبل سيدنا محمد ﷺ لطال الحديث وطال ، فحسبى منه هذا القدر ، وتعالوا معى ننظر كيف تعامَلُوا مع خاتم الرسل ﷺ :

لقد قرأوا صِفَتَهُ فى التوراة ، وبشَارَة عيسى عليه السلام به فى الإنجيل ، وكانوا قبل مجيئه ﷺ يستنصرون به على أعدائهم ، ويقولون : اللهم انصرنا بالنبى المبعوث آخر الزمان الذى نجد نَعْتَهُ فى التوراة ، فلما بعثه الله تعالى عرفوه حق المعرفة ،

---

(١) سورة البقرة : ٦٧ـ٧٣.

ولكنهم كفروا به وبربه وبما أُنزل عليه ؛ لأن الله تعالى لم يختره من بينهم ، استمعوا معى إلى قول الحق تبارك وتعالى فى ذلك : ﴿**ولَمَّا جاءَهُمْ كتابٌ مِّنْ عند اللَّه مُصدِّقٌ لِّمَا معَهُمْ وكَانُوا من قَبْلُ يسْتَفْتحُونَ علَى الَّذين كفرُوا فلَمَّا جاءَهُم مَّا عرفُوا كفرُوا به فلَعْنَةُ اللَّه علَى الْكَافرين**﴾ (١).

وعندما استقر الرسول ﷺ فى المدينة ، وأخذ ينظم دولة الإسلام وجد فيها بجانب الأوسِ والخزرج وغيرهما من القبائل العربية - قبائل يهودية أشهرهم بنو قَيْنُقَاع ، وبنو النَّضير ، وبنو قُرَيظَة ، وكان وجود هؤلاء اليهود بالمدينة هو سبب اشتعال الفِتَنِ بين الأوس والخزرَج ، فأحيانًا يُحرضون هذه على تلك ، وأحياناً يحرضون تلك على هذه ، حيث يدورون حول مصلحتهم ، متوسلين إلى غاياتهم بأدْنَأ الوسائل وأخسها وأحقرها، حتى تتواصل الحروب بين هاتين القبيلتين تستنزف دماءهما وقواهما وأموالهما ووقتهما ، فيكون لهما الفقر والضعف وفقدان الأمن والاستقرار ، ويكون لليهود المال والقوة وراحة البال !!

رأى الرسول ﷺ المدينة على هذا الوضع ، ورأى أن اليهود رفضوا الإسلام ، ولما لم يكن من أساليب دعوته إكْرَاهُهُمْ عليه تَرَكَهُم ودينهم ، غير أنهم ما داموا يعيشون مع المسلمين فى مجتمع واحد فلابُدَّ أن يتعايشوا جميعا - مسلمين وأهل كتاب - فى سلم وأمان ، ومن ثَمَّ عقد معهم معاهدة تقرر أن مَنْ يتبع المسلمين من يهود المدينة فإن له حق النصرة من المؤمنين المسلمين من غير ظلم ، أما من يظلم المسلمين فإن عليه أن يتحمل إثْمَ فعله هو وأهله جزاء تركهم إياه يبغى الفساد فى الأرض بغير الحق ، على أن تكون بيوت اليهود فى النصرة والمؤاخذة على السواء .

ولقاء هذه النصرة من المؤمنين المسلمين لليهود يكون على اليهود أن يعاونوا المسلمين فى نفقات الجهاد ما داموا فى حالة حرب مع أعدائهم .

ونفذ المسلمون هذه المعاهدة بكل بنودها ، ولكن أولئك اليهود فى المدينة وما

---

(١) سورة البقرة : ٨٩ .

حولها خرقوها ؛ إذْ ظاهَرُوا أعداء الإسلام على النبى ﷺ والمسلمين ، فشككوا الناس فى صدق نبوته ، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ؛ ليصرفوا الناس عنه ، ويؤلبوهم عليه ، وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى : **﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلاَّ الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾** (١).

وما كان للرسول ﷺ ـ إزاء نقضهم الميثاق ، وخيانتهم العهد ـ إلا أن ينبذ إليهم عهدهم ، فحارب بنى قَيْنُقَاع عقيب غَزْوَة بَدْرٍ ، وبنى النَّضِير عقيب غزوة أُحُد ، وبنى قُرَيظَةَ عقيب غزوة الخندق ، وأهل خَيبَرَ عقيب صلح الحُدَيْبِيَة ، منفذاً ما أمره به الله تعالى فى قوله : **﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾** (٢).

وقانا الله شرهم ، وأعاننا عليهم كما أعان رسوله ﷺ ، إنه نِعْمَ المولى ونعم النصِّير.

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة البقرة :٩٩ ـ ١٠١ .
(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .

أشهَرُ ناقِضى العهود

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾[1]، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى كان أَوفَى الناس عهدًا ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه إلى يوم يبعثون .

أما بعد ـ أيها المسلمون ـ فتعالوا معى نفتش صفحات التاريخ بحثاً عن أشهر من نقضوا العهود ، ومازلوا ينقضونها حتى الآن .

إن أى باحث عن ذلك لن يجد قوماً أشهر من اليهود نقضاً للعهود والمواثيق !

إنهم قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا طوال إقامتهم بالمدينة لايفتئون يوقعون الفتن بين قَبيلَتَىِ الأوْس والخزرج ، يحرضون هذه على تلك ، وتلك على هذه، ثم لما جاء الرسول ﷺ لم يسلم من غدرهم ونقضهم العهود ، فما كان من الله تعالى إلا أن أمره بنبذ عهد من يخاف خيانته العهد ، إذ يقول تعالى : ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[2]، فنفذ أمر ربه ، ونبذ إليهم عهدهم، وحاربهم حتى نصره الله تعالى عليهم .

ومنذ ذلك الوقت حتى الآن لم يبرءوا من هذا الداء العُضَال ، فهاهم أولاء مستمرون فى نقضهم المواثيق مع المسلمين ، إذ كيف يتبرءون مما جُبِلوا عليه من غدر وخيانة ، ولؤم وخبث ، وخداع ومراوغة ، ونقض للعهود والمواثيق ، وإحداث

---

(١) سورة الإسراء ـ آخر الآية : ٣٤ .

(٢) سورة الأنفال : ٥٨ .

obeikandl.com

للفتن فى كل البلاد ، حتى استطاعوا ـ بمعاونة الدول الاستعمارية ـ أن يغتصبوا فلسطين ، منتهزين فُرقة المسلمين وضعفهم واحتلال كثير من أراضيهم ، لقد غرستهم الدول الاستعمارية المعادية للإسلام فى قلب البلاد العربية متعمدة لتحقيق أهدافها ، وفى ذلك يقول رئيس وزراء بريطانيا « كامبل بينزمان » فى تقرير سرى كتبه عام ١٩٠٢ م عن شرقنا العربى : « إن هناك قوماً يسيطرون على أرض واسعة تزخر بالخيرات الظاهرة والمغمورة ، وتسيطر على ملتقى طرق العالم ، وهى موطن الحضارات الإنسانية والأديان ، ويجمع هؤلاء القوم ديانة واحدة ، وتاريخ واحد ، وآمال واحدة ، وليس هناك أى حاجز يحجز القوم عن اتصال بعضهم ببعض ، ولو حدث واتحدت هذه الأمة فى دولة واحدة فى يوم من الأيام لتحكمت فى مصير العالم، ولعزلت أوربا عنه ؛ ولذلك يجب غرس جسم غريب فى قلب هذه الأمة يكون عازلا من التقاء جناحيها ، ويشتت قواها فى حروب مستمرة ، ورأس جِسْرٍ ينفذ إليه الغرب لتحقيق مطامعه » .

هذا ما قاله رئيس وزراء بريطانيا عام ١٩٠٢ م أى قبل اكتشاف البترول عصب الحياة ، ترى ماذا كان سيقوله بعد اكتشاف البترول ووجود ثلثى احتياطى العالم منه فى باطن أرض هؤلاء القوم ؟ !

وهكذا غرست الدول الاستعمارية هذا الجسم السرطانى الغريب ؛ لتحقيق أهدافها ومطامعها فى بلادنا العربية ، لقد اغتصبوا الأرض ، وأقاموا فيها المذابح ، وخربوا العمران ، وهدموا البيوت فوق أهلها ، وعذبوهم ، وكسروا عظامهم ، واعتدوا على أعراضهم ، وسجنوهم ، وشردوهم ، وعاثوا فى الأرض فسادًا منذ احتلوها حتى الآن ، وطغوا وبغوا ، وتجردوا من كل المشاعر الإنسانية !!

وهاهم أولاء بجيشهم المنظم المسلح بأحدث الأسلحة وأشدها فتكًا ـ يحاربون أطفال الانتفاضة الذين لاسلاح لهم سوى الحجارة ، فى دفاعهم عن أرضهم وكيانهم وحقهم الطبيعى فى الحياة الكريمة التى كفلتها شتى الديانات والشرائع والقوانين !!

أى طغيان أشنع من معركة بين طرفين غير متكافئين بشتى المقاييس والمعايير ، بين وحوش البرارى وأطفال صغار مستضعفين ؟ !

وتصدر هيئة الأمم ومجلس الأمن عشرات القرارات بإدانة هذه المذابح ، فتلقى بها إسرائيل فى وجهيهما ، بل تدوسها بأقدامها ، لماذا ؟ لأن هاتين الهيئتين تسيطر عليهما أمريكا ، حيث تستخدم حق الاعتراض (الفيتو) إذا أصدرتا أى قرار لا ترضى عنه ربيبتها المدللة إسرائيل !!

هؤلاء هم اليهود منذ كانوا حتى اليوم ، وسيظلون كذلك إلى أن يريح الله عباده منهم : أشْهَرَ القَتَلة منذ فجر التاريخ ، والمفسدين فى الأرض ، والموقدين نيران الفتن بين الناس ، فأى فتننة تقوم ففتش عن اليهود إذا أعيتك معرفة سببها ، يؤلبون بعض الناس ضد بعض ، غايتهم نشر الفساد والجرائم والانحلال والظلم ، وإشعال نيران الحروب بين الناس ، وإراقة الدماء ، وامتصاص الأموال ، لا تغادرهم طبائعهم الخسيسة ، وأخلاقهم المنحدرة ، وأطماعهم التى لا حد لها !!

وليس سلوكهم ذلك فى معاملتهم مع غيرهم بغريب ، ألم يجترئوا على الله تعالى ، ويقولون : إن الله فقير ونحن أغنياء ؟ ألم يجترئوا على رسله ويكذبوهم ويقتلوهم ؟

لقد سجل الله تعالى عليهم ذلك فى قوله : ﴿ **قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ (١) .

أما نحن ـ العرب المسلمين ـ فقد تمزقت وحدتنا ، وتفرقت كلمتنا ، وسقطت فى أعين أعدائنا هيبتنا ، وصار بعضنا يصارع الآخر ؛ طمعاً فيما فى يده ، أو لأسباب وهمية أو شخصية ، وبتحريض أعدائنا بعضنا على البعض الآخر ، صرنا نتحارب : فنفنى أموالنا ، وندمر أسلحتنا ، ويزهق بعضنا أرواح بعض ، ويحظى بالغنائم الأعداء الذين يوفرون أسلحتهم ودماءهم وأموالهم التى كانوا سيبذلونها لو حاربونا، بل تربو أموالهم وتتضاعف ببيعهم لنا أسلحة بدل التى أكلتها الحروب ، وبتقاضيهم حق حماية بعضنا من بعض ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم !!

انظر إلى خريطة البلاد الإسلامية فى شتى نواحى الأرض . فماذا تجد ؟ تجد

---

(١) سورة آل عمران : ١٨١ .

المسلمين المسالمين مقهورين مضطهدين معذبين يُحَارَبون ظلماً وعدوانا ، فى الهند ، فى بورما ، فى بلغاريا ، فى ... فى ... ولا ذنب لهم إلا أن قالوا ربنا الله !!

أما مأساة المآسى فهى مأساة البوسنة والهرسك ، تلك الدولة التى لم تكد هيئة الأمم تعترف بها حتى قام الصرب والكروات يحاربونها لانتزاع أراضيها وضمها إلى أراضيهما فى وحشية قذرة لم يسبق لها نظير فى التاريخ : سجن دون طعام وشراب حتى الموت ، وتعذيب بأساليب قذرة ، واعتداء على الأعراض ، واغتصاب للفتيات والنساء والأطفال ، وتشريد وإبادة ، وشتى ألوان الجرائم التى تقشعر من هولها الأبدان ، ويستغيث الوجدان ، وتشمئز النفوس ، ويشيب الولدان !!

كل هذا والمسلمون الذين يمثلون حوالى خمس سكان الأرض ، وبيدهم ثُلُثا احتياطى بترول العالم ـ لايستطيعون إلا الاحتجاج والشجب والاستنكار واللجوء إلى هيئة الأمم ومجلس الأمن الواقعين تحت سيطرة أمريكا ، يأتمران بأمرها ، ويمضيان أو يوقفان ما تريد !!

حتى السلاح السلبى ، سلاح مقاطعة الصرب والكروات ومن يؤيدونهم سياسيا واقتصاديا ، حتى هذا السلاح لم يستخدمه المسلمون إلى الآن !!

موقف عجيب مُزرٍ غاية الإزراء ، يأباه الله تعالى ورسوله وصالحو المؤمنين !!

أيها المسلمون ، ماذا تنتظرون ؟ لا تنتظروا من كل الدول المعادية للإسلام خيرًا ونُصرة، إنها تزعم أنها تحمى حقوق الإنسان فى الوقت الذى تهدرها فيه فى غير أراضيها وأراضى أصدقائها !!

إنه لن يحارب معارككم إلا أنتم ، فهيا انبذوا خلافاتكم وأحقادكم وأطماعكم ، وصَفُّوا من الشوائب قلوبكم ، ووحِّدوا كلمتكم وصفوفكم ، وأنتجوا غذاءكم من أرضكم ، وسلاحكم من مصانعكم ، وانزعوا هذا الجسم السرطانى الذى زرعه الاستعمار فى أراضيكم ، وإذْ ذاك تستقر هيبتكم فى قلوب أعدائكم ، فلا يجترئون عليكم ، ولا يستولون على أموالكم، ولا يسفكون دماءكم ، كما يعجزون عن تحريض

Obeikandi.com

بعضكم على بعض ، وإيقاع الفتن والعداوة والبغضاء بينكم ، وسيروا على منهج ديننا الصحيح ، واستمدوا من الله تعالى ـ لا من أية دولة مهما قويت وتظاهرت بصداقتكم ـ العون ، إنه نعم المولى ونعم النصير .

وإذ ذاك يمدكم الله بالعون والنصر والتأييد ، قال تعالى : **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾** (١). وقال تعالى : **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾** (٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فسلوه من فضله يعطكم .

---

(١) سورة محمد : ٧ .

(١) سورة الحج ـ من الآية : ٤٠ .

تحويل القبلة

الحمد لله رب العالمين . الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلماتِ و النورَ ثم الذين كفروا بربهم يَعدِلون . الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا . الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمدُ فى الآخرة وهو الحكيم الخبير . الحمد لله فاطرِ السموات والأرض جاعلِ الملائكة رسلا أولى أجنحة مثنى وثُلاثَ ورُباعَ يزيد فى الخلق مايشاء إن الله على كل شىء قدير .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، ربُّنا الذى أعطى كل شىءٍ خلْقَه ثم هدى ، وأشهد أنْ محمدًا عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ، فبلّغ الرسالة ، وأدّى الأمانة ، ونصح للأمة ، وكشف الغمَّة ، وجاهد فى الله حق جهاده ، حتى تركنا على المحجة البيضاء ، ليلُها كنهارها ، لا يزيغ عنها إلا هالك ـ اللهم صل وسلم وبارك عليه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه ودعا بدعوته إلى يوم الدين .

أما بعد فيأيها الإخوة المسلمون ، إن رسولنا ﷺ كان هو وأصحابه بعد أن شرعت الصلاة ليلة الإسراء و المعراج يستقبلون فى صلاتهم القبلتين بِجَعْل الكعبة بينهم وبين بيت المقدس ، أسند حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر القرطبى حديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يصلى وهو بمكة نحو بيت المقدس والكعبة بين يديه حتى خرج من مكةَ مهاجرًا إلى المدينة ، وتوجه إلى بيت المقدس بعد أن كان يتحرى القبلتين بمكة قبل الهجرة » .

أجل ، لم يكن أمام رسول الله ﷺ ومن معه من المسلمين ـ وهم فى دار هجرتهم ليس لهم فى الدنيا دار إسلام سواها ـ إلا أن يتجهوا إلى بيت المقدس .

ولكنه ﷺ كان دائم الحنين إلى مكة مولده ومبعثه حنينًا عبر عنه وهو يفارقها مهاجرًا إلى المدينة بقوله : والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ، وإنك لأحب أرض الله إليّ ، ولولا أن قومك أخرجونى منك ما خرجت ، كما كان دائم الحنين إلى الكعبة بيت الله الحرام حيث مقام إبراهيم وحجر إسماعيل ، وظل يقلب وجهه فى السماء ، متمنيا على الله تعالى أن يتم عليه نعمته ، ويحقق أمنيته ، فيوليه القبلة التى يرضاها له ولأمته ، وهى الكعبة . ظل عليه الصلاة والسلام على تلك الحال حتى يوم الثلاثاء منتصف شعبان من السنة الثانية للهجرة ، حيث استجاب الله تعالى دعاءه ، وحقق أمنيته ، وأنزل عليه آية الاستجابة: ﴿ **قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ** ﴾ .[1]

فى الصحيحين من عدة طرق عن البراء بن عازب ـ رضى الله عنه ـ قال: «لقد صلينا بعد قدوم النبى ﷺ ، إلى بيت المقدس ستةَ عشر شهرًا أو سبعةَ عشر شهراً ، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يُوَجَّه إلى الكعبة ، فلما وُجِّه إلى الكعبة جاءه الوحى ونحن ركوع ، وقد صلى بنا من العصر ركعتين ، فاستدار مستقبلا المسجد الحرام ، فأتمها وصليناها خلفه فى ذلك المسجد ، مسجد القبلتين ، فخرج رجل ممن صلى معه إلى القبلتين ، فمرّ على أهل بيت هناك ، فأخبرهم بأنه قد كان هناك وحْىٌ نزل على النبى ﷺ ، وكان قد صلى ركعتين ، فاستدار وأتم الصلاة إلى المسجد الحرام » .

وهكذا تم تحويل القبلة ، ولما علم كل المسلمين الصادقين ذلك امتثلوا لأمر ربهم ، أما اليهود والمنافقون فقد انكشف أمرهم ، وسقطت أقنعتهم ، وتعرَّتْ طَوِيَّتُهم ؛ إذ انتهزوا هذا التحوُّل فرصة للتشكيك فى الإسلام ورسوله وكتابه ؛ ليصرفوا الناس عنه ، وأخذوا يتساءلون : ما الذى حوّل المسلمين من القبلة التى كانوا يصلون إليها ، وهى بيت المقدس قبلة المرسلين من قبلهم إلى الكعبة ؟ وأتى رسولَ الله ﷺ نَفَرٌ من اليهود يناقشونه فى ذلك إذ قالوا : يا محمد ، ماولاّك عن قبلتك التى كنتَ عليها وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ؟ ارجع إلى قبلتك

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤ .

التى كنتَ عليها نتبعك ونصدقك ، فأنزل الله تعالى : ﴿ **سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلاَّهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** ﴾ (١) .

وبذلك يُخرسُ الله ألسنتهم ، ويقضى على تشكيكهم الناس فى الإسلام ورسوله وعباداته ، ويبين لهم أن الأرض كلها لله مَشرِقَها ومَغرِبَها ، وحيث ولّى المسلم وجهه فهناك وجه الله الذى يهدى عباده إلى صراطه المستقيم ، ولم يدْر هؤلاء المنافقون أن الله تعالى ماترك رسوله ﷺ يتجه إلى بيت المقدس ، ثم يصرفه عنه بالتوجه إلى الكعبة إلا ليختبر إيمان الناس فيعرف من يصدق الرسول ممن يشكك فى الدين ويرجع إلى الكفر منقلبًا على عقبيه ، استمع إليه تعالى إذ يبين ذلك فيقول: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** ﴾ (٢) .

ويؤكد الله تعالى لرسوله أن هؤلاء اليهود يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، ويعرفون أنه رسول الله حقا ، إذ طالما استنصروا به على أعدائهم حين كانوا يدعون فيقولون : اللهم انصرنا بالنبى المبعوث آخر الزمان الذى نجد نَعْتَه فى التوراة ، ولكن فريقًا منهم يكتمون الحق وهم يعلمون ، كما يخبره بأنه لا أمل فى اهتدائهم إلى الإسلام مهما جاءهم به من آيات بيِّنات ، وحجج واضحات ، كما يحذره من اتباع أهوائهم ، فيقول تعالى له : ﴿ **وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ** ﴾(٣) .

ويريد المؤمنون الذين اتبعوا الرسول وصدقوه وتحولوا إلى الكعبة فى صلاتهم ، يريدون أن يطمئنوا على صلاة من لحق بربه منهم قبل هذا التحوُّل ، فيسألونه ﷺ

(١) سورة البقرة : ١٤٢ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ١٤٣ .

(٣) سورة البقرة : ١٤٥ .

عمن مات وهو يصلى إلى بيت المقدس ، فيُنزِل اللهُ تعالى عليه قولَه: ﴿ **وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (١).

ليطمئنهم إلى أن صلاة هؤلاء صحيحة مقبولة ، وأنهم مثابون عليها ، فما كان الله ليضيعها وهو الرءوف الرحيم الذى لا يضيع صالح الأعمال بل يثيب عليها الثواب الجزيل .

قال رسول الله ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح ، أعدّ الله له فى الجنة نُزُلاً كلما غدا أو راح » (٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، عسى أن يتوب عليكم ، ويغفر لكم ، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) البقرة من الآية : ١٤٣ .

(٢) متفق عليـه .

obeikandl.com

استقبال رمضان

الحمد لله الذى فضل شهر رمضان على بقية شهور العام ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له ، لا يكلف نَفْسًا إلا وُسعَها ، ولا يُحَمِّلها مالا طاقة لها به ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، خير من صام وقام ، اللهم صل وسلم وبارِك عليه وعلى آله وصحبه الغُرِّ الميامين .

أما بعد فيأيها المسلمون ، لقد أظلنا شهر عظيم مبارك ، شهر فيه ليلةٌ خير من ألف شهر ، شهر أوله رحمة ، وأوسطه مغفرة ، وآخره عِتْقٌ من النار.. إنه شهر رمضان الذى جعل الله تعالى صيامه أحد أركان الإسلام ، حيث يقول تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١).

لقد شرع الله تعالى صيام هذا الشهر تكريماً لأمتنا ، وتمييزًا لها من غيرها من الأمم السالفة والمعاصرة التى تصوم صياماً غير مطابق لصيامنا أداءً وهدفا ؛ وذلك لنجنى وحدنا من ورائه ما لا يجنيه غيرنا من الأمم من صيامهم .

أجل ،إنه تعالى شَرَعَ لنا هذا الصيام لنجنى ثمرته العظيمة وهى التقوى التى تنير للمؤمن طريق حياته ، فلا يضل ولايشقى .

كما نجنى ـ إلى جانب التقوى ـ كثيراً من المنافع الدينية ، والاجتماعية ، والصحية ، والنفسية ، والخلقية ، والاقتصادية ، والسياسية :

أما المنافع الدينية فتتمثل فى الأمور الآتية :

---

(١) سورة البقرة : ١٨٣ .

* بصيام رمضان يؤدى المؤمن أحد الأركان التى بنى عليها دينه ، قال ﷺ : « بُنِىَ الإسلامُ على خَمْسٍ : شَهادَة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ،وإِقَام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحَج البيت ، وصَوْم رمضان» [١].

* صيام رمضان سبب لغفران ذنوب الصائم ، قال ﷺ : « مَنْ صَامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه » [٢].

* فى رمضان ليلة خير من ألف شهر ، ألا وهى ليلة القدر ! قال تعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾[٣]. وهى فرصة عظيمة للمؤمن ؛ لأن عبادته الله فيها خير من عبادة ألف شهر ، كما أن الدعاء فيها مستجاب ، فليدعُ المؤمن فيها ربه ، عسى أن يستجيب دعاءه ، قال ﷺ : « مَنْ قَامَ ليلة القَدْرِ إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه » [٤].

● فى نهاية شهر رمضان يحصل الصائم على فرحة بإفطاره ، فرحة تستوجب شكره الله تعالى عليها ؛ إذْ أحَلَّ له ما كان مُحَرَّمًا عليه من مطلع الفجر إلى مغرب الشمس ، فلا يسعه إلا أن يعبر عنها بقوله : « اللَّهُمَّ لك صُمت ، وعلى رزقك أفطرت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، ذهَبَ الظَّمَأُ، وابتَلَّتِ العُروقُ ، وثَبَتَ الأجْرُ إن شاء الله » .

بعد انتهاء الشهر يأتى عيدُ الفطر ، جعله الله تعالى جائزة ومكافأة للصائمين ، يمتلئون فيه بهجة وسرورًا ؛ لأنه تعالى أعانهم على إتمام صيامهم، ويتبادلون فيه التهانى، ويتسامحون ، ويتوادون ، ويتزاورون متطهرين ممَّا شَابَ علاقاتهم ، وكَدَّرَ صَفْوَ حياتهم .

هذه بعض المزايا الدينية للصيام ، وأما المزايا الاجتماعية التى يحققها الصيام فهى أن الله تعالى حث على زيادة الجُودِ والبر بالفقراء فى هذا الشهر، وقد جعل الرسول

(١) متفق عليه .
(٢) متفق عليه .
(٣) سورة الفجر .
(٤) متفق عليه .

ﷺ من نفسه قدوة لنا فى ذلك، حيث كان أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون فى رمضان!

كما أنه تعالى أمر المسلمين فى نهاية هذا الشهر بإخراج زكاة الفطر، يعطيها القادرون غيرَ القادرين، وفيها يحصلُ عليه الفقراء من صدقة وزكاة تطييبٌ لخواطرهم، وإعانةٌ لهم على نفقات الحياة، وانتزاعٌ لما قد يكون فى قلوبهم من حقد وحسد للأغنياء الذين يملكون من المال ما يزيد على حاجاتهم بكثير.

كما أن المسلم فى هذا الشهر يحس بالحرمان من الطعام والشراب أثناء الصيام، فيعيش بذلك نفس التجربة التى يعيشها البائسون طوال أيامهم، فيرق قلبه، ويلين جانبه، وتسخو نفسه، ويجود عليهم مما يملك، عطفاً ورحمة وتقرباً إلى الله تعالى.

وأما المنفعة الصحية فتتمثل فى راحة جسم الإنسان من رتابة تناول الطعام طول النهار مدة أحد عشر شهراً كل عام، حيث ترتاح المعدة والأمعاء والأجهزة التى تفرز المواد المساعدة على هضم الطعام وتمثيل الغذاء من عملها طول اليوم؛ لتعود بعد رمضان أقوى وأصح مما كانت قبله، وكلنا يعلم أن كثيراً من حالات المرض ينصح فيها الأطباء بالصيام، كبعض حالات ضغط الدم والسكّر.

وأما الآثار النفسية للصوم فتتمثل فى تقويته الإرادة، فالذى يصوم لاشك أنه قوى الإرادة؛ لأنه لم يتردد فى الصيام، وقوةُ إرادته هذه تساعده على إمضاء ما يرى فيه صلاح دينه ودنياه بدون تردد أو نكوص.

كما أن الصيام يُعَلِّمُ الصبر؛ لأن فى ترك الطعام والشراب وغيرهما مما يحرم على الصائم تدريباً له على تحمل مشقات الحياة وصعابها.

ثم إن الصوم - أيضاً - مفيد للنفس، إذْ يكسر الشهوة ويُقَوِّم الغريزة، ويكبح جماحها، فيستطيع الصائم السيطرة عليها؛ ومن ثم وصفه الرسول ﷺ علاجًا مُسَكِّنًا للشهوة لمن عجز عن الزواج حتى ييسر الله أمره ويتزوج، قال ﷺ: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أَغَضُّ للبَصَر، وأَحصَنُ للفَرْجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء»(١).

---

(١) رواه البخارى.

وأما آثار الصوم الخُلقية فتتمثل فى أنه - يجمِّل النفسَ ويطهرها بإبعادها عن الكَذِبِ وقول الزور ، والسباب ، والصخب ، وغير ذلك من الآفات الخُلُقية ، قال ﷺ : « إذا كان يوم صَوْمِ أحدكم فلا يَرْفث ، ولا يصخب ، فإن سابَّهُ أَحَدٌ أو قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إنى صائم »(١). وقال ﷺ أيضاً : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه »(٢).

ثم إن الصوم تدريب على الأمانة وترك النفاق والرياء ؛ لأنه عبادة يؤتمن عليها العبد، وأمرها سِرٌّ بينه وبين ربه ، فإذا كان أميناً أدَّاها كاملة ، وإذا كان غير أمين بدا صائماً أمام غيره ، وأفسد صيامه بالطعام والشراب وغيرهما من مفسدات الصوم فيما بينه وبين نفسه !

ولا يستطيع أحد ممن بدا أمامهم صائماً أن يجزم بصيامه ؛ لأن ذلك الأمر لايعلمه يقيناً إلا الله تعالى ومن لازَمه من بدء صيامه إلى منتهاه ؛ ومن ثَمَّ يتعذر على المرء أن يتظاهر وينافق بصيامه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل : « كل عمل ابن آدم له إلاَّ الصيام فإنه لى ، وأنا أَجْزِى به »(٣).

وأما منافع الصوم الاقتصادية فهى توفير وجبة من الوجبات الثلاث التى تَعَوَّدَ الناس تناولها أثناء النهار ، إذ الصائم - فى العادة - يقتصر على وجْبَتَىِ الفَطُورِ والسَّحُور، فهو شهر ادخار وتوفير ، وتوسط واعتدال ، ويستطيع الصائم أن يتصدق بثمن هذه الوجبة التى وفرها ، أو يُفَطِّر محتاجاً إلى الفطر ؛ لينال بذلك جزيل الأجر ، قال ﷺ : « من فطَّر صائماً كان له مثل أجره ، غير أنه لاينقص من أجر الصائم شىء »(٤).

ومن المؤسف أن كثيراً من المسلمين جعلوه شهر طعام وشراب وبَذَخ ولَهْو؛ مُتعللين بأنهم يوسعون على أنفسهم وعلى أُسَرِهم ، وقد اضطر هذا الاستهلاك

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

obeikandl.com

اللامعقول للمواد التموينية ـ المسئولين أن يوفروا لهذا الشهر من هذه المواد ما يزيد عمَّا يوفرونه لثلاثة أشهر!!

ومما يؤسف له أيضاً أن بعض الناس يفتحون أفواههم من لدن غروب الشمس حتى مطلع الفجر ، ملتهمين من صنوف الأطعمة والحلوى والأشربة الغنية بالسكَّر والدسم كميات تضج منها مَعداتهم ، وتستغيث أكبادهم ، وتئن كُلاَهم ، فيخرجون من الصيام وقد ازداد وزنهم زيادة منكرة، وبرزت أكراشهم، وصار منظرهم مُنفِّرًا!

إلاَمَ يظل هؤلاء الذين لا هَمَّ لهم فى الدنيا إلا الطعام والشراب ـ متجاهلين تقاليد ديننا الجميلة من أننا قوم لا نأكل حتى نجوع ، وإذا أكَلْنَا لا نشبع ، وأننا قوم نأكل لنعيش ، ولا نعيش لنأكل ؟ !

هذا ، وأما المزية السياسية للصوم فهى أن المسلمين فيه متساوون ، فالصيام يجب على غنيِّهم كما يجب على فقيرهم ، ويجب على أميرهم كما يجب على أدنى واحد فيهم ، يجب على ذكورهم كما يجب على إناثهم ، كما أن وقت الإفطار واحد للجميع ، وهو غروب شمس المكان الذى يدركه فيه ، ووقت الإمساك عن الطعام وغيره من محرمات الصوم واحد للجميع ، وهو فجر المكان الذى يدركه فيه .

هذا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ هو مايحضرنى من مزايا نجنيها من الصوم ، فَهَيَّا بنا نتطهر بالتوبة إلى الله عما فرطنا فى جنبه وفى جنب أنفسنا ؛ لنستقبل هذا الشهر الكريم بما ينبغى له من الترحاب والسرور ، ولنعد أنفسنا لصيام نَهارِهِ ، وقيام لَيْلِه ، والإكثار فيه من قراءة القرآن ، والصدقة ، وذكر الله مع الذاكرين ، ولْنُهِب بمن يستطيع الصوم من أبنائنا أن يستعد لصيامه اقتداءً بنا ؛ وذلك حتى نجنى ثمار صيامنا ، وبخاصة التقوى ثمرة الصيام العظمى التى هى الزاد الواجب على المؤمن أن يتزود به، امتثالا لأمره سبحانه وتعالى فى قوله : ﴿**وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾ (١).

أيها الإخوة المسلمون ، لقد ظَهَرَ لكم بما ذكرتُ من آثار الصيام أن الله ـ سبحانه

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ١٩٧ .

وتعالى ـ حين فرض علينا الصيام لم يقصد إلى تعذيبنا بالجوع ، كما يزعم الضالون المُضَلِّلُونَ ، ولا إلى تعطيل الأعمال ، كما يدعى الأفَّاكُون ، وإنما قصد إلى ما فيه صالح أجسامنا وعقولنا ونفوسنا ومجتمعنا ، وإلى سعادتنا فى الدنيا والآخرة ، ولا مصلحة له فى ذلك ؛ لأنه سبحانه وتعالى ـ لاتنفعه طاعة الطائعين ، كما لا تَضُرُّه معصية العاصين.

أقول ذلك ؛ لأنه عند مقدم رمضان من بعض الأعوام ، يُفاجِئ النَّاسَ أفَّاكُون آثمون بأن فِطْرَ رمضان مباح لمن يشعر أنه لن يؤدى عمله بكفاءة إذا صام ، ولو كان سليماً قادرًا على الصيام ، ولا عُذْرَ مشروعاً لديه من مرضٍ أو سفَرٍ أو حَيْض أو نفَاسٍ أو شيخوخة .... !!

إنهم ليقولون مُنْكَرًا من القول وزورًا ، فإياكم إياكم ـ أيها المؤمنون ـ أن تسمعوا لقولهم؛ لأنهم يريدون أن يشككوكم فى دينكم، ويزلزلوا عقيدتكم؛ ليصرفوكم عنه، ويصدوكم عن سبيله ، ويحرموكم رضا الله والسعادة الدنيوية والأخروية !

إن الذى فرض الصيام هو رَبُّ الناس ، وهو خالقهم وأَدْرَى بهم وبما يُصلحهم وما يضرهم ، وبِمَدَى ما يستطيعون أداءه من العبادات ، كما أنه أعدل العادلين ، وأرحم الراحمين ، وحاشا لله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يظلم عباده أو يقسو عليهم بتكليفهم ما لا يطيقون ، أو ما يعطل عجلة العمل عن الدوران ، أو يلحق بالمسلم أو مجتمعه أدنى ضرر !!

وأخطر ما تكون هذه الدعوة إذا صدرت من حاكم أو مسئول من الذين لا يفقهون شيئاً من الدين، ولكنهم يجترئون عليه، ويفتون فى أموره بغير علم ، مطمئنين إلى أن أحدًا من المحكومين لن يجرؤ على تكذيبهم ؛ خوفاً من تعريضه نفسه للمحن والبلاء !

فى أوائل الستينيات من هذا القرن الذى نعيشه تجرأ أحد حكام المسلمين فى دولة عربية إسلامية ، فبث هذه السموم الخبيثة فى شعبه ؛ ليهدم ركناً من أركان الدين، ويزلزل عقيدة شعبه به ، ولكنه وُوجِهَ بعاصفة من الاستنكار ، ووقَفَ فى وجهه ، وسفَّه عقله مَنْ لا يخافُونَ فى الله لَوْمَةَ لائم، وألقموه حجارة سَدَّتْ فمه حتى أسكتته، وكنتُ إذْ ذاك مدرساً معارًا لتدريس الدين الإسلامى واللغة العربية بطرابلس الغرب

بليبيا ، فساءنى ذلك ، وأقضَّ مضجعى ، وأنطقنى بقصيدة طويلة أنكر عليه فيها دعوته الضالة المضللة ، وحسبى أن أذكر منها هذه الأبيات :

رمضان أهلاً مرحباً ... شهر العبادة والصيامْ
أَفْرَحْتَنَا وأسأْتَ عُشَّا ... قَ المعاصى والمدامْ
كم فاسق منهم يجا ... هر :لاصيام ، ولا قيامْ
ودليلُه واهٍ كخَيْـ ... ـط العنكبوتِ ، فما استقامْ
يأيها الخرَّاصُ أنْـ ... ـتَ تهيم فى وادى الظلامْ
فبأى حق أنت تبـ ... ـحث فى الحلال وفى الحرام ؟
أكذاك لا تخشى من الـ ... ـلٰه المهيمن الانتقامْ ؟
حقت عليك اللعنة الـ ... ـكبرى ، ولا ذقتَ المنامْ (١)

أيها المسلمون ، ادعوا الله تعالى معى أن يعيننا على الصيام والصلاة والقيام وقراءة القرآن ، وذكر الله رب العالمين . والتزام منهج الإسلام ، وألا يفتننا فى ديننا ، ولا يجعل الدنيا أكبر هَمِّنَا ، ولا مبلغ علمنا ، وألا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه ، واستبشروا خيراً بمقدم رمضان ، واستعدوا لاستقباله ، واسألوه أن يعينكم على أدائه خير أداء ، إنه على كل شىء قدير .

---

(١) أرى أن أثبت بقية القصيدة ، لا لذكرها فى الخطبة ، ولكن لاقتباس الخطيب ما يشاء منها :

● ● ●

أبنــاءَ دينى وَيْحَكُمْ ... لا تسمعوا هــذا الكلامْ
صوموا ، وأحيوا ركنَ ديـ ... ـنِ الله ، واجتنبوا الأثامْ
صوموا تصحوا تقهروا ... أقوى عدو فى الأنامْ
ليس الصيام معوِّقـًا ... عملا ، و لا سبب السَّقامْ
إن الصيام لَقُوَّةٌ ... كبرى لمن لَزِم الصيامْ
جَلَّتْ - وربى - حكمةٌ ... من أجلها شُرِع الصيامْ

● ● ●

رمضانُ أهلاً مرحباً ... شهرَ الهداية والسلامْ
مَن صام لم يَرْفُثْ ولم ... يَفسُقْ ، وكان من الكرامْ
فاشهد له عند الإلٰـ ... ـه ، وزَكِّه يومَ الزحَامْ

obeikandi.com

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

الحمد لله الذى جعل أمة الإسلام خير أمة أُخرِجَتْ للناس ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أَمَرَ بالمعروف ، ونَهَى عن المنكر ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أمر بالخير ودَلَّ عليه ، ونهى عن الشر وحَذَّر منه ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، يقول الله تعالى : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** ﴾ (١) .

ويقول : ﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾(٢) .

ويقول الرسول ﷺ « مَنْ رأى منكم منكراً فَلْيُغَيِّرْهُ بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فَبِقَلْبِهِ ، وذلك أضعفُ الإيمان » (٣) .

هذه بعض الآيات والأحاديث التى وردت فى وجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر على كل المسلمين دون استثناء ، فما المراد بالمعروف ؟ وما المراد بالمنكر ؟

المعروف هو كُل خيرٍ من قولٍ أو فعلٍ أو نية ، أمر به الله تعالى ، ورغَّب فيه ، وقبِلتْه الفطرة السَّويَّة ، والعقول السليمة .

وأما المنكر فهو ضد المعروف ، أى كل شر وسوء من قول أو فعل أو نية نهى عنه الشرع ورفضه ، ونفرت منه الطبيعة السَّويَّة ، والعقول القويمة .

---

(١) سورة آل عمران - من الآية : ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران : ١٠٤ .

(٣) رواه مسلم .

لماذا أمرنا الله تعالى بالمعروف ، وأمرنا أن نأمر غيرنا به ؟
ولماذا نهانا الله تعالى عن المنكر ، وأمرنا أن ننهى غيرنا عنه ؟
باديً ذى بدء أقرر أن الله تعالى عندما يأمرنا بشىء أو ينهانا عن شىء فإنه سبحانه وتعالى - لا يهدف إلى مصلحته جل شأنه ؛ لأنه الغَنِىُّ عن العباد ، ومَالِكُ المُلْك ذو الجلال والإكرام ، القائل فى الحديث القدسى: « يا عبادى، إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ، ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى » [(١)] .

إذن ماذا يريد الله تعالى من ذلك ؟

إنه يريد مصلحتنا نحن - العباد - فقط ؛ لنكون أمة إسلامية قوية ، متآلفة ، متوادَّة، متعاونة على الخير والبر والتقوى ، عادلة ، عزيزة ، مرهوبة الجانب ، تدعو إلى وحدانيته تعالى ، وتستمسك بوحيه ، تملك إرادتها بيدها ، وتشمخ بكرامتها إلى السماء، متحررة من أى قيد خارجى يتحكم فيها ، وبذلك نستطيع أن نعمر الأرض التى استخلفنا فيها ، كما قال تعالى : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [(٢)] .

ولعل من المفيد لنا - أيها الإخوة - أن نتذاكر أبواب الخير التى يجب أن نأتيها ، ونأمر غيرنا بإتيانها :

- السير على منهج الله تعالى خير . فَلْنَسِرْ عليه ، ونأمر غيرنا بذلك.
- والصدق خير ، فَلْنَصْدُقْ ولْنَأْمُرْ بالصدق .
- والعدل خير ، فَلْنَعْدِلْ، ولنأمر بالعدل .
- والأمانه خير ، فَلْنَتَحلَّ بها ولنأمر غيرنا بها .
- والإحسان خير، فَلْنُحْسِنْ ، ولنأمر بالإحسان .
- والحب خير ، فليحب بعضنا بعضاً ، ولنأمر الناس بالتحاب .
- والوفاء خير ، فَلْنكن أوفياء ، ولنأمر بالوفاء .

---

(١) من حديث طويل رواه مسلم .

(٢) سورة النور - من الآية : ٥٥ .

- والتسامح خير ، فَلْنتسامح ، ولنأمر غيرنا بالتسامح .
- والعمل الشريف خير ، فَلْنَعْمَلْ ، ولنأمر غيرنا بذلك .
- وصيانة الحرمات خير ، فَلْنَصُنْ حرماتنا ، ولنأمر غيرنا بذلك .
- والبر خير ، فَلْنَتَّصِفْ به ولنأمر غيرنا أن يكون مثلنا .

وهكذا ؛ كل شىء فيه خير يجب أن نفعله ونأمر غيرنا بفعله ؛ حتى يشيع فى المجتمع الإسلامى ؛ ليغدو كما أراده له رب العالمين ، ولنصبح بحق خير أُمة أخرجت للناس .

أما ألوان الشرور والقبح فهى المنكر الذى يجب أن ننتهى عنه ، وأن ننهى غيرنا عنه، أى يجب أن نتركه ، ونطلب من غيرنا أن يتركه - فَلْنَتَذَاكَرْ طرفاً منها :

البعد عن منهج الله شر ، والظلم شر ، والخيانة شر ، والإساءة شر، والبغض لمن لا يستحقه شر ، والغدر شر ، والكسل والتواكل شر ، والاعتداء على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم شرور ، وكذلك العقوق شر مستطير !

كل هذه الألوان وغيرها من الشرور والقبائح والآثام والكبائر نهانا الله تعالى عنها، وأمرنا أن ننهى غيرنا عنها ؛ حتى يطهر منها مجتمعنا الإسلامى ، ويصبح روضة تتفتح فيها كل أزهار الخير ، ويبرأ من كل أنواع الشر والإثم ، ويتحقق له الأمن والاستقرار ، ويتفرغ أعضاؤه لكل عمل فيه خير الدارين ، ويصير مهيب الجانب ، كريماً ، حُراً ، يشعر كل فرد فيه بشرف الانتساب إليه .

هذا هو ما يريده لنا ربنا سبحانه وتعالى ، ولكن تعالوا معى - أيها المسلمون - نُلْقِ نظرة على مجتمعنا هنا فى مصر ، كنانة الله فى أرضه ، بل وعلى بعض المجتمعات الإسلامية الأخرى ، لنرى : أيتآمر أهلها بالمعروف ، ويتناهون عن المنكر أم لا ؟

الواقع الذى تراه أعيننا من حين لآخر يشهد أن التآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر فى إجازة مفتوحة لا ندرى متى يكون منتهاها !!

وإلاَّ فَحَدِّثُونى بربكم - كيف يحدث ما يحدث من منكر ، فيقف الناس منه موقف المتفرج ، متعللين بأن ذلك لا يعنيهم ، وبأنهم لو نَهَوْا عنه عُدَّ ذلك تدخلاً منهم فيما لا يعنيهم ؟

كيف يُعتَدَى على الأنفس أو الأموال أو الأعراض جهاراً ، ليلاً أو نهاراً ، ويرى الناس ذلك رأى العين ، ولكنهم يكتفون بالمشاهدة ، فلا يمنعون هذا المنكر باليد أو

اللسان ، ولا أدرى أيستنكرونه بقلوبهم أم لا؛ لأن الله تعالى وحده هو الذى يعلم ما فيها ؟

ويتطلع رجال الأمن إلى من يخبرهم عن أسماء مرتكبى هذا المنكر ، إن كان يعرفهم، أو يدلى بأوصافهم ، فينكص الناس على أعقابهم ، واقفين موقفاً سلبياً بغيضاً يشجع المجرم على تكرار جرائمه ، مادام يفعلها أمام أعين الناس ، ويمضى - ولا أقول «يهرب» - فى كل اطمئنان ، لمجرد أنه شَهَرَ مسدساً ، أو لوَّحَ بسكين لمن يحاول التعرض له ، أو الإبلاغ عن اسمه ، أو معرفة رقم سيارته !!

ما هذا الذى يحدث فيكِ يا مصر - يا بلد الأزهر وآلاف المآذن ، يا حامية الإسلام منذ أضاء بنوره الآفاق ؟

أماتت الشهامة والمروءة والحماسة والنخوة كما قال الشاعر :

مررت على المروءة وهى تبكى ... فقلت : علام تنتحب الفتاةُ ؟
فقالت : كيف لا أبكى وأهلى ... جميعاً دون خلق الله ماتوا ؟

ألا يتصور أحد أن ما يحدث أمامه قد يحدث له هو نفسه أو لأحد من أهله ، وإذ ذاك أيرضى أن يقف غيره منه ومن أهله ذلك الموقف السلبى المُزرِى ؟

أَشُلَّتْ أيدى هؤلاء المعاينين للمنكر ، حتى لا يمنعوه أو يوقفوا استمراره؟

أخَرِسَتْ ألسنتهم عن النهى عن هذا المنكر المرفوض حتى فى بعض المجتمعات الإباحية التى لا تعرف عن الفضيلة شيئاً ؟

ألم يسمع أحد منهم قول معلم البشرية محمد ﷺ : « مَنْ رَأَى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » (١) .

ألم يقرءوا قوله تعالى : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٢) فيأمروا بالمعروف ، وينهوا

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة التوبة : ٧١ .

عن المنكر ؛ لينالوا رحمة الله التى وعدهم إياها؟!

قد يقال : إن مرتكبى المنكر عصابة مسلحة ، ويخشى الناسُ ـ إن تعرضوا لهم ـ أن يلحقهم أذاهم ، فأقول : لو تأكد هؤلاء المجرمون أن الناس سيحاولون الأخذَ على أيديهم لَمَا ارتكبوا ما ارتكبوا ، كما أن الكثرة تغلب القِلَّة ، فلو صاحَ الناسُ فيهم ، وطَارَدُوهُم ولو بالحجارة أو بما يقع تحت أيديهم لأمسكوا ولو ببعضهم ؛ لكيلا تضيع كل أدلة الجريمة ، ولكى ينالَ المجرمُ عقابه الرادع الذى يجعله عِبرَةً لمن تُحَدِّثُهُ نفسه أن يعتدى على غيره .

أيها الناس ، اتقوا الله وراقبوه ، وَمُرُوا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر.. فإن المجتمع الإسلامى إذا أغفل التآمر بالمعروف والتناهى عن المنكر ـ استوجب لعنة الله تعالى كما استوجبها بنو إسرائيل ، اسمعوا معى قوله تعالى :

﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾.(١)

وليس ذلك فحسب ، بل إنه يستحق عقاب الله ، وعدم إجابته دعاءه، اسمعوا حديث سيد الهداة مقرراً هذه العقوبة ، مؤكداً إيَّاها بالقَسَم إذْ يقول: « والذى نَفْسى بيده ، لَتَأْمُرُنَّ بالمعروف ، ولَتَنْهَوُنَّ عن المنكر أو لَيُوشِكَنَّ الله أن يبعث عليكم عقاباً منه، ثم تَدْعُونَهُ فلا يُستجاب لكم»(٢).

وإذا وقع العقاب فإنه سيعم المجتمع ، ولن يقتصر على مستحقيه فقط ، حيث لا تصيب الفتنة الذين ظلموا خاصة ، قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾.(٣) وقال ﷺ : «إن الناس إذا رَأَوُا الظَّالِمَ، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه»(٤).

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) رواه الترمذى .

(٣) سورة الأنفال : ٢٥ .

(٤) رواه أبو داود والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .

أجل - أيها المسلمون - ماذا ينتظر من لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر غير هذا العقاب ؟

يعن لى قبل أن أترك هذا المنبر أن أوجه كلمتين : إحداهما إلى الحكام ، والأخرى إلى المدافعين عن المجرمين :

أما الحكام فأقول لهم : اتقوا الله ، وعجلوا بمحاكمة مرتكبى المنكر، وبتنفيذ أقصى العقوبات عليهم ؛ لأن المحاكمات البطيئة قليلة الردع ، فكثيرًا ما تطول هذه المحاكمات حتى يموتِ المظلوم قبل أن يرى العدالة قد أخذت له بحقه ،فيعيش فى غم وقلق وترقب ، وقد يؤدى ذلك إلى وفاته !

ثم إذا اعترف المجرم اعترافًا صحيحاً دون إكراه ، فلماذا تقرونه بعد ذلك على إنكاره ما اقترفه ، وتعيدون محاكمته، مما يؤدى إلى تطويل المحاكمة واصطياد الحجج والأعذار والظروف للإفلات من العقوبة ؟!

لماذا لا تنفذون عقوبات بعض الجرائم الشنيعة التى يضج منها المجتمع، ويشيب من هولها الولدان - بسرعة وفى أحد الميادين ؛ ضمانا لقوة ردع من تحدثه نفسه باقتراف هذه الجريمة ؟

لماذا لا تنفذون على مرتكبى المنكر ممن يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادًا - العقوبة المنصوص عليها فى قوله تعالى : ﴿**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ**﴾ (١) ؟

إذا كنتم تشكون من كثرة عدد الناس ، وتنفقون المال والجهد لتقليله فلماذا لا تقللون ذلك العدد بالقضاء على هؤلاء المحاربين المفسدين وتصونوا الناس من أذاهم؟

أما أنتم أيها المحامون عن مرتكبى المنكر ، فلماذا تحثونهم على إنكار جرائمهم حتى لا ينالوا العقوبة العادلة ، وأنتم متأكدون من اقترافهم إياها؟

---

(١) سورة المائدة - من الآية : ٣٣ .

لماذا تلقنون المجرم ما تلقنون من كذب وزور وبهتان طمعاً فى إفلاته من العقوبة؟

ألا ترون أنكم بذلك تستحقون العذاب الأليم ، إذ تساعدون على شيوع الفاحشة والمنكر فى المؤمنين ؟

ألم يقرع أسماعكم قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ** ﴾ (١) .

أترون أنفسكم إذْ ذاك أنصار العدالة الذين وقفتم أنفسكم للذود عنها أم ألدَّ أعدائها ؟

أَمِنْ أجل حفنة من المال تحصلون عليها من هؤلاء المجرمين ، وقد يكون مصدرها حراماً ، فلا يُبارِكُ الله فيها ، أقول : أمن أجل هذه الحفنة تبيعون ضمائركم ودينكم، وتلحقون أفدح الأضرار بمجتمعكم ، وأنتم تستنقذون رقاب هؤلاء المجرمين من القطع، وأجسامهم من السجن والأشغال الشاقة ، وسُمْعَتَهم مما يجب أن يلحق بها ؟!

ألا ترون أنكم بذلك تشجعون هؤلاء المجرمين على تكرار ما اقترفوا ، مادام الأمر لا يعدو مبلغاً من المال يأخذه المحامى ليحصل لهم على البراءة زورًا وبهتاناً ؟

اتقوا الله ـ أيها المحامون ـ وانصروا الحق ، واخذلوا الباطل ، واقنعوا بما يأتيكم من المال من أبوابه الحلال ؛ فعسى أن يبارك الله لكم فيه ، فيصير أَرْبَى من كثير لا بركة فيه .

اتقوا الله – أيها المحامون – ولا تربوا أولادكم بمال حرام حصلتم عليه من إعلاء كلمة الظلم ، وإزهاق العدل، ولا تكونوا قُدْوَةً سيئة لهم ، فلاً يبارك الله لكم فيهم!!

أضرع إلى الله – سبحانه وتعالى – أن يعيننا على الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن يُرِيَنا الحقَّ حقًّا ، ويرزقنا اتباعه ، ويُرينا الباطلَ باطلاً، ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وألا يُؤاخذنا بما فعل السفهاء منا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة النور : ١٩ .

زكّوا، وتصدقوا

الحمد لله القابض ، الباسط ، الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكَم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، يبسط الرزق لمن يشاء ويَقْدِر ، لامانع لما أعطى ، ولامعطىَ لِماَ منع ، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له : كن فيكون !

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ، أبى أن تتحول له جبال مكة ذهبًا ، وآثر أن يعيش كما يعيش عامة المسلمين ، بل فضل خشونة العيش وشظفه على لينه ونعيمه وترفه ، ولم يورِّث درهما ولاديناراً ، وكان يدعو ربه قائلا: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا » [١].اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهم مادامت السموات والأرض ومافيهن .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن الله تعالى هو الذى خلق عباده ، وهو بهم خبير بصير ، يعلم ما يُصلحهم ، وما يَصلُحون له ، وقد اقتضت حكمته ألا يكونوا سواء فى الرزق ، بل فضَّل بعضهم على بعض ، فبسطه لمن شاء ، وقدره لمن شاء : **﴿إنَّ ربَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيراً بَصِيراً ﴾** [٢] ، **﴿ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾**[٣].

أجل ، إنه تعالى هو المالك المطلق لكل شىء ، أما عباده الذين أعطاهم المال ، فمِلْكيتُهم له ملكية مقيدة مؤقتة بوجودهم فى هذه الدنيا ، حيث يسلمونه ـ وهم راحلون عنها ـ إلى غيرهم ، وهكذا ، ثم من رحمته تعالى أنه لم يترك الأغنياء يتصرفون

(١) متفق عليه . (٢) الإسراء : ٣٠ .
(٣) الشورى : ١٢ .

فى أموالهم دون توجيه ، بل وجههم إلى تحصيله من وجوهه المشروعة ، وإنفاقه فى وجوهه المشروعة ، وإخراج حقه تعالى فيه ، وهذا الحق هو الزكاة يخرجونها لمن حدَّدهم من صنوف المحتاجين ، وأوجبها بالكتاب و السنة والإجماع على كل مسلم حر بلغ مالُه نصابًا فى أى نوع مما تجب فيه الزكاة ، بل جعلها ركنًا من أركان الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [1] ، وقال: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2] وقال ﷺ : « بُنى الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت، وصوم رمضان » [3] .

هذا ، وقد حدد الله تعالى من تُخْرَجُ لهم الزكاة فى قوله : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [4] .

أما ما تجب فيه الزكاة ، ومقدارُ النِّصاب فى كل منه ، ووقت إخراجه ـ فقد تكفلتْ بتفصيله كتب الفقه ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الأَرْضِ ﴾ [5] . فمن أخرجها فقد أكمل أركان دينه ، وأدى ما فرض عليه ، ونال ما أعده الله له من نعيم مقيم ، وأما من لم يخرجها مُؤْثِرًا كَنْزَ ماله ، فقد أوعده الله تعالى بالعذاب الأليم ، حيث يقول: ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [6] .

---

(١) البقرة : ١١٠ .
(٢) النور : ٥٦ .
(٣) متفق عليه .
(٤) التوبة : ٦٠ .
(٥) البقرة : ٢٦٧ .
(٦) التوبة : ٣٤ و ٣٥ .

أيها الإخوة المسلمون ، هذه هى الزكاة التى أوجبها الله تعالى على عباده فى ماله الذى استخلفهم فيه ، أمّا ما يُقدِّمونه بعد أدائها فإنما هو صدقة تطوعوا بها لِنَيْل رضا الله تعالى ومحبته وثوابه وجنته ، وقد وعد الله تعالى المتصدقين جميعًا بمضاعفة أجره لهم ، إذ جعل صدقتهم قرضًا حسنًا اقترضه هو تعالى منهم ، ومن أوفى بعهده من الله؟ استمعوا إليه تعالى إذ يقول :﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴾ [(١)] ، بل إنه يزيدهم على تلك الأضعاف غفرانَه وشكره : ﴿ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [(٢)] .

وهكذا نرى أن الله تعالى بِعدْله وحكمته لم يترك من قلَّل رزقهم دون مَدَدٍ ، إذ فتح لهم أبوابًا يصل إليهم منها الرزق ، منها ما يجب وهو الزكاة فيما ذكرنا ، وزكاة الفطر ، وما يُخْرَج فى الكفارات ومنها ما هو تطوع ، ولو وصل كل ذلك إليهم لسدّ رمقهم وكفل لهم ضرورات الحياة إلى أن يبدِّلَ الله تعالى عُسرهم يسرًا ، وحقق التعاون والتكافل والتوازن الذى يؤدى إلى صلاح المجتمع الذى كان الرسول ﷺ يبذل قصارى جهده من أجله بعمله فى اتجاهين :

الأول : حث الأغنياء على التصدق ، وذلك فى قوله: « يابن آدم ، إنك أن تبذَل الفضل خير لك ، وأن تمسكه شر لك ، ولا تلام على كفاف ، وابدأ بمن تعول » [(٣)] ، وقوله : « مامن يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان ، فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خَلَفاً ، ويقول الآخر ، اللهم أعط ممسكاً تلفاً » [(٤)] ، وقوله : « لاحسد إلا فى اثنتين : رجل أعطاه الله مالاً فأنفقه فى الحق ، ورجل أعطاه الله حكمة ، فهو يقضى بها ويعلِّمها » [(٥)] .

والاتجاه الثانى: أنه ﷺ كان يبين لكل من الأغنياء والفقراء حقيقة الدنيا وحقارتها وزوال نعمتها ، وأن الباقيات الصالحات خير عند الله ثواباً وخير أملاً ، حثًّا للأغنياء

---

(١) الحديد : ١١ .
(٢) التغابن : ١٧ .
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) متفق عليه .
(٥) متفق عليه .

على الزهد فيها ، وإقناعًا للفقراء بالرضا بحالهم ، استمع إليه ﷺ وهو يقول : « يقول ابنُ آدمَ : مالى ، مالى ، وهل لك يابنَ آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيتَ ، أو لَبِستَ فأبليتَ ، أو تصدقتَ فأمضيتَ ؟ » (١) . وإذ يقول « قد أفلح من أسلم ، وكان رزقه كفافًا ، وقنَّعه الله بما آتاه » (٢) .

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو نصيب الفقراء فى الدنيا ، أما فى الآخرة فحسْبُهم أنهم يلقون ربهم ، وهم برآء من فتنة المال وما يجرُّه على الأغنياء من دفعهم إلى الطغيان و العصيان والآثام و الفساد ، وعدم إخراج حق الله تعالى فيه ، مما يجلب لهم سخط الله تعالى ولعنته وعذابه .

وحَسْبُهم أيضا أنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام قال: « يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام » (٣) ، بل إنهم يكونون أكثر أهل الجنة ، كما جاء فى قوله: « اطلعت على الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء » (٤) .

فياترى ، هل هناك جزاء أوفى وأعدل مما جازى الله تعالى به عباده الذين قدر لهم فى الرزق ؟!

أيها الإخوة المسلمون ، لقد كان رسول الله ﷺ فى تفضيله أن يعيش فى الدنيا عيش الفقراء أسوةً لهم يبين لهم أن متاع الدنيا فانٍ ، ونعيمها زائلٌ ، وأن النعيم المقيم الحق إنما هو نعيم الآخرة ، لِطِيبه وخُلوده وخُلُوِّه من الآثام و الملوثات ، ويتلو عليهم وعلى غيرهم قوله تعالى: ﴿ **فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ** ﴾ (٥) .

أجل ، إنه ﷺ قد آثر بمحض اختياره أن يعيش عيشة خشنة فى هذه الحياه الدنيا وأهله ، فكان فراشه كما وصفته السيدة عائشة أم المؤمنين « كان فراش رسول الله ﷺ من أدمٍ (أى جِلد) حَشْوُهُ لِيفٌ » (٦) ، وكان طعامه هو وأهله كما وصفته هى أيضًا

---

(١) رواه مسلم . (٢) رواه مسلم .
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث صحيح .
(٤) متفق عليه .
(٥) الشورى : ٣٦ .
(٦) رواه البخارى .

ماشبع محمد ﷺ من خبز شعير يومين متتالين حتى قُبِض » [١].

ولما فتح الله تعالى عليه قريظة وخيبر ظنتْ زوجاته أنه اختص بنفائس اليهود وذخائرها، فقعدْنَ حوله، وقلن: يارسول الله، بناتُ كِسْرَى وقَيصرَ فى الحلى والحُلَل، ونحن على ماتراه من الفاقة و الضيق، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [٢]. فأبلغن ذلك الخيارَ، فسكنتْ نفوسُهن، واخْتَرْنَ اللهَ ورسوله والدار الآخرة بنعيمها الطيب الطاهر الخالد، ورفضْنَ الدنيا بمتاعها الزائف ونعيمها الزائل !!

وكان ﷺ يقول: « لوكان لى مثل أُحُدٍ ذهبا لَسَرَّنى ألا يمر علىّ ثلاثُ ليالٍ، وعندى منه شىء إلا شىء أرصده لِدَيْن » [٣].

كما وضح حقارة الدنيا وقيمتها الحقيقية، إذ قال: « لوكانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء » [٤]. ووضح أن الغِنَى الحقيقى إنما هو غِنىَ النفس فى قوله « ليس الغِنىَ عن كثرة العَرَض (أى المال) ولكن الغِنى غِنى النفس» [٥].

فهل يجد الفقراء ومن تقسو عليهم الحياة قدوة فى الصبر و القناعة و الرضا والشكر فى السراء و الضراء أعظمَ وأجَلَّ وأروعَ من هذه القدوة ؟!

إن أعظم علماء النفس والاجتماع لايبلغ نصحه ما يبْلُغُه نصحه ﷺ لهم بأنهم إذا وازنوا بين حظهم وحظ غيرهم من الدنيا يجب أن تكون الموازنة بينهم وبين من هم أدنى منهم، لامن هم أعلى، فيالَرَوْعة بيانه إذ يقول: « انظروا إلى مَن هو أسفل منكم، ولاتنظروا إلى من هو فوقكم، فهو أجدر ألاتزدروا نعمة الله عليكم » [٦]. وبذلك يزدادون قناعة ورضًا بنصيبهم.

---

(١) متفق عليه.
(٢) الأحزاب: ٢٨، ٢٩. (ومعنى أمتعكن وأسرحكن: أطلقكن و أعطيكن نفقة المتعة).
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه الترمذى، وقال: حديث حسن صحيح.
(٥) متفق عليه. (٦) رواه مسلم.

أيها الإخوه المسلمون ، لقد حَذَا حَذْو رسول الله ﷺ فى جمعه الزكوات وتوزيعها على مستحّقِيها خلفاؤه الراشدون ومن انتهج منهجهم من أئمة المسلمين وحكامهم، وخشيةَ التطويل سأقتصر على نموذج واحد ، هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ولأَ تجاوزْ ما بذله منذ أسلم من مال فى تحرير المستضعفين ، ومساندة الدعوة ، وتجهيز الجيوش ؛ لأَذكرَ مثلين عظيمين له :

أولهما : قضاؤه على الذين ارتدوا ومنعوا الزكاة بعد وفاة الرسول ﷺ وإرغامهم على إخراج الزكاة ، وعودة الأمر إلى ما كان عليه فى حياة الرسول ﷺ !

الثانى : كان رضى الله عنه له ابنُ خالة مهاجرٌ بَدْرِيٌّ اسمُه مسطح بن أثاثة ، وكان ينفق عليه ، فلما خاض مع الخائضين فى حديث الإفك أغضبه ذلك وساءه منه ، فأقسم أن يقطع عنه ما كان يتصدق به عليه ، ولكنه لما نزل القرآن بتبرئة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فى آيات سورة النور ، وذكرَ الله تعالى بعدها قولَه :

﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1] .

– ردّ لمسطح نفقته، وكفَّر عن يمينه وقال : بلى ، والله إنى لأحب أن يغفر الله لى !

أيها الإخوة المسلمون ، إن الزكاة لعظم شأنها ذكرَها الله تعالى فى كتابه الكريم مقترنةً بالصلاة فى اثنتين وثمانين آية ، وماذلك إلا لآثارها الجليلة ، وثمارها الطيبة التى تعود على كل من المعطِى والآخذ و المجتمع كله ؟!

(أ) أما المجتمع فتسوده المحبة والعدالة والخير والوحدة والتعاون والأمن والاستقرار ؛ لأداء أغنيائه حق الله تعالى فى أموالهم لفقرائه أداءً يقضى على التباغض والتحاسد والتحاقد والتفكك والتعادى ، وانتشار الجرائم ، وفقدان الأمن والاستقرار .

وأما مخرج زكاته ، فينال ثمرات طيبة ، منها :

---

(١) النور : ٢٢ .

الفوز برضا الله تعالى وثوابه وجنته ؛ لأدائه ما افترضه عليه ، ورغّبَهُ فيه ﴿ وَمَا تُنفقُوا منْ خَيْرٍ فَلأَنفُسكُمْ وَمَا تُنفقُونَ إِلاَّ ابْتغَاءَ وَجْه اللَّه وَمَا تُنفقُوا منْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لا تُظْلَمُونَ ﴾ [١] .

الفوز برضا رسولنا ﷺ ، والطمع فى شفاعته ، يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

بركة ماله ومضاعفة ثوابه ﴿ مَثَلُ الَّذينَ يُنفقُونَ أَمْوَالَهُمْ في سَبيلِ اللَّه كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٢]

تطهير ماله بدفع ما يجب فيه ، وتطهير نفسه من الأثرة والطمع والجشع والشح: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [٣] .

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٤]

ينجو من فتنة المال وجرِّه إياه إلى الطغيان و الفساد والآثام .

ييسر الله تعالى له أمره ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [٥] .

ينال نعيم المتقين الذى ذكره الله تعالى فى قوله :﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٥) آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾[٦].

---

(١) البقرة : ٢٧٢ .
(٢) البقرة : ٢٦١ .
(٣) التوبة : ١٠٣ .
(٤) التغابن : ١٦ .
(٥) الليل : ٥ ، ٦ ، ٧ . (٦) الذاريات : من ١٥ ـ ١٩ .

حمايتهم من حسد الفقراء وحقدهم وشرورهم التى تدفعهم إليها حاجتهم وعَوَزُهم.

نماء روح البذل و العطاء و الرحمة بالمحتاجين ..

وأمّا آخذو الزكاة فيجنون هم الآخرون ثمراتٍ طيبةً ، حَسْبى أن أذكر منها :

- سدُّ رَمَقِهم وتوفير حاجاتهم الضرورية ، وتسديد ديونهم ، وإعانتهم على المضى فى حياتهم دون استسلام لليأس ، لعل الله تعالى يبدل عسرهم يسرًا .
- تأكُّدُهم من أن الدنيا مازالت بخير ، وأن المسلم أخو المسلم ، لايظلمه ولايسلمه .
- حِفْظُهم من ذل السؤال وإراقة ماء وجوههم فيه .
- تطهيرُ قلوبهم من الحسد و الحقد على الأغنياء ؛ لأنهم قاموا بواجبهم نحوهم .
- حمايتُهم من السرقة واغتصاب أموال الناس والاعتداء عليهم .

أيها الإخوة المسلمون ، هذه هى الزكاة ، أحد أركان الإسلام وإحدى دعائمه ، وفريضة من فرائضه وهذه هى صدقة التطوع وتلكم هى آثارهما ، فاتقوا الله وبادروا بإخراجها رضية بها نفوسُكم ، وحُثوا غيركم على إخراجها ؛ لتنالوا أنتم وهم ثمارهما الطيبة ، وتُعينوا إخوانكم المحتاجين ، وتفرِّجوا كرباتهم ، واعلموا أن الغِنَى ليس بدائم ، و الفقر كذلك لا دوام له ، فقد يصبح غَنِىُّ اليوم فى صفوف مستحقى الزكاة غدًا ، وكذلك العكس ، وغدًا سنفارق الدنيا ، ونترك المال ، وما هو أعز من المال ، ولن يَخْرُجَ منها معنا إلا ماقدمنا من تقوى الله وطاعته والأعمال الخيرة:

﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾[1] .

قال ﷺ : « يتبع الميت ثلاثة : أهله وماله وعمله ، فيرجع اثنان ، ويبقى واحد ، يرجع أهله وماله ، ويبقى عمله » .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه وتوبوا إليه عسى أن يغفر لكم ، إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) الكهف : ٤٦ .

ليلة القدر

الحمد لله رب العالمين ، الحمد لله الذى خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ، الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً ، الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير ، الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رُسُلاً أولى أجنحة مَثْنَى وثُلاثَ ورُباعَ يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ربنا الذى أعطى كل شىء خَلْقَهُ ثم هَدَى ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، فَبَلَّغ الرسالة، وأَدَّى الأمانة، ونَصَحَ للأمة، وكشف الْغُمَّةَ ، وتركنا على المحجة البيضاء ، لا يزيغُ عنها إلا هالك ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الغُرِّ الميامين .

أما بعد ـ أيها الإخوة المسلمون ـ فيقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ** ﴾(*) صدق الله العظيم

لقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يفضل بعض الشهور على بعض ، وبعض الأيام على بعض ، وبعض الليالى على بعض ، فجعل أفضل الشهور شهر رمضان ، وجعل أفضل الليالى ليلة القدر ، أى ليلة الشَّرفِ وسُمُوِّ المنزلة ، وعُلُوِّ الشأن ، وإنما

(*) سورة القدر .

استحقت تلك الليلة ذلك التفخيم والتعظيم الذى أشار إليه الله تعالى فى قوله : ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ لعدة أمور :

● الأمر الأول : أن القرآن الكريم نزل فيها من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا جملة واحدة ، ثم نزل من السماء الدنيا على رسولنا محمد ﷺ مُفَرَّقًا ، عن طريق الروح الأمين جبريل عليه السلام : ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٩٢) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ (١).

وإنما نَزَل مُنَجَّماً كذلك ، ولم ينزل جملة واحدة ، كالتوراة ، والإنجيل ، والزبور ، وكما أراد الكفار فيما حكاه الله تعالى عنهم بقوله : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ (٢) .

أقول : إنما نزل القرآن منجماً لتثبيت قلب الرسول ﷺ وتقويته بتكرار نزول الوحى ، ولتيسير حفظه ، إذ يسهل حفظه مفرقاً مجزءًا ، فى حين أنه يصعب حفظه جملة واحدة، وإلى ذلك أشار الله تعالى فى تكملة الآية السابقة بقوله: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً﴾ .

ومن أسباب نزوله منجماً أيضاً أنه منهج وضعه الله تعالى لتربية الأمة الإسلامية دينيًا، وخُلُقِياً ، وتهذيبياً ، وعلمياً ، واجتماعياً ، وسياسياً ، واقتصادياً ، وتشريعياً . وتنفيذ أى منهج لا يحدث دفعة واحدة ، بل يحدث تدريجيًا مع مرور الأيام ، وفقاً لمقتضيات الظروف والحوادث والأحوال، وبتمام المنهج تتم تربية الأمة فى كل هذه النواحى ، كما يحدث فى تنفيذ أى منهج وأية خطة من الخطط ، فمنهج الدراسة فى مرحلة تعليمية مثلا يقتضى عدة سنوات، ومنهج السنة الواحدة يقتضى عدة شهور، وهكذا ، وفى ذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ

---

(١) الشعراء : ١٩٢ ـ ١٩٤ .

(٢) سورة الفرقان ـ من الآية : ٣٢ .

وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً ﴾[1] .

فهو بذلك يخالف غيره من الكتب المنَزَّلة التى نزلت جملة واحدة ، إذ لم تستوعب ما استوعبه القرآن ليكون منهاجاً كاملاً نهائياً تسير عليه البشرية من لدن نزوله إلى يوم الدين ، حيث لا كتاب بعده ، ولا رسول بعد من نزل عليه وهو خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

● الأمر الثانى الذى جعل لليلة القدر هذه المكانة السامية : أن عبادة الله تعالى فيها خيرٌ من عبادته فى غيرها ألف شهر : ﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ، فعن على بن عُروَة قال : ذكر رسول الله ﷺ يوماً أربعة من بنى إسرائيل عبدوا الله ثمانين عاماً لم يعصوه طرفة عين ، فذكر أيوب ، وزكريا ، وحزقيل بن العجوز ، ويوشع بن نون ، قال ، فعجب أصحاب رسول الله ﷺ من ذلك ، فأتاه جبريل ، فقال : يا محمد، عَجبتْ أُمَّتُكَ من عبادة هؤلاء النفر ثمانين سنة لم يعصوه طرفة عين ، فقد أنزل الله خيراً من ذلك ، فقرأ عليه : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ هذا أفضل مما عجبت أنت وأمتك ، قال: فَسُرَّ بذلك رسول الله ﷺ والناس معه .

ومن ثم وصفت هذه الليلة بأنها مباركة ، كثيرة الخير ، جالبة للنفع، تفيض بالأنوار الإلهية ، والنفحات الربانية ، قال تعالى :

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾[2] .

● الأمر الثالث الذى نالت به هذه الليلة تلك المنزلة العليا : أشار إليه الله تعالى بقوله ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ ففى هذه الليلة تنزل الملائكة وجبريل إلى الأرض بأمر ربهم من أجل كل أمر قَدَّره الله تعالى وقضاه لتلك السنة إلى السنة التى تليها من آجال وأرزاق وغير ذلك .

---

(١) سورة الإسراء : ١٠٦ .
(٢) سورة الدخان : ٣ .

● الأمر الرابع لهذا التفضيل : هو أنها سَلامٌ ، أى سالمة من أول يومها إلى طلوع الفجر ، تشل فيها حركة الشيطان ، فلا يستطيع أداء دوره فى الإغواء والأذَى ، وتُسَلِّم فيها الملائكة على المؤمنين ، ولا يقدر الله تعالى فيها إلا الخير والسلامة لجميع الآدميين.

● الأمر الخامس من هذه الأمور : أن من قامها إيماناً واحتساباً غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه ، قال ﷺ : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه »(١).

● الأمر السادس لهذا التفضيل : أن هذه الليلة دائمة وإلى يوم القيامة، لِيُتَاحَ لكل الأجيال المتعاقبة إلى قيام الساعة اغتنامُ فوائدها ، والفوز بجوائزها ، قال مرثد : سألت أباذر ، قلت : كيف سألت رسول صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر ؟ قال: أنا كنت أسأل الناس عنها، قلت : يارسول الله ، أَخْبِرنى عن ليلة القدر : أفى رمضان هى أو فى غيره ؟ قال : « بلى ، هى فى رمضان » قلت : تكون مع الأنبياء ماكانوا ، فإذا قُبِضُوا رُفِعَتْ أم هى إلى يوم القيامة؟ قال : «بلى ، هى إلى يوم القيامة» .

هذا ، وقد ورد فى تحديد تلك الليلة آثار كثيرة ، قيل : ليلة سبع عشرة، وقيل : ليلة تسع عشرة ، وقيل : ليلة أربع وعشرين ، وقيل : ليلة خمس وعشرين ، وقيل : ليلة سبع وعشرين .وقيل : هى فى الوتر من العشر الأواخر ، لقوله ﷺ : « تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان »(٢) .

وليس فى ذلك أى تناقض ، فلعل الحكمة فى عدم تحديد ليلة بعينها أن يدفع ذلك المسلمين إلى دوام العبادة فى كل ليالى هذا الشهر ؛ حتى يضمنوا وقوع عبادتهم فى تلك الليلة وفوزهم بجوائزها الربانية التى لا تعدلها كل خيرات الدنيا !!

أيها المسلمون ، قد يسأل سائل : هل لتلك الليلة علامات ؟ وماهى؟ وجواب ذلك ما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر : ليلة سمحة طلقة ، لاحارَّة ولاباردة ، وتصبح شمس صبيحتها ضعيفة حمراء . وروى عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنى رأيتُ ليلة القدر،

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخارى .

فَأُنسِيتُها ، وهى فى العَشرِ الأوَاخرِ من رمضان ، طَلِقَةٌ بَلجةٌ ، لا حارة ولا باردة ، كأن فيها قمراً ، لا يخرج شيطانها حتى يضىء فجرها » .

وفى رواية الإمام مالك رضى الله عنه بالموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « أُرِيتُها ثم أُنْسيتُها ، فالتمسوها فى العشر الأواخر ، كل ليلة وترٍ منها » .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ وأَقبِلوا على طاعته وعبادته فى هذا الشهر الكريم بكل أيامه ولياليه ، حتى تتأكدوا أنكم ظفرتم بتلك الليلة وأحييتموها بما هى أهل له ؛ لتفوزوا بما وعد الله تعالى عباده فيها من غفران للذنوب ، ومن جوائز ربانية سخية: ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ (١). قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صَلى الله عليه وسلم إذَا دخل العشر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر»(٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المؤمنين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو البر الرحيم .

(١) المطففين ـ من الآية : ٢٦ .

(٢) متفق عليه .

وداع رمضان

الحمد لله الأول والآخر ، والظاهر والباطن ، وهو بكل شيء عليم ، وأشهد أن لا إلهٰ إلا الله وحده لا شريك له ، جعل لكل شيء غاية ، ولكل بداية نهاية .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله خاتم المرسلين ، وإمام النبيين ، اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، هاهو ذا رمضان قد آذن بوداع ، وما هى إلا أيام ـ أو ساعات ـ معدودات ، ثم يرحل عنا ، كما رحل قبله رمضانات ورمضانات !!

وتلك سُنَّةُ الله فى خَلْقِه ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ، كل كائن إلى فناء ـ إنساناً كان أم حيواناً أم نباتاً أم جمادًا ـ لكل كائن منها دورة حياة تكون نهايتها الفناء ، فالإنسان يقول فيه خالقه وبارِئُهُ ومُصَوِّرُه : **﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾**(١).

ترى ، ماذا ينتظر الإنسان بعد أن يبلغ من الكبر عتيًّا ؟ إنه الموت الذى تنتهى به دورة حياته ، وعلى هذا النحو تتعاقب الأجيال ، جيلاً إثر جيل ، حتى قيام الساعة .

وكذلك الحيوانات مهما عاشت فإن نهايتها الفناء ، ومثلها النبات ، ينبت ثم يهيج، ثم تراه مُصْفَرًّا ، ثم يكون حطاماً !

بل العالم كله مصيره الفناء يوم تقوم الساعة ، استمعوا لقوله تعالى : **﴿الْقَارِعَةُ**

---

(١) سورة الروم : ٥٤ .

﴿(١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾ (١).

أجل ، رمضان يحتضر ، وعما قليل سيفارق الدنيا ، ويترك الناس أصنافاً : صنفاً وفَّقَهُ الله تعالى ، فصام نهاره ، وقام ليله صلاة وذكراً ودعاء، وأَمْسَكَ لسانه عن فحش الكلام ولَغْوِهِ ، وزانهُ وحلاَّه بقراءة القرآن، والصدق ، والذكر ، والشكر ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر، وطَهَّرَ قلبه من الحقد ، والضغينة ، والحسد ، والانتقام، والقسوة، والكبر، وملأه بالحب والرحمة والسلام، والتسامح، والتواضع، والبر ، وكف يده عن الإيذاء ، وصان جوارحه عن الإثم والاعتداء ، أى أعطى الصيام كل حقوقه فى خشية لله وحياء منه، وطمع فى أن يتقبل الله صومه وعبادته ، ويكافئه بجوائز الستر والرضا ، ويجعله من المقبولين الموعودين بجنات النعيم .

وأما الصنف الثانى فهم من أفطروا رمضان أو بعضه دون عذر، بل جاهروا بفطرهم، وأطلقوا لجوارحهم العنان ، فبغَوْا ، واعتدوا ، وارتكبوا الفحشاء والمنكر ، ولم يستحوا من الله تعالى ، وعاثوا فى الأرض فساداً ، وسعَوْا فى خرابها ، أولئك حزبُ الشيطان ، ألا إن حزب الشيطان هم الخاسِرُونَ ، الذين بَاءُوا بالخِزْيِ وغضب الله تعالى فى الدنيا ، وسيصْلَوْن فى الآخرة نارًا حامية ، تُسْقَى من عين آنية ، نارًا تَلظَّى ، لا يصلاها إلا الأشْقَى الذى كذَّبَ وتولى ، أدعو الله تعالى ألاَّ يكون بيننا أحد من هذا الصنف الخاسر الملعون !

وأما الصنف الثالث فناسٌ صاموا ، ولكنهم لم يعملوا ببعض آداب الصيام ومقتضياته ، واقترفوا بعض الصغائر والهفوات ، فعسى الله تعالى أن يتوب عليهم ، ويعفو عنهم ، ويتقبل صيامهم .

فليكن كل منا على نفسه بصيرة ، وليتأمل ظاهره وباطنه ، ولينظر كيف تعامل مع رمضاننا هذا الموشك على النهاية ، وليواجهها ويصارحها ويحاسبها ، وَيزِن أعماله قبل

---

(١) سورة القارعة ـ من ١ إلى ٥ .

أن تُوزَنَ عليه ، فاليـوم عَمَلٌ ولا حِسَاب ، وغدًا حسابٌ ولا عَمَل : فـإن وجد نفسه من الصنف الأول فلْيفرح بنعمة الله تعالى وتوفيقه، ولْيُداوِم الطاعة والتقوى ، وليدْعُ غيره أن يكون مثله ؛ ليفوز مثله بما فاز به .

وإن كان من الصنف الثانى ، فليرجع إلى ربـه ، وليندم على ما كان منه، وليقلع عما ارتكبـه من الذنوب والآثام ، وليكفـر عن سيئاته،وليتب إلى الله تعـالى توبة نصوحـاً ولْيَقْضِ ما فاته من الصيام ؛ عسى الله تعالى أن يتوب عليه ؛ إنه هو التواب الرحيم.

وإن كان من الصنف الثـالث فليعزِمْ على هجر ما بدر منه من صغـائر وهفوات ؛ حتى يلحق بالكرام البررة الذين أعطوا الصيام حقه كاملا غير منقوص .

أجل ، أيها الإخـوة المسلمون ، عَمَّا قليل سيرحل عنـا رمضان ، ولسـوف يأتى فى العام القادم رمضانه ، ولا يدرى أحد منـا أيكون إذْ ذاك حيًّا أم يكون قد فارق دنياه ، وإذا كان حيًّا فإنه لا يدرى أيكون سليماً أم مريضاً ، شقيًّا أم سعيدًا ، قادرًا على الصيام أم عاجزًا عنه !!

وداعاً ، وداعاً يارمضان ، وإن يكن لنا إليك من رجاء فهو أن تكون شاهداً لنا لا علينا يوم يقـوم الأشهاد ، يوم تذهـل كل مرضعـة عما أرضعتْ وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى ومـا هم بسكارى ، يوم يفر المرء من أخيه ، وأمـه وأبيه ، وصاحبتـه وبنيه ، لكـل امرئٍ منهم يومئذٍ شأن يغنيـه ، يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذٍ لله ، يومِ تجدُ كل نفس ما عملتْ من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينَها وبينه أمدًا بعيدًا !!

أيها الإخـوة المسلمـون ، شـاءت حكمـة الله تعـالى أن يوجـب فى نهاية رمضـان نوعاًمن الزكاة خاصاً به ، هو زكاة الفطر ، يؤديها الصائم تزكيةً لصيامه ، وتوسعةً على من يستحقونها ؛ لتطيب نفـوسهم ، وتطهر من الحسد والحقـد على الأغنياء قلوبهم ، ويستقبلوا العيد كغيرهم بما ينبغى له من البهجة والسرور .

كما شاءت حكمتـه تعالى أيضـاً أن يجعل اليوم الذى يعقـب الصيام عيدًا هـو عيد الفطر ؛ ليكون يوم فَـرَحٍ وسرور ، يفـرح فيـه المسلمـون أنْ أعـانهم الله تعـالى على صيامهم نهار رمضـان ، وإحيائهم لَيْلَهُ بالعبـادة والذكر ، والدعـاء والشكر ، وقراءة

obeikandl.com

القرآن ، ولا سيما ليلة القدر التى أنزل الله تعالى فيها القرآن ، وجعل ثواب العبادة فيها خيرًا من ثواب عبادة ألف شهر ، إذ يقول ـ جل شأنه : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾(١).

فلنبادِرْ فى ذلك اليوم السعيد إلى مواساة البائسين ، وتفريج كَربِ المكروبين ، وإعطاء المحرومين ، وإسعاد الأيتام والمنكسرين ، ولْنُقَدِّمْ لهم ما نستطيع فوق زكاة الفطر ؛ ليشعروا أن لهم إخوة فى الدين ذوى قلوب رحيمة لا ينسونهم ، ولا يحرمونهم مَوَدَّتَهُم وعطفهم ، وليزول ما علِق بنفوسهم من مشاعر البغضاء والحسد والحقد على الأغنياء ، وليشعروا مثلنا بالسعادة، ويشاركونا فى بهجة العيد .

ولْنَصِلْ فيه الأرحام ؛ لأن صلتهم شعيرة مُثلَى من شعائر الإسلام ، ففى برِّهم تأكيد للصلة ، واعتراف بحقها ، قال صلى الله عليه وسلم : « الرَّحِمُ مُعَلَّقَة بالعَرش، تقول : من وَصَلَنى وَصَلَهُ الله ، ومن قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله » (٢).

أجل ، أيها المسلمون ، لِنفرَحْ بمقدم العيد ، ولنجعله فى صورة يرضاها الله تعالى ورسوله ، ويأباها الشيطان وحزبه ، لنَقْضِ ليله فيما يُرْضِى الرحمن ، ويغُضب الشيطان ، ولْنتركْ اللهو والمجون ، والسهرات الشيطانية الآثمة ، التى تهلك الصحة، وتتلف المال ، وتدنس النفس ، وتلوث السمعة ، وتغضب الله فى علاه !

ولْنَعْتَدِلْ ونتوسطْ فى طعامنا وشرابنا ، فلا إسراف ولا تقتير ، حتى لاترتبك معداتنا وأمعاؤنا بشىء من ألوان الطعام والشراب ، وحتى نحتفظ بتوازننا ونجنب أنفسنا آفات الإفراط فى الطعام والشراب ،فالْبِطْنَةُ أُسُّ الداء ، والحِميَةُ رأس الدواء .

وقد سَنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم صوم ستة أيام من شوال فاصلا بين الصيام المتتابع فى رمضان ، والفطر المتوالى فيما بعد رمضان ، إذْ حَثَّ الرسول صلى الله عليه وسلم على صيام هذه الأيام ؛لما يناله صائمها من جزيل الثواب ،

---

(١) سورة القدر .

(٢) متفق عليه .

حيث يقول : «من صام رمضان ، ثم أتبعه ستًّا من شوال كان كصيام الدهر »[١] .

فمن استطاع منكم أن يصومها فليفعل ؛ ليدخر أقصى ما يستطيع من الثواب قبل أن يعجز عن الصيام لشيخوخة أو مرض أو غيرهما .

أما عبادة الله تعالى ـ وبخاصة الصلاة ـ فيجب أن نُواظِبَ عليها بعد رمضان ، فَرَبُّ رمضانَ المعبودُ هو ذاته ربُّ سائرِ الشهور ، غير أنه خَصَّ رمضان بمزيد من العبادة ، وبليلة القدر التى أنزل فيها كتابه الكريم .

وإذا كان رَبُّ رمضان هو رب سائر الشهور فما بال قوم لايصلون إلا فى رمضان؟! فهل هم يجهلون أن الصلاة واجبة الأداء فى كل الشهور والأيام ؟ ألا ساء مايفعلون !!

فَليتقوا الله وليخشَوا يوما تتقلَّب فيه القلوب والأبصار ، ولْيُؤَدُّوا فرائض الله فى أوقاتها المحددة لها ، حتى لا يبوءوا بلعنة الله تعالى وملائكته والناس أجمعين .

اللهم تَقَبَّل صيامنا وقيامنا وذِكْرَنا يارب العالمين . اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فاَعْف عنا ، اللهم أَعِد علينا هذا الشهر الكريم ونحن لك مطيعون وللشيطان مخالفون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) رواه مسلم .

عيد الفطر

الحمد لله واللّه أكبر ،اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، ولله الحمد .

اللّه أكبر ما هَبَّت نسماتُ العيد تنشرِ فى الكون عبير الفرح والسرور !

اللّه أكبر ماأقبل العيد ليملأ قلوب المؤمنين بالبشْرِ والنور !

اللّه أكبر ما استقبله المسلمون فى كل بقاع الدينا بكل الشوق والحنين!

الحمد لله الذى أكمل لنا ديننا ، وأتم نعمته علينا ، ورَضِى لنا الإسلام دينا ، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لاشريك له ، أعاننا على أداء صيام رمضان ؛ لأنه لايكلف نفساً إلا وسعها ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، خَيْرَ مَنْ صَلَّى وصامَ وقامَ ، وجاهدَ فى سبيل الله ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه ما أهَلَّت على المسلمين أعيادهم، وما أشرقت الأرض والسموات بنور ربهن .

أما بعد ـ أيها المسلمون ـ فإن الله سبحانه وتعالى جعل يومنا هذا عيدا، ومكافأة ربانية على ما قدَّمنا طوال شهر رمضان من صيام امتنعنا فيه عما منعه الله فيه بكل رضا واقتناع وارتياح ، وقضينا لياليه فى القيام ، وقراءة القرآن ، وذِكر الله تعالى وشكره ، ملبين قوله جل ذكره : ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ (١) .

أجل ، جعله الله تعالى يوم فرح وسرور ، ابتدأناه بخير ما يُبْتَدَأُ به يوم ، بالتكبير والتهليل والتحميد لله عز وجل .

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، لاإله إلا اللّه ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ولله الحمد.

---

(١) سورة البقرة ـ من الآية : ١٨٥ .

أجل ، جعله الله تعالى يوماً يتواصل فيه المسلمون : فيتصالح المتخاصمون ، ويتقارب المتباعدون ، ويتزاور المتقاطعون ،وتتوثق عُرَا الإخاء والمحبة والسلام ، وتأتلف القلوب ، وتصفو النفوس ، وتبتهل إلى الله أن يتقبل عبادتها له طوال شهر رمضان وغيره ، وأن يعيد أمثال هذا العيد عليهم وهم فى أوطانهم آمنون ، وعلى منهج ربهم سائرون ، وبرضا ربهم فائزون ، عسى أن يتقبل دعاءهم الذى حثهم عليه بعد أمره إياهم بالصيام ، ووعدهم أن يستجيبه حيث يقول ـ جل شأنه ـ :

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١) .

هذا هو العيد، وهذه هى مظاهر التعبير الصحيح عن الفرح به، ولكن ما بالنا نرى كثيراً من الناس قد انحرفوا فى طرق التعبير عن هذه البهجة ، ناسين تكبير الله تعالى ، وذكره وشكره ، ودعاءه ، وصلة أرحامهم ، والعطف على الفقراء والمساكين ؟!

ما بالنا نرى ناسًا حصروا فرحتهم بالعيد فى التهام ألوان الطعام والشراب بشراهة، حتى يصابوا بالتُّخَمَةِ وأمراضها ، وبجوارهم فقراء لا يجدون ما يسدون به رمقهم؟!

ما بالنا نرى من يعبرون عن فرحتهم بالعيد بفقدان الحياء وتقوى الله، وإتيان ألوان الخلاعة والمجون علانية فى الشوارع والحدائق والمتنزهات ؟!

ما هذه الأغنيات الساقطة ؟ ما هذا الاختلاط الممجوج ؟ ما هذا الرقص القبيح المثير للغرائز ؟ ما هذه الإباحية والاستهتار وارتكاب المحرمات ؟!

إذا كنتم تقلدون الغرب فى ذلك متحدِّين القيم والتقاليد والعادات الإسلامية الصحيحة ـ فَهَلاَّ قلدتموهم فى جدِّهم ودَأْبِهِم على العمل والاختراع، والتسابق فى شتى ميادين العمل والإنتاج؟ هَلاَّ أخذتم الحسَنَ من أمورهم كما أخذتم السيئ القبيح؟

هلا عملتم على أن يتوافر للمسلمين فى كل بلادهم اكتفاء ذاتى فى الطعام والسلاح وكل مطالب الحياة ، حتى لا يستغلوا حاجتنا إليهم فى ذلك ، فيفرضوا علينا سياستهم ووجهات نظرهم ، ويسلبونا الاستقلال فى اتخاذ قراراتنا المصيرية ويمتصوا

---

(١) سورة البقرة : ١٨٦ .

أموالنا فى شرائنا منهم ما ينتجون ويصنعون ؟!

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد ، قال صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم الفطر وقفت الملائكة على أبواب الطرق، فنادوا : أُغْدُوا - يامعشر المسلمين - إلى ربٍّ كريم ، يمنُّ بالخير ، ثم يثيب عليه الثواب الجزيل ، لقد أُمِرْتُمْ بقيام الليل فقمتم ، وأُمِرْتمُ بصيام النهار فصمتم ، وأطَعْتُم ربكم ، فاقبضوا جوائزكم، فإذا صلوا نادى مناد : ألا إن ربكم قد غفر لكم ، فارجعوا راشدين إلى رحالكم، فهو يوم الجائزة » .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

الخطبة الثانية لعيد الفطر

الحمد لله والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، ها هو ذا شهر رمضان قد انتهى ، وفاز فيه من فاز ، وخاب من خاب ، ولكن هل يعنى انتهاء رمضان أن تنتهى طاعتنا لله ، ونتوقف عن الصلاة والقيام ؟ لا والذى نفسى بيده، إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، وإن عبادة الله تعالى وذكره وطاعته مطلوبة فى كل الشهور ، وإن كان رمضان يتطلب زيادتها ، فالمعبود فى رمضان هو الواحد الديان المعبود فى كل الشهور والأيام حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها .

ما بالنا نرى بعض الناس لا يُصَلُّون إلاَّ فى شهر رمضان ، وبانتهائه يتوقفون عن الصلاة ، ألا بئس ما يصنعون !

إنهم بذلك يأثمون ، ويبوءون بلعنة الله تعالى وغضبه فى الدنيا والآخرة .

ما بالنا نرى بعض الناس بعد رمضان يرفثون ويصخبون ويتسابُّون ،متعللين بأن شهر الصيام قد انتهى !!

أجل ، إنه انتهى ، ولكن الفضائل والقيم الإسلامية دائمة ، لاتنتهى بانتهاء رمضان ، بل هى باقية بقاء الإسلام .

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر وللّه الحمد .

أيها الإخوة المسلمون ، لعل من اعتادوا التدخين يحاولون التحكم فى إرادتهم ، فيسيطرون على هواهم ، ويقلعون عن التدخين بعد رمضان ؛ ليحفظوا صحتهم وما لهم، ويكونوا قدوة حسنة لأهلهم ولغيرهم .

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ،اللّه أكبر وللّه الحمد .

أيها المسلمون ، لقد سَنَّ رسولنا صلى الله عليه وسلم صيام ستة أيام من شوال ؛ ليكثر الله تعالى ثوابنا ، ويزداد شكرنا له ، فيضاعف لنا الحسنات ، وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها فإننا بصيامنا رمضانَ وستًّا من شوال نكون قد أتممنا ـ فى الغالب ـ ستة وثلاثين يوماً ، نضربها فى عشرة ، فتصير ثلاثمائة وستين يوماً ، أى عاماً تقريباً ، وبصيامنا كل عام رمضان وستًّا من شوال حتى نلقى الله تعالى يكون ذلك كصيام الدهر . وذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ صامَ رمضان ، ثم أتبَعَهُ ستًّا من شوال كان كصيام الدهر »(١).

فمن يستطيع صيام هذه الأيام ، فلا يضيع هذه الفرصة من يده ، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم .

اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، اللّه أكبر وللّه الحمد .

أيها المسلمون ، إنِّى داعٍ فأمِّنُوا ، عسى الله أن يستجيب دعاءنا فى هذه الأيام التى تتفتح فيها أبواب السماء :

اللهم إنك عَفُوٌّ تحب العَفْوَ فاعفُ عنا ، اللهم تقبل ما أدينا من صيام وقيام وزكاة وصَدَقَةٍ وبرٍّ وطاعة ، اللهم إنَّا نسألك من خير ما سَأَلَكَ منه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . ونستعيذك من شر ما استعاذ منه نبيك محمدٌ ﷺ .

---

(١) رواه مسلم .

ربنا آمنا بما أَنْزَلْتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشاهدين ، ربنا اغفر لنا ذنوبنا ، وكَفِّرْ عنَّا سيئاتنا ، وتوَفَّنَا مع الأبرار .

ربنا أعد علينا وعلى المسلمين فى شتى مشارق الأرض ومغاربها أمثال هذه الأيام ونحن فى خيرٍ ومحبة وسلام وعزَّةٍ ومَنَعَة .

اللهم اهدنا صراطَكَ المستقيم ، وأعِنّا على أن نكون خير أمة أُخرِجَتْ للناس ياأكرم الأكرمين .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، وكل عام وأنتم بخير والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

obeikandi.com

حقوق الجيران

الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ به من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا ، مَنْ يَهْدِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضْلِلْ فلا هَادىَ له ، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لاشريك له ، أَلَّفَ بين قلوب المؤمنين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، كان جواره أكرم جوار ، كما كان جاره أسعد جار !

اللهم صَلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه أجمعين .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، قد اقتضت سُنَّةُ الحياة أن يعيش الإنسان فى مجتمع تربط أفراده بعضهم ببعض علاقات شتى ، حيث يتعامل بعضهم مع بعض ، ويتبادلون السلع والخدمات والمنافع والمصالح التى تتطلبها حياتهم ولا تستقيم إلا بها ، ومن ثَمَّ كان من الطبيعى أن يتقارب بعضهم من بعض ، وأن تتجاور مساكنهم مكوِّنة القُرَى والمدن الكبيرة والصغيرة ، وأن تنشأ علاقات خاصة بين كل واحد منهم ومن يجاورونه من جميع الجهات ..

ومن نعمة الله على الناس أن الإسلام لم يهمل هذه العلاقات ، بل نظمها فيما نظم من مختلف العلاقات التى تربط المسلم بغيره من الناس مسلمين وغير مسلمين ، وجعل للجيران بعضهم على بعض حقوقاً لازمة الأداء .

والجيران ـ من حيث الحقوق ـ ينقسمون إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول: جار له ثلاثة حقوق، وهو الجار المسلم المرتبط مع جاره بصلة القرابة.

والنوع الثانى : جار له حقان ، وهو الجار المسلم .

والنوع الثالث: جار له حق واحد، وهو الجار غير المسلم الذى لا تربطه بجاره قرابة.

وقد قرر الإسلام هذه الحقوق ؛ ليستقيم أمر الجوار ، ويتم التعاون بين الجيران على أسس من البر والتقوى .

ثم ربط بين الإيمان وبين أداء حقوق الجار ، فلا يكتمل الإيمان حتى يؤدى المؤمن حقوق الجوار ، ويكف عن جاره أذاه .

أما هذه الحقوق فقد ذكرها القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة : يقول الله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ (١) ففى هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى بالإحسان إلى الجار القريب، والجار البعيد ، والإحسان هو مِلَاكُ العلاقة التى تربط الجار بجاره ، وله مظاهر كثيرة :

● من الإحسان إلى الجار ألاَّ يستطيل جاره عليه فى البنيان إلا بإذنه ؛ لأن هذه الاستطالة تحجب عن مسكن الجار أهم ما يجب توافره فى المسكن الصحى ، وهو الشمس والضوء والهواء ؛ إذ تجعله مختنقاً يضيق به صدر ساكنه ، ويمتلئ بالسخط والغضب على جاره الذى أهدر حقه ، وسبَّب له هذا الإيذاء ، ويتعكر صفو جيرتهما ، وينفر كل منهما من رؤية جاره !

● كما يجب على الجار نحو جاره أن يُكنَّ له الحب والإخلاص والاحترام ؛ لتصفو النفوس ، وترق القلوب ، وتتقارب الأفكار ، وتزهو الحياة ، قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « لاتدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تَحابُّوا »(٢).أما العداوة وانعدام الإخلاص والاحترام فهى أقصر سبيل إلى تلبد الغيوم فى سماء الجيرة ، وإلى قسوة القلوب وتنافرها ، وتباعد الاتجاهات .

● وعلى الجار أيضاً أن يعطى جاره الشعور بالأمن على نفسه وعقيدته وأهله وماله وعرضه ، حتى يرتاح باله ، ويطمئن قلبه ، أما إذا عاش جاره مُهَدَّدًا ، لايتوقع

---

(١) سورة النساء : ٣٦ .

(٢) رواه مسلم .

ولا يرى منه إلا السوء والأذى ، فالويل كل الويل له ؛ إنه بذلك يتزلزل إيمانه ، ويحرم نفسه من الجنة ، فيحارب الله ورسوله ويؤذيهما ، قال رسولنا ﷺ: « واللَّه لايُؤْمن ! واللّه لايؤمن ! واللّه لايؤمن ! قيل : مَنْ يارسول الله ؟ قال : الذى لا يَأْمَنُ جاره بَوَائِقه »[١] .كما قال : « من آذى جاره فقد آذَانِى ، ومن آذَانِى فقد آذى اللَّه ، ومن حَارَب جارَه فقد حاربنى، ومن حاربنى فقد حارب الله عز وجل » [٢] .

● ومن مظاهر الإحسان إلى الجار أيضاً ألاَّ يتكبر جار على جاره ؛ بما منحه الله تعالى من غِنًى أو قوةٍ أو جاهٍ أو منصب أوسلطة أو كثرة أولاد ؛ لأنه بتكبره عليه يجرح كرامته ، ويجعله يستشعر الدونية .

● ومن هذه المظاهر أن يكرم الجار جاره، وبالأخص إذا كان محتاجاً إلى الإكرام؛ لأن الكَرَمَ من شيم المؤمنين ، فلا يليق بالجار الغنى القادر أن يتقلب فى النعمة ، ويتناول أطيب الطعام والشراب بإسراف وبذخ هو وأهله وخدمه وقططه وكلابه التى يقتنيها للزنية والمباهاة والتفاخر ، بل يقذف فى صناديق القمامة ـ تظاهراً وتفاخراً بالغنى ـ طعاماً طيبًا أمام جيرانه الذين يشتهونه ويتمنون لو قدَّمه إليهم وهم يتضوَّرون جوعاً هم وأولادهم ، ولا يجدون مايسد الرمق ، ويمسك الحياة ، دون أن يلين لذلك الغنى جانب ، أو يرق له قلب ، أو تتحرك مشاعره نحوهم !!

ألا يعلم ذلك الغَنِىُّ البَطِرُ ، الحجرى القلب أن الفقر لا يدوم ، وأن الغنى لايدوم، وأن دوام الحال من المحال ، فقد تدور عليه الدوائر ، ويُفارقه غناه ، فى حين أن جاره الفقير قد يغنيه الله بعد فقره ، وإذ ذاك يعض ذلك الغنى الذى فارقه غناه أصابع الندم؛ لأنه لم يقدم من المعروف وهو غنى ما يجد جزاءه الآن وهو فقير ؟ !!

ألم يقرأ أو يسمع أن أكرم الكرماء محمداً ﷺ قال لأبى ذر : « يا أباذر، إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ، وتَعَهَّدْ جيرانكَ » [٣].

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٣) رواه مسلم .

وفى رواية له : عن أبى ذر قال : إن خليلى ﷺ أوصانى : « إذا طبخت مرقاً فأكثِرْ ماءه ، ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأَصِبهم منها بمعروف »، كما قال ﷺ : « ما آمنَ بى منْ باتَ شبعانَ وجارُه جائعٌ إلى جنبه وهو يعلم» [1]!

● ومن حسن الجوار أنه إذا أخطأ جارٌ فى حق جاره أن يتجاوز عن هفوته، ويغفر له زلته إن لم تكن كبيرة خطيرة ، ولْيُسامِحْهُ ، ويكنْ حليماً معه إذا جَهِلَ ؛ لعل ذلك يكون أدعى إلى صلاحه من الانتقام والمقاطعة، قال تعالى :﴿ **وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**﴾[2] .

● هذا، ويجب على الجار أَلَّا يبخل على جاره بالنصح إذا كان فى حاجة إليه ، وأن يشير عليه بما فيه الخير ، وألاَّ يكتم مشورته عنه مُتَعَلِّلاً بأية تَعِلَّةٍ من التعِلاَّت ، فعن طريق النصح والتشاور يتعاون المسلمون على البر والتقوى ، ويهتدون إلى حل كثير من المشكلات التى تواجههم ويعجز أحدهم منفرداً عن الوصول إلى حلها ؛ ففى الحوار وتقليب الأمر على وجوهه يستطيع المتحاورون والمتبادلون للآراء إصابة كبد الحقيقة، ولولا أهمية المشورة لما أمر الله تعالى بها رسوله ﷺ بقوله : ﴿**وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ**﴾.[3] ولما قال فى شأن المؤمنين : ﴿**وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ**﴾.[4]

● كما أن من حق الجار على جاره أن يرشده إذا ضل ، ولا يتركه متبعا خطوات الشيطان ؛ لأن فى صلاح جاره صلاحاً له ، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أجَلِّ قيم شريعتنا الغراء ، قال تعالى : ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾.[5] وبذلك تشيع فى المجتمع الإسلامى الفضائل ، وتزول الرذائل، خلافاً للمجتمع اليهودى الذى استحق اللعنة؛لعدم أمره

---

(١) رواه الطبرانى فى الأوسط .

(٢) سورة فصلت : ٣٤ .

(٣)سورة آل عمران ـ من الآية : ١٥٩ .

(٤) سورة الشورى ـ من الآية : ٣٨ .

(٥) سورة التوبة ـ من الآية : ٧١ .

بالمعروف ونهيه عن المنكر ، كما فى قوله تعالى : ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.(١)

● والمرء فى هذه الحياة معرض أن تفاجئه المصائب ، وتباغته الكوارث ، وأن يعجز عن مواجهتها وحده ، فيتلفت مستغيثاً مستجيرًا .

تُرَى من يكون أقرب الناس إليه ، وأسمعهم لاستغاثته ، وأخفهم إلى نجدته ؟

إنه الجار ! أجل ، إنه الجار الذى يكون إذ ذاك أقرب إليه من أقاربه الذين يسكنون بعيداً عنه ، فيسرع إلى الوقوف بجانبه فى شدته ، ويواجِه معه ما نَزَلَ به ، ويأخذ بيده حتى ينقذه ويذهب عنه الفزع ، وُيفَرِّج كَرْبَهُ ، ويصرف عنه السوء ، فالجار ـ إذن ـ هو الأخ الحق كما قال القائل:

إن أخاكَ الحقَّ مَن كان معْك

ومَنْ يضُرُّ نَفْسَهُ لينفعكْ

ومن إذا رَيْبُ الزمان صدعكْ

شتَّت شَملَ نَفْسِهِ ليجمعكْ

وإذا كان وقوف الجار مع جاره فى شدته واجباً ، فلا شك أن مشاركته إياه فى مسراته من أجمل أنواع المجاملة ؛ لأن الفرح يزداد بكثرة المسرورين، ولتعوضه هذه المشاركة فى السرور عمَّا أصابه أو قد يصيبه من مشقة بسبب وقوفه معه لدى الشدائد.

● ومن حق الجار على جاره أيضاً أن يُقْرِضَهُ المال عند حاجته إليه ، وألاَّ يأخذ رباً عن هذا القرض ؛ لما لِلرِّبَا من إثم عظيم، أشار إليه الله تعالى فى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا

---

(١) سورة المائدة : ٧٨ , ٧٩.

بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلاتُظْلَمُونَ ﴾(١).

أجل ، يجب أن يُقرضه قرضاً حسناً ، ولا يتعجل الاقتضاء ، ولْينتظرْ حتى تتيسر حال جاره ؛ امتثالا لقوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢) وإذا تقاضاه الدَّين فليكن سمحًا فى ذلك ؛ فلا يليق به - مثلا - أن يُطالبه كُلَّ يوم ، أو يرفعَ صوته بالمطالبة، أو يطلعَ الجيران على ذلك ، أو يُشَهِّرَ به ويشكوه وهو يعلم أنه معْسِرٌ ، أو يعاديه ويتعدَّى على نفسه أو ماله أو أهله أو عرضه ، أو يسبه ويشتمه ، أو يعايره ، إلى آخر ما نرى كثيراً من المتقاضين لديونهم يفعلونه ، قال الرسول ﷺ مبيناً أن السماحة هى الطريقة المُثْلَى لذلك : « رحم الله امْرَأً سَمْحاً إذا بَاعَ وإذا اشترى ، وإذا اقتضى »(٣).

● ومن القيم الإسلامية السامية ألاَّ يتتبع المؤمن أُمور أخيه - وبخاصة إذا كان جاره - إلا إذا كان ذلك التتبع للإصلاح ، فلا بأس به ، على أن يعلم الجار ذلك .

●ومما يجب على الجار نحو جاره ألاَّ ينظر إلى أهل جاره ، وأن يصونهم فى حالة غيابه عنهم ؛ لأن الحفاظ على أهل الجار كان من أخلاق العربى الحميدة فى الجاهلية ، والتى جاء الإسلام فأقرها ، استمع معى إلى أحد شعرائهم إذ يفخر بذلك :

ولستُ بسائلٍ جارات بيتى ... أَغُيَّابٌ رجالك أم شهودُ ؟
ولا ألقى لذى الودعات سَوطِى ... لأُلْهِيَهُ ورِيبَتَهُ أُرِيدُ (٤)

بل إذا اعتدى أحد على جاره أو أهله فعليه أن يدفع ذلك العدوان بما أُوتىَ من قوة ، وأن يساند جاره مادام على حق ، فذلك ما هدانا إليه الهادى البشير محمد ﷺ إذ يقول:

---

(١) سورة البقرة - الآيتان : ٢٧٨ , ٢٧٩.
(٢)سورة البقرة : ٢٨٠.
(٣) رواه البخارى .
(٤) ذى الودعات : كناية عن الطفل الصغير .

obeikandi.com

« المسلم أخو المسلم ، لا يظلمه ، ولا يُسْلمه ، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ، ومن فَرَّجَ عن مسلم كُرْبةً فَرَّج الله عنه بها كربة من كُرَبِ يوم القيامة ، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة »(١).

● وإذا اعترى الجار مرض فعلى جاره أن يعوده ، ويُحضر له الطبيب، أو يأخذه إلى أحد المستشفيات الذى يعالج مرضه ، وأن يشترى الدواء ويدفع أجر الطبيب إذا كان قادراً وعجز جاره المريض عن ذلك .

● وأما إذا توفاه الله تعالى فعليه أن يشترك فى تشييع جنازته ، ومواساة أهله ، وتخفيف وَقْعِ المصاب عليهم ، ومساعدتهم فى حياتهم الجديدة بعد فَقْد عائلهم ، وقضاء حاجاتهم حتى تنتظم أمورهم ، وتستقر أحوالهم ، ويقدروا على تصريف شئونهم بعد رحيل عائلهم .

عن معاوية بن حيدة قال : قلت : يارسول الله ، ما حَقُّ الجار علىَّ؟ قال : « إن مرض عُدْتَهُ ، وإن مات شَيَّعْتَهُ ، وإن استقرضك أقرضْتَهُ ، وإذا افتقر عُدْتَ عليه ، وإذا أصابه خير هَنَّأْتَهُ، وإذا أصابته مصيبة عَزَّيْتَهُ ، ولا تَستطِلْ عليه بالبنيان ، فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، ولا تؤذِه بقَتار ريح قِدْرِكَ إلا أنْ تغرِفَ له منها ، وإن اشتريت فاكهة فَأَهْدِ له، فإنْ لم تفعل فأَدْخِلها سرًا، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده»(٢).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه يحب التوابين ويحب المتطهرين .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الطبرانى .

التوبـــة

الحمد للَّه البَرِّ التواب الرحيم ، وأشهدُ أن لا إلٰه إلا اللَّه وحده لا شريكَ له ، غافِرُ الذنب ، وقابِلُ التَّوْب ، يحب التَّوَّابين ويحُب المتطهرين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، كان يتوب فى اليوم مائة مرة،مع أنه معصوم من الذنوب ، مُبَرَّأٌ من الخطايا والعيوب ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارك عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الهداة المهديين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، إن الإنسان قد جاء إلى هذه الحياة بطبيعة بشرية ، رُكِّبَ فيها من الغرائز والعواطف والميول والرغبات المختلفة المتناقضة ما يُخرجه عن أن يكون مَلَكاً من ملائكة الله تعالى، وكُتِبَ عليه أن يعيش هذه الحياة المملوءة بضروب من الخيرات وضروب من الشرور والآثام ، ولكن الله تعالى ـ لعدالته ورحمته ـ لم يتركه فيها دون أن يبين له طريقى الخير والشر ، والهدى والضلال : ﴿**وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ**﴾.(١) كما منحه إرادة حرة يختار بها ما يشاء من هذين الطريقين ، دون أن يكون لأحد سلطة إجباره على سلوك أحدهما دون الآخر .

ولكن الإنسان على امتداد حياته ـ تتصارع بداخله نزعتان : نزعة الخير الذى يدعو إليه الله ورسوله وشريعته السمحة ، ونزعة الشر التى يدعو إليها الشيطان وأتباعه من المغوين ، إذ أقسم أن يضل كل الناس إلاَّ عباد الله المخلَصين ، قال تعالى فى ذلك: ﴿**قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾.(٢)

(١) سورة البلد : ١٠ .

(٢) سورة الأعراف ـ الآيتان : ١٦ ، ١٧ .

وقال أيضاً :﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾(١) .

إذَنْ الشيطان أقسم على إغـواء النـاس أجمعين ، إلا عبـاد الله المخلَصِين ، وقـد تضمنت هذه الآيات مـا صرح به الشيطان من سلوكه لإغـوائهم ، وهو التربُّص بهم لإيقاعهم فى مهـاوى الشرور والآثام : ﴿ لأَقْعُـدَنَّ لَهُمْ صِـرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾. وإتيـانهم من كل الجهـات : من الأمـام والخلف واليمين والشمال ؛ ليسـد عليهم كل طريق يسلكونه إلى الخير: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ ﴾ . والتزيين لهم فى الأرض لإغوائهم أجمعين .

خطة جـريئة وقحة من ثلاثة بنـود : الأول : التربص بالخلائق ، والثانى : إتيـانهم من كل جهة ، والثالث : تزيين السوء لهم للإيقاع بهم!!

ونتيجتها هى إغواء الناس أجمعين ، إلا عباد الله المخلصين !!

وهكذا انطلق الشيطان وأعوانه من الإنس والجن فى تنفيذها لتحقيق مـا هدفوا إليه، مستغلين ما رُكِّبَ فى طبيعة الإنسان من غرائـز وعواطف وميول ورغبات واتجاهات نحو الشر ، فزيَّنُوا له السـوء والمعاصى ، وضربوا على أوتار المتع واللذات والشهوات والأطماع!

قالوا له : لمن هذه المتع واللذات والشهوات والأمـوال وكل ما فى الدنيا إن لم تكن لكَ أنت ؟ وإن لم تنلهـا فى هذه الحياة فهـل تضمن أن تنالها فيها بعد ؟ إن غـداً غيب ، وليس لك إلاَّ الساعة التى أنت فيها ، أليس كذلك ؟

وهذا المال الذى فى يدك إن لم تنفقـه فى متع الحيـاة وملذاتها الحلوة ، فَفِيمَ تُنفقـه ؟ ومَن أحق منكَ بمالك ؟ وإن لم يكن معك مـال أو نفد مـالك ومازلت حيًّـا ، فأبواب الحصـول عليه وعلى المتـع مُفَتَّحَةٌ : اسرقْ واستـولِ على أمـوال الناس وأنت أحق بها منهم. ، اشرب الخمـر لتذهب الهمـوم والأحـزان ، اغتصب النساء لتطفئ شهـوتك

(١) سورة الحجر : ٣٩ , ٤٠ .

المتقدة ، اهتك الأعراض ، حارِبْ ، اقتُلْ ، استولِ على ممتلكات الناس بشتى الوسائل، ابتغِ الفسادِ فى الأرض ، حَطِّمْ كل الشرائع والقوانين والقيم والتقاليد التى تقف فى سبيلَ متعك وشهواتك وأطماعك ، حتى لا تعيش حياتك محروماً !!

بهذا وبغيره يُزَيِّنُ الشيطان وأعوانه السوء والفحشاء والمنكر والبغى !!

فمن تسلح بإيمانه القوى ، وجاَهَدَ نفسه ، وقاوَمَ هَوَاُه ، واتقى الله واستحيا منه وابتغى رضاه ، وقنع بنصيبه من الدنيا مع عمله على تحقيق مالم يتحقق من مناه ـ من كان كذلك لم يجد الشيطان وأعوانه إلى نفسه سبيلاً لإضلاله ، وعاش سعيداً مطمئن القلب ، معتقداً أن الدنيا ومتعها إلى زوال ، فما هى إلا ممر إلى دار المستقر ، وأن النعيم الحق إنما هو نعيم جنات الخلد التى أعدها الله تعالى للمتقين أمثاله ممن صدق إيمانهم، وصَفَتَ نياتهم ، وحسنت أقوالهم وأعمالهم .

وأَمَّا من غَلَبَهُ هواه ، وسيطرت عليه شهواته وأطماعه ، وخضع لِوَساوِس الشيطان وأعوانه ، ووقع فى حبائلهم فارتكب ما زينوه له من السوء والفحشاء والمنكر والبغى ، واستعبدته شهواته ، وتردَّى فى تلك المستنقعات ـ فإذا استمر على ما هو عليه من كفر ومعصية حتى جاءه الموت فقد حَقَّتْ علية كلمة العذاب ، وساءت عاقبته ، ولم تُقَبل له توبة، قال تعالى : ﴿**إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**﴾(١) .

وأما إذا استيقظ وعيه ، وصحا ضميره ، وصفَتْ نفسه ، وأدرك أن الشيطان قد أوقعه فى حبائله ، وأَضَلَّهُ عن الصراط المستقيم ، حتى أسرف على نفسه ، فأقلع عن المعاصى ، ونَدِمَ على فعلها ، وعزم على ألاَّ يعودَ إليها ـ فعليه ألاَّ يَقنَطَ من رحمة الله الذى يغفر الذنوب كلها ماعدا الشرك ، حيث يقول تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن**

---

(١) سورة النساء الآيتان : ١٧ ، ١٨ .

بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾(١)

ويقول تعالى: **﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾** (٢) . أجل، لقد فتح الله تعالى للمنيبين باب التوبة تفضلاً منه وكرماً ورحمة، إذ وصف نفسه بأنه تواب رحيم فى اثنى عشر موضعاً من كتابه، حسبى أن أذكر منها قوله تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾** (٣) كما وصف تعالى نفسه بأنه غفور رحيم فى اثنى عشر موضعاً أيضاً من كتابه، أكتفى منها بقوله:

﴿فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٤).

كما ورد ذلك فى كثير من الأحاديث النبوية الشريفة: قال صلى الله عليه وسلم: «كل ابن آدم خَطَّاءٌ، وخير الخَطَّائِينَ التَّوَّابُون» (٥).

بل إن الله تعالى ـ لعظيم شأن التوبة ـ أنزل فى كتابه الكريم سورة أسماها (التوبة) وهى السورة التى تُعَدُّ آخر السبع الطوال.

فإن كانت المعصية بين العبد وربه، ولا تتعلق بحق آدمى، فللتوبة ثلاثة شروط: أن يقلع عن المعصية، وأن يندم على فعلها، وأن يعزم ألاَّ يعود إليها أبداً، فإن فُقِدَ واحد من هذه الشروط لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمى فشروط التوبة منها أربعة، الثلاثة السابقة، ويزاد عليها أن يبرأ من حق صاحبها، وزاد بعض العلماء شرطاً خامساً، وهو القول، فيقول القاذف مع إبراء المقذوف: ما قلته باطل، وأنا نادم عليه، ولن أعود إليه.

إن باب التوبة مفتوح أمام التائبين ليلا ونهاراً، كما جاء فى الحديث الشريف: « إن

---

(١) سورة النساء: ٤٨.

(٢) سورة الزمر: ٥٣.

(٣) سورة التوبة: ١٠٤.

(٤) سورة المائدة: ٣٩.

(٥) رواه الترمذى، وابن ماجه، والحاكم عن أنس.

الله تعالى يبسطُ يده بالليل ، ليتوب مُسِيءُ النهار ، ويبسط يَدَهُ بالنهار ، ليتوب مُسىء الليل » (١) .

بل إنه مفتوح أمام المشركين ، حتى يتوبوا عن الشرك فيؤمنوا ، قال تعالى : ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (٢) ومفتوح أمام القاتلين ، حتى يكفوا بتوبتهم عن القتل ، ومفتوح أمام مرتكبى شتى المعاصى غير الشرك ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ (٣) .

والتائبون يتفضل الله تعالى عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم ، حيث يقول : ﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ (٤) .

ويحبهم إذ يقول : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴾ (٥) .

ويُبَدِّلُ سيئاتهم حسنات : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٦) .

ويجعلهم من المفلحين : ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ ﴾ (٧) .

ويدخلهم الجنة : ﴿إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ﴾ (٨) .

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة طه : ٨٢ .

(٣) سورة النساء ـ من الآية : ٤٨ .

(٤) سورة النور : ١٠ .

(٥) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٢٢ .

(٦) سورة الفرقان ـ من الآية : ٧٠ .

(٧) سورة القصص : ٦٧ .

(٨) سورة مريم : ٦٠ .

أيها المسلمون ، لعلكم أدركتم معى مما ذكرت من الآيات أن التوبة يجب أن يتبعها العمل الصالح ؛ لأن ذلك هو البرهان الحقيقى العملى على صدقها ، وعلى أنها نصوح لن يعود بعدها التائب أبداً إلى مستنقع المعاصى والآثام .

ترى ماذا كان يحدث لو أغلق الله تعالى باب التوبة ؟

الذى كان يحدث إذْ ذاك هو أن الشيطان يفرح لبقاء هؤلاء العاصين على معاصيهم، ويشجعهم هو وقَبِيلُهُ فيتكاثرون ، ويصيرون قدوة سيئة لغيرهم ، فيزداد المفسدون ، ويزداد الفساد فى الأرض ، وتنتشر الجرائم، وينشغل الناس عن أعمالهم بحماية أنفسهم، فتتعطل تلك الأعمال ، ويقل الإنتاج ، وينزلق المجتمع إلى مهَاوِى الرذيلة والضعف والانحلال، ويصبح مضغة سائغة فى فم الدول المتربصة به ، كى تحتل أرضه، وتستعبده وتسخره، وتستولى على خيراته وإمكاناته، ويصير مجتمع عبيد، لا مجتمع سادة ، بعد أن حلت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين !!

إذَنْ لكى يحمى الله الأمة الإسلامية من هذا المصير الشنيع ، ولكى تقل الجريمة والفساد والفحشاء والمنكر والبغى – جَعَلَ باب التوبة مفتوحاً ليلا ونهاراً ما دامت السموات والأرض ، حتى يؤمن المشرك ، ويصلح المفسد ، ويُحسن المسىء ، ويتغلب الخير على الشر ، والفضيلة على الرذيلة ، ويخسأ الشيطان وقَبِيلُهُ ويخزون ، ويخيب أملهم فى إفساد الناس وإغوائهم ، ويحنث فى يمينه التى قطعها على نفسه بأن يغوى الناس أجمعين إلا عباد الله المخلصين !!

أيها المسلمون، لم تشرع التوبة فى الإسلام وحده، ولم يأمر الله بها رسوله محمداً وحده، بل سبق أن أمر بها من سبقه من الأنبياء والمرسلين : هذا هو نبى الله هود عليه السلام يأمر قومه عاداً بالاستغفار والتوبة ؛ ليفتح الله تعالى عليهم أبواب رزقه ، ويغيثهم بإنزال المطر الذى حُبِسَ عنهم مدة طويلة حتى أشرفوا على الهلاك ، ويزيدهم قوة إلى قوتهم ، كما ينهاهم عن إعراضهم عن دعوته ، وإصرارهم على الإجرام وارتكاب الآثام، قال تعالى فى ذلك : ﴿ **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ**

عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾. (١)

وهذا هو نبى الله صالح يأمر قومه ثمودَ بالاستغفار والتوبة، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ (٢).

وهذا هو نبى الله شُعَيْب يأمر «مَدْيَنَ» قبيلته بعبادة الله وحده، وينهاهم عن نَقْصِ الكيل والميزان، وبَخْسِ الناس أشياءَهم، والإفساد فى الأرض، لكيلا يصيبهم ما أصاب غيرهم من الأقوام الذين عَصَوْا أنبياءهم، ثم يأمرهم أن يستغفروا الله ثم يتوبوا إليه، لينالوا رحمته ورضاه، قال تعالى على لسانه: ﴿وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ (٨٩) وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. (٣)

وعلى هذا المنهج الإصلاحى القويم - منهج أَمْرِ العصاة بالاستغفار والتوبة - سار جميع الأنبياء والمرسلين فى دعوة أقوامهم، ولولا خشية الإطالة لذكرت ردود أقوامهم عليهم وما حَلَّ بهم من العذاب لرفضهم الاستغفار والتوبة.

أجل، سار الأنبياء كذلك، لكيلا يكون لأقوامهم حجة فى عدم إيمانهم وفى معصيتهم بأنه لم يبعث إليهم من يأمرهم بالإيمان والسير وفق منهج الله القويم، إلى أن جاء خاتم الرسل والأنبياء، بل سيد ولد آدم جميعاً، المرسل إلى الناس كافة، فأمر بالاستغفار والتوبة، بل كان ـ وهو المعصوم ـ يكثر منهما؛ ليكون قدوتنا الحسنة فى ذلك، استمعوا معى إليه صلى الله عليه وسلم إذ يقول: «يأيها الناس، توبوا إلى الله، واستغفروه، فإنى أتوب فى اليوم مائة مرة» (٤) ويقول أيضاً: «والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة» (٥).

---

(١) سورة هود: ٥٢.

(٢) سورة هود: ٦١.

(٣) سورة هود ـ الآيتان: ٨٩، ٩٠.

(٤) رواه مسلم.

(٥) رواه البخارى.

أيها المسلمون ، هذه هى التوبة ، وهذه هى آثارها الحميدة ، فما أسعد من كان استغفاره وتوبته من غير ذنب كرسول الله صلى الله عليه وسلم بنيل رضا الله تعالى ورحمته ! وما أَجْدَرَ من يعصى الله ، ويعيث فى الأرض فساداً ، يحركه هواه ، وتسيطر عليه شهواته وأطماعه ، ويضلله الشيطان ـ ما أجدره أن يسارع إلى التوبة ، لعل الله يتوب عليه ويرضى عنه ، فيصبح فى عداد الصالحين ، قبل أن يأتيه الموت فلا تقبل منه توبة ، ولا ينفعه الندم ، قال تعالى ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إن الله عز وجل يقبل توبة العبد مالم يُغَرْغِرْ » (٢) .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين وأتوب إليه، فاستغفروه وتوبوا إليه ، إنه هو التواب الرحيم .

---

(١) سورة النساء : ١٧ , ١٨ .

(٢) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن .

الزواج فى الإسلام
(أ)

الحمد لله الذى لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا ، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله ، وحده لاشريك له ، خَلَقَ الذَّكَرَ والأنثى ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله ربنا بالشريعة الغَرَّاء التى جمعت بين الذكر والأنثى فى زواج ثابت الدعائم ، نبيل المقاصد، عظيم الثمار ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبَارِك عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه ما أشرقت الأرض بنور ربها .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، لقد شاء الله تعالى أن يهبط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض ؛ ليبث منهما رجالاً كثيرًا ونساءً ، يرفعون راية التوحيد ، وينتشرون فى الأرض لتعميرها كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾ (١). وكما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ (٢).وهذه الذرية تتمثل فى هيئة مجتمعات، كل منها جمعته صلات وروابط مختلفة وظروف معينة .

وإذا حللنا أى مجتمع منها وجدنا أن وحدته الأساسية وخليته الأولى التى يتكون منها هى الأسرة ، أى أن كل مجموعة من الأسر تربطها علاقات وظروف معينة يتكون منها مجتمع .

ومن أجل صلاح البشر سَنَّ الإسلام لتلك الوحدة الأساسية المبادئ والأسس التى يجب أن تقوم عليها حتى تصلح ، فيصلح بصلاحها المجتمع، وحين يصلح

---

(١) سورة النساء ـ من الآية : ١ .

(٢) سورة الرعد ـ من الآية : ٣٨ .

المجتمع يستطيع أن ينهض برسالته التى هى عمارة الأرض، وتوحيد الله تعالى، والعمل بشريعته، ونشر دعوته؛ ليسعد دنيا وأخرى.

ولما كانت للأسرة هذه المكانة وجدنا الإسلام يوجه إلى الزواج الذى هو سبيل تكوينها، كما يهتم كل الاهتمام بمكوناتها من زوج وزوجة وأولاد، فيُرَغِّبُ فى الزواج، ويُنَفِّرُ من العزُوبة، وينهى عن التَبَتُّل، ويضع أسس اختيار كل من الزوجة والزوج، وحقوق كل منهما وواجباته نحو الآخر.

أما ترغيب الإسلام فى الزواج وحثه عليه، فيستند إلى قوله تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ (١). وإلى وقول الرسول ﷺ: «يامعشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغَضُّ للبصر، وأَحْصَنُ للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وِجَاء» (٢). وقوله ﷺ: تناكحوا تناسَلُوا تكثروا؛ فإنى مباهٍ بكم الأمم يوم القيامة» (٣).

كما يستند إلى مايحققه الزواج من أهداف سامية، منها:

١ ـ أنه وسيلة للتعارف والتآلف وتقوية روابط الأخوة الإنسانية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (٤).

٢ ـ أنه الطريقة الصحيحة للتناسل السليم، وإنجاب الذرارى التى تعبد الله تعالى، وتطيعه وتنشر دعوته، وتعمر الأرض، وتنتفع بكل ما عليها وما فى باطنها من زروع، وثمار، وثروات، ومعادن، وطاقات، وتطور حياتها بكل ما تهتدى إليه عقولها من مكتشفات، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ

---

(١) سورة النساء ـ من الآية: ٣.

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه البيهقى.

(٤) سورة الحجرات ـ من الآية: ١٣.

وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1].

أما التناسل عن طريق غير طريق الزواج ، فهو تناسل خاطئ ، ثمرته أبناء زنًى ، يتخلص منهم من أتوا بهم بقتلهم ، وقد يتركونهم أحياء ، ولكنهم كثيرا ما يتبرءون من نَسَبِهم إليهم ، ويتخلون عنهم ، ويرمونهم فى أى مكان ، حيث يموتون جوعاً وبردًا فى الشتاء ، أو حرًّا فى الصيف ، أو تفترسهم الحيوانات ، أو يعثر عليهم أحد ، فيأخذهم ليربيهم أو ليودعهم إحدى دور الرعاية ، ومن يعيشون منهم ينشئون محرومين من حنان الأبوين ورعايتهما ، ناقمين على المجتمع الذى لا يعترف بهم ، وينظر إليهم نظرة اشمئزاز واحتقار ، ويسىء معاملتهم ، ويغلق كثيراً من أبواب العمل والرزق فى وجوههم ، مما يزيدهم اضطراباً وعقدًا نفسية وحقدًا على المجتمع الذى عامَلَهُم هذه المعاملة بدون ذنب ارتكبوه أو جناية جَنَوْهَا ، فيدفعهم ذلك إلى الانتقام منه بارتكاب الجرائم ، والخروج على القوانين ، وهكذا يَشْقَوْنَ ويُشْقُون مجتمعاتهم ، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم !!

٣ - إشباع غرائز الجنس بطريقة سليمة ، وصيانة الأنساب ،وحماية المجتمع من الانحراف ، والشذوذ ، والتلوث ، والأمراض الفتاكة التى يسلطها الله تعالى على الشعوب المنحلة التى ينتشر فيها الزِّنَى واللواط : كالزهرى ، والسيلان ، ومرض الإيذر الذى اكتُشِفَ حديثًا ، وأصبح وباءً يمثل رعباً فظيعاً للبشرية ، قال ﷺ : «ماظهرت الفاحشة فى قَوم يعمل بها فيهم علانية إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فى أسلافهم »[2].

٤ - اكتساب الزوج ثواب الله تعالى ؛ لإعفافه زوجته ، جاء فى صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ ، قال : « ولك فى جماع زوجك أجر » ، قالوا : يا رسول الله ، أيأتى أحدنا شهوته ، ويكون له فيها أجر ؟ قال : « أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر ، فكذلك إذا وضعها فى حلال كان له أجر »[3].

---

(١) سورة البقرة : ٣٠ .

(٢) رواه البيهقى ، وأخرجه الحاكم .

(٣) أخرجه مسلم .

وكـذلك يكتسب الزوج ثواب الله تعالى ؛ لإنفاقه على زوجته ، قال ﷺ: « من أنفق على امرأته وولده وأهل بيته فهى صدقة » (١). وفى صحيح مسلم أن النبى ﷺ قال : « دينار أنفقته فى سبيل الله ، ودينار أنفقته فى رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك ، أعظمها أجرًا الذى أنفقته على أهلك » .

٥ ـ إشباع غريزة الأُبُوَّةِ والأُمومة بطريقة سليمة ، تلك الغريزة التى لا تكتمل إلا بزواج يثمر أبناء ينشئهم آباؤهم على الدين والفضيلة ، فَيُثَابُونَ على تلك التنشئة ، ويحصلون على المتع النفسية ، ويكون عملهم الخير موصولا بهم بعد وفاتهم ، قال تعالى : ﴿ **الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾(٢). وقال ﷺ : « إذا ماتَ ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صَدَقَة جارية ، أو عِلْم يُنْتَفَعُ به ، أو وَلَد صالح يدعو له »(٣).

٦ ـ الاستقرار والسكن والهدوء والإحساس بنعمة الحياة ومتاعها ، قال تعالى: ﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً** ﴾(٤). وقال ﷺ: « أَربَعٌ من أصابهن فقد أُعطِىَ خَيْرَى الدنيا والآخرة : قلباً شاكراً، ولساناً ذاكرًا ، وبدنًا على البلاء صابرًا ، وزوجة لا تبغيه حوباً فى نفسها وماله »(٥).

وأما تنفير الإسلام من العزوبة (الإعراض عن الزواج مع الاستطاعة البدنية والمادية) ـ فلأنها ضد الطبيعة البشرية ، والفطرة السليمة التى ركبت فيها غريزة الجنس ، وميل كل من الجنسين نحو الآخر ، ولأنها كَبت لتلك الغريزة يؤدى إلى الشعور بالحرمان ، وإلى العلل والعقد النفسية ، ولأنها امتناع عن الإنجاب اللازم لبقاء الجنس البشرى الذى يعبد الله ، ويعمر الأرض .

وأما نهى الإسلام عن التبتل (التفرغ للعبادة) والامتناع عن إتيان النساء ـ فلأن

---

(١) رواه الطبرانى .

(٢) سورة الكهف ـ من الآية : ٤٦ .

(٣) أخرجه مسلم وأصحاب السنن .

(٤) سورة الروم ـ من الآية : ٢١ .

(٥) أخرجه الترمذى عن أبى هريرة .

هؤلاء المتبتلين يتجاهلون غرائزهم وميولهم الجنسية المحتاجة فطرياً إلى الإشباع ، ويحرمون على أنفسهم طيبات ما أحل الله ! قال ﷺ : « الدنيا متاعٌ ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة » (١).

كما أن فى إعراضهم عن زوجاتهم حرماناً لهن من حقهن فى المتعة الجنسية؛ إشباعاً لغرائزهن ، وإعفافاً لهن ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٢) .وعن سعد ابن أبى وقاص قال: رد رسول الله ﷺ على عثمان بن مظعون التبتل ، ولو أَذِنَ له لاَختصَينا (٣).

وعن أنس بن مالك ، قال : جاء ثلاثة رَهطٍ إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ فلما أُخبِرُوا كأنهم تقالُّوها ، وقالوا : أين نحن من النبى ﷺ قد غُفِرَ له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؟ قال أحدهم : أمَّا أنا فإنى أُصلى الليل أَبَدًا ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبدًا ، فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قُلتم كذا وكذا ؟ أما والله إنى لأخشاكم لله ، وأتقاكم له ، لكنى أَصُومُ وأفطر ، وأُصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِى فليس منى » (٤).

وإذا ماتوافرت للمسلم الاستطاعة الجسمية والمالية مع الرغبة فى الزواج يبدأ ـ أول مايبدأ ـ بالبحث عن الفتاة الصالحة .

وهنا يجدر بنا أن نتوقف قليلا ، حتى نتبين الصفات المطلوب توافرها فى هذه الفتاة، ألا وهى :

١ ـ أن تكون بيئتها التى نشأت فيها صالحة ؛ لما للبيئة من أثر قوى فيمن ينشئون فيها : بالصلاح إن كانت صالحة ، وبالفساد أو الاستعداد له إن كانت فاسدة ؛ ومن ثم أمرنا الهادى ﷺ بالتخير لنُطَفِنَا ، مُعَلِّلًا سبب ذلك ، حيث يقول : « تخيروا

---

(١) رواه مسلم .

(٢) سورة المائدة : ٨٧ .

(٣) متفق عليه .

(٤) رواه البخارى .

لِنُطفِكُمْ فإن العِـرْقَ دسَّـاس »[١]. ويوجهنا إلى ألاَّ يدفعنـا جَمالُ مَن نشأت فى بيئة فاسـدة إلى التزوج منهـا ، حيث يقول:« إيَّاكُم وخَضرَاءَ الدِّمَنِ » قـالوا : وما خضراء الدِّمَنِ يارسول الله ؟ قال : « المرأة الحسنة تنبت فى منابت السوء »[٢].

٢ ـ أن تكون ذات دين ، تستحيى من الله تعـالى وتخشـاه فى زوجهـا ، فتُحسِنُ عِشْرتَهَ ، وتكون سَكَنًـا له وأمنًا ومـوَدَّة ورحمة ، كما تكون قـدوة حسنة لأولادها ، فينشئون ذرية صالحة قرة عين لأبويهم ولمجتمعهم ودينهم وأمتهم .

٣ ـ أن تكون حَسَنَةَ الطباع ، أى متحلية بالبشَاشَـة والأُلْفَة ، والوداعة والـرِّقَّـة ، والتواضع ، والتفـاؤل ، والرضا ، والقناعة ، والصبر ؛ حتى تكون وَاحَـةً يأوى إليها فى هجير الحيـاة ، فيجـد الظل الظليل ، والراحـة والطمأنينة ، كما تسرى عنه همومـه وأحزانه ، وتشاركه فى حلو الحياة ومرها.

أمَّا ما عدا ذلك من الأمـور التى تشد الفتى إلى الفتاة من جمالٍ ، ومالٍ ، وحَسَبٍ ، وغيرها ـ فيجب ألاَّ يكون هو الهدف الأساسى من الزواج ؛ إذ يكفيه من الشكل ألاَّ تكون دميمـة ، ومـن الغنى أن تكون مستـورة الحال ، ومن الحسـب أن يكون أهلهـا طيبين صالحين ، قـال ﷺ مشيرًا إلى أن أساس اختيار الزوج لزوجتـه هو الدين ؛ لأنه يكتب للحيـاة الزوجيـة الاستقـرار والسعـادة : « الدنيـا متـاعٌ ، وخيرُ متـاعهـا المرأة الصالحة»[٣]. كما قـال ﷺ : « تُنْكَحُ المرأةُ لأَرْبَعٍ : لمـالهـا ، ولحسبها ، ولجمـالهـا ، ولدينهـا، فَاظْفَـرْ بذاتِ الدين تَرِبَتْ يداك »[٤]. كما قال ﷺ مبيناً أثر سـوء الاختيار : «مَنْ تزوَّجَ امـرأة لِعِزِّهَا لم يَزِدْهُ اللـه إلا ذلاًّ ، ومن تزوَّجَها لمالها لم يزده الله إلا فقـرًا ، ومن تزوجهـا لحسبهـا لم يزده الله إلا دناءة ، ومن تزوج امـرأة لم يرد بها إلا أن يَغُضَّ بصره ، ويُحَصِّنَ فَرْجَه ، أو يَصِل رحمه ، بارك الله له فيها ، وبارك لها فيه»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجه .

(٢) جامع الأحاديث للسيوطى جـ ٣ ص٤١٦ .

(٣) رواه مسلم .

(٤)رواه البخارى .

(٥) رواه الطبرانى وابن ماجه .

هذا ، وإذا انضم إلى دين المرأة حَسَبٌ أو مال أو جمال ، أو غير ذلك من المرغبات فيها فَبِها ونِعْمَتْ ، وكان للمرأة من دينها وخُلُقها ما يمنع المفاسد التى تجر إليها هذه الأمور .

وقد أعطى الإسلام الفتاة أيضاً حق اختيار زوجها على أساس الدين والخُلُق والطبع السليم ، أما الجمال فليس مطلوباً فى الزوج ؛ إذ يكفى أن يكون شكله مريحاً مقبولاً غير مُنَفِّرٍ ؛ لتتزوجه عن رضاً واقتناع تام ، ويجب ألا يُكرِهها أَحَدٌ على الزواج ممن لا ترغب فيه ، حتى لا يؤدى هذا الإكراه إلى تكوين أُسْرَة طرفاها مُتنافران ، لا يلبث صرحها أن يتقوَّض ، وتشتد المأساة إذا تم الانفصال بعد إنجابهما ذرية تشقى بهذا الانفصال الذى لا ناقة لها فيه ولاجمل !!

وبعد أن يعرف كل من الراغبين فى الزواج عن الآخر ما يرغبه فيه ويجعله كُفْئًا له - يبدأ الشاب التقدم إلى ولِىِّ أمر الفتاة خاطبًا ، إن لم يوجد ما يمنع خطبتها ، فإن كانت بكْرًا استأذنها وليُّها ، وإِذْنُها - نظرًا لحيائها - سكوتُها ، وإن كانت ثَيِّبًا أُخِذَ رأيها صراحة ؛ لما لها من سابق خبرة ، قال ﷺ : « لا تُنْكَح الأَيِّمُ حتى تُسْتَأْمَرَ ، ولا تُنْكَحُ البكر حتى تُسْتَأْذَنَ » قالوا : يارسول الله ، وكيف إذنها ؟ قال : «أن تسكت»[(١)]. فإذا حدثت الموافقة جمع بين الخاطب والمخطوبة ليرى كل منهما الآخر ؛ لأن ذلك حقهما، على ألاَّ تتم الرؤية فى خلوة ، بل تكون بحضرة أحَدِ محَارِمها ، من أب ، أو أخ ، أو عم ، أو خالٍ ، أو نحوهم ، قال ﷺ للمغيرة بن شعبة حين خطب امرأة : « انظر إليها ؛ فإنه أَحْرَى أن يُؤْدَمَ بينكما » .

أما المواضع التى ينظر إليها الخاطب فهى الوجه والكفان ، إذ الوجه مجمع المحاسن، وأساريره تنم عن كثير من المعانى الصحية والنفسية والخُلُقية ، وأما الكفان فيستدل منهما على خُصُوبة البدن .

أما ما يجرى فى بعض المجتمعات من تَزَمُّتٍ وتَشَدُّد ، بعدم التصريح برؤية الخاطب والمخطوبة أحدهما الآخر - فليس من الإسلام فى شىء ؛ لأنه قد يؤدى إلى

---

(١) متفق عليه .

فشل الزواج فشلا ذريعاً ، وتشتد المأساة إذا تم انفصالهما بعد ذرية تشقى بهذا الانفصال الذى لا دخل لها فيه .

كذلك ليس من الإسلام فى شىء ما يجرى فى بعض المجتمعات الإسلامية من تجاوزات منقولة عن بلاد أخرى يَتَفَشَّى فيها الفساد الدينى والخُلُقى ، كالسماح للخاطب بالاختلاط والخلوة بمخطوبته ليلا ونهارًا ، داخل البيت وخارجه ، واصطحابها فى سَفَر أو رحلة بحجة تعرف كل منهما الآخر ودراسته ، وللتآلف معه قبل الزواج ، أو غير ذلك من الحجج الواهية؛ إذْ أن ذلك عمل غير مباح شرعاً ، وفوق ذلك قد لا يؤدى إلى دراسة كل منهما الآخر كما زعما ؛ حيث يستطيع كل منهما أن يمثل للآخر دور الملاك مع أنه فى حقيقته شيطان رجيم ، هذا إلى أن الخطبة قد تُفْسَخ ، فينشر كل منهما ـ صادقاً أو كاذباً ـ المخازى عن الآخر ، والعياذ بالله تعالى!!

ولا يفوتنى هنا ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن أنبه إلى أن المرأة لها أن تعرض نفسها على رجل ؛ ليتزوجها ؛ لحديث أَنَسٍ عن ثابت البنانى ، قال : كنت عند أنس ، وعنده ابنة له ، قال أنس : « جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها قالت : يارسول الله ، ألَكَ بى حاجة ؟ فقالت بنت أنس : ما أَقَلَّ حياءَها ! وَا سَوْءَ تَاه ! واسوءتاه ! قال : هى خير منك ، رغبت فى النبى ﷺ فعرضت نفسها عليه »(١).

كما أن لِوَلِيِّ المرأة أن يعرضها على من يتزوجها : عن عبد الله بن عمر ، أن عمر بن الخطاب حين تأيَّمَتْ حفصة بنت عمر عن خنيس بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله ﷺ فتوفى بالمدينة ، فقال عمر : أتيتُ عثمان بن عفان ، فعرضتُ عليه حفصة ، فقال : سأنظُر فى أمرى ، فلبث ليالى ، ثم لقينى ، فقال : قد بدا لى ألاَّ أتزوج فى يومى هذا ، قال عمر : فلقيت أبا بكر الصِّدِّيق ، فقلت : إن شِئْتَ زَوَّجتُك حفصة بنت عمر ، فصمت أبو بكر ، فلم يرجع إلىَّ شيئاً ، وكنتُ أَوجَدَ عليه منى على عثمان ، فلبثت ليالى ، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتُها إيَّاه ، فلقينى أبو بكر ، فقال : لعلك وجَدتَ علىَّ حين عرضتَ علىَّ حفصة ، فلم أرجع إليك شيئاً ، قال عمر : قلْت : نعم ، قال أبو بكر : فإنه لم يمنعنى أن أرجع إليك فيما عرضتَ علىَّ إلاَّ

---

(١) رواه البخارى .

أنى كنتُ علمت أن رسـول الله ﷺ قد ذَكَرَهَا ، فلم أكـن لأُفشِىَ سِرَّ رسول الله ﷺ ولو تركها رسول الله ﷺ لقَبِلْتُها[١].

انظروا ـ أيها المسلمون ـ إلى سَعَة أُفُق المرأة العربيـة ومرونتها فى عرض نفسها على من يتزوجها ، وإلى سعة أُفُق ولى أمرها ومرونته كذلك فى عرضها على من يتزوجها !

إن مجتمعـاتنا الحالية تـرى أن ذلك فيه مسـاس بكرامـة المرأة ، وحط من شأنها ، وتقليل من قيمتهـا فى نظر من تُعْـرَضُ عليـه إن تم زواجهـا منه ، فقـد يعيرها بذلك عندما يحدث بينه وبينهـا خلاف ، فى حين أن ذلك يدل على حُسْنِ التصرف ، والمرونة وسعـة الأفق ـ كما أسلفت ـ ولاقيمـة لخطأ الزوج بتعيير زوجتـه بذلك ؛ لأنه سـوف يدرك خطأه، ويبادر بالاعتذار عنه !

ولو اتبع هذا الأسلـوب كثير من النسـاء وأوليـاء أمـورهن لتيسر للكثيرات من العَوانِس الزواج ، ولما تراكَمْنَ فى البيـوت منتظرات فى أَسًى ويأس من يتقدم إليهن ، وقد لا يجىء ، فيفوتهن قطار الزواج ، وتذهب آمالهن سُدًى!

وكم من شـاب يبحث عمن تناسبه ، ويرهقـه البحث ، فلا يهتـدى إلى أحد ، لقلة من يدله على أولائكن الفتيات القابعات فى البيوت اللاتى لا يدرى أحد عنهن شيئاً !

وبعـد أن تتم الرؤية يجدر بالمرأة ووليها ألا يـرهقا الراغب فى الزواج بالمغـالاة فى المهر والسكن ، واشتراط شروط يعجـز عن تحقيقها ، أو تُلْجِئُه إلى الاستـدانة ؛ لأن ذلك قـد يعرقل الزواج ، أو يتسبب فى تكديـره ، إذا عجز الزوج عن تسـديد ديونه التى ألجئوه إليهـا . قال ﷺ : « إن أيسر النكـاح بركة أيسره مـؤنة » [٢]،وقال : « إذا أتاكم من ترضـون دينـه وخلقـه فأنكحـوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفسـاد عريض » [٣].

ثم يجىء عقد القران الذى يليه الزفاف ، لتبدأ حيـاة جديدة ؛ بها ينتقل كل منهما

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الدارمى وابن حنبل .

(٣) أخرجه أبو داود والنسائى والحاكم والترمذى .

من بيت أسرته ، إلى عشهما الجديد الذى تتكون فيه أسرتهما الجديدة .فلْأُرْجِئ الحديث عن هذه الأسرة إلى خطبة لاحقة ، حتى لا أطيل عليكم . قال ﷺ : «الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة » (١) .

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم وللمسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) رواه مسلم .

obeikandl.com

الزواج فى الإسلام
(ب)

الحمد لله الذى خلقنا جميعا من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبَثَّ منهما رجالًا كثيرًا ونساء ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ، أقام الزواج فى الإسلام على أسس ثابتة ، تكفل له المودة والرحمة والاستقرار ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله المبعوث رحمة للعالمين ، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الهادين المهديين مادامت السموات والأرض وما فيهن .

أما بعد ـ إخوةَ الإسلام ـ فقد توقفنا فى حديثنا السابق عن الزواج عند إتمام العقد الذى تبدأ بعده وبعد الزفاف حياة جديدة ، فلتكن هذه الحياة ومقوماتها موضوع حديثنا الآن:

لكى تستقيم أمور هذه الحياة ، وتسير وفقا للمنهج الربانى ـ حدد الإسلام حقوقاً لكل من الزوجين على الآخر . ترى ، ماهذه الحقوق ؟

إن حقوق الزوجة هى :

١ ـ المهر (ويسمى الصَّدَاقَ أو النِّحلَةَ ، وقد أسلفنا أنه ينبغى عدم المغالاة فيه بصورة ترهق الزوج مادياً إرهاقًا ينعكس على الحياة الزوجية فيكدرها ، وقد يأتى عليها من الأساس !!

٢ ـ النفقة من طعام وشراب وكسوة ومسكن مستقل مؤثث مناسب بين جيران صالحين ، على أن يكون ذلك فى حدود طاقة الزوج ، قال تعالى : ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا**

سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (١).

وإذا كان ميسورًا ، بحيث يقدر على دفع أجرة خادم احتاجت زوجته إليه ـ وجبت عليه أجرته ؛ لأن الخدمة إذ ذاك تعد من النفقة .

٣ ـ العدل فى معاملتها والإحسان إليها ، وعدم الاعتداء عليها أو على مالها .

أما حقوق الزوج على زوجته فهى :

١ ـ طاعته فى كل مايتعلق بالحقوق الزوجية ؛ أما إذا أمرها بمعصية فلا طاعة له ؛ وإنما وجبت له هذه الطاعة لما فطره الله عليه من طبيعة تؤهله للقوامة على الزوجة ورعايتها هى والأولاد بالإنفاق عليهم ، وتلبية حاجاتهم ، فهو ـ إذَن ـ مُهَيَّأٌ فطرياً لرئاسة الأسرة والقوامة عليها وتحمل مسئولياتها ، ولا يعتريه ما يعترى الزوجة من حَيضٍ وحَمل ووضع ونفاس ، وغير ذلك مما تقتضيه فطرة المرأة وطبيعة تكوينها ، ويكون سبباً فى ضعفها، واضطراب بعض تصرفاتها ، وتَغَيُّرِ مزاجها تَغَيُّرًا جعل الشرع ـ رحمة بها ـ يسقط عنها الصلاة طوال أيام الحيض ، وأيام الوضع حتى ينقطع دم النفاس، كما حرم عليها الصوم خلال تلك الأيام ، غير أنه أوجب عليها قضاءه فى أيام طهرها .

وليس فى هذه القوامة غض من قيمة المرأة ـ كما يزعم أعداء الإسلام ـ لأنها ليست استعلاءً وتكبُّرًا وتسلطاً وتجبرًا ، بل هى إشراف وتوجيه وتكليف، وتحمل مسئولية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ، فكل من الزوجة والزوج له وضعه ، طبقاً لفطرته التى فطره الله عليها ، قال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ (٢)، وقال أيضاً : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي

---

(١) سورة الطلاق : ٧ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٢٨ .

الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾ (١) ، وقال ﷺ : «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة ، إن نظر إليها سرَّته ، وإن أمرها أطاعته، وإن أقسم عليها أبَرَّته ، وإن غاب عنها حفظتْه فى نفسها وماله » .

٢ ـ القرار فى البيت ؛ لتتفرغ لأداء رسالتها المنزلية ، فلا تخرج إلا بإذنه أو لضرورة، كأداء فريضة أو زيارة والديها وأقاربها المحارم ، وقد ذكر بعض الفقهاء أن زيارتها أبويها تكون أسبوعياً ، وأن زيارة المحارم تكون سنوياً ، والواقع أن هذا الأمر مرجعه العرف المألوف بين الناس ، قال ﷺ ردًّا على من سألتْه : ماحق الزوج على الزوجة ؟ : « حقه عليها ألاَّ تخرج من بيته إلا بإذنه ، فإن فعلت لعَنَها الله وملائكته حتى تتوب أو ترجع » قالت: يارسول الله: وإن كان لها ظالماً ؟ قال : «وإن كان ظالما»(٢).

٣ ـ أن يسلك فى تأديبها منهج الشرع المتدرج السابق ذكره فى الآية ٣٤ من سورة النساء ، وهو : الموعظة ، ثم الهجر فى المضجع ، ثم الضرب الخفيف غير الشديد أو الشائن ، قال ﷺ : « ... ألا واستوصوا بالنساء خيراً ؛ فإنما هُنَّ عوانٍ عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك إلاَّ أن يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فاهجروهن فى المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » (٣).

٤ ـ ألا تمنع نفسها منه إذا أرادها ، حتى إن الله تعالى حرم عليها أن تصوم نافلة وهو حاضر إلا بإذنه ، قال ﷺ :« إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت ، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح » (٤).وقال ﷺ : « لايحل للمرأة أن تصوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه»(٥).

أيها الإخوة المسلمون ، هذا هو نظام الزواج فى الإسلام ، وهذه هى أسسه الثابتة التى يقوم عليها ، فإذا روعيت تمام المراعاة ، ونفذت كما جاء بها الشرع دون تغيير

---

(١) سورة النساء : ٣٤ .

(٢) رواه ابن ماجه .

(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٤) متفق عليه .

(٥)متفق عليه .

أو تجاوز - كانت ثمرته أسرة ثابتة الأركان ، متماسكة البنيان ، متعاونة على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان ، وأنجبت ذرية صالحة نافعة لنفسها ، وقرة عين لوالديها ولوطنها ودينها وأمتها ، وتكوَّن من هذه الأسرة ومثيلاتها المجتمع الفاضل الذى يهدف الإسلام إلى تحقيقه، ويضع فى يده راية التوحيد والحرية والعدل والمحبة والسلام ، والدعوة إلى الله ونشر دينه على هدى وبصيرة .

إن نظام الزواج والطلاق فى الإسلام نظام متكامل شامل ، صالح لكل زمان ومكان؛ لأنه شريعة الحكيم العليم ، خالق النفس البشرية ، الخبير بأسرارها وخفاياها : ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (١). ومن أجل ذلك جاء مناسباً خالياً من النقص والخلل وغيرهما من العيوب التى تشوب نظم الزواج الأخرى ، التى أرجو أن تجيئوا معى لنستعرض بعض ما جاء فيها مخالفا للإسلام ، مما جعل متبعيها يتبرمون بها، ويتمردون عليها ، لدرجة أن بعضهم تركها ودخل فى الإسلام .

فى بعض النظم غير الإسلامية للزواج لا تتصرف الزوجة فى ملكيتها الخاصة إلا بإذن زوجها ، وهذا النظام يعترف متبعوه أنه جائر ، ويودون لو طبقوا النظام الإسلامى بدلا منه ، ذلك النظام الربانى العادل ، الذى فرض على الزوج وحده أن يقوم بأعباء زوجته ونفقتها المتمثلة فى المأكل ، والمشرب ، والكسوة ، والسكن المستقل المؤثث المناسب ، وأجر الخادم ، وذلك فى حدود طاقته ، وأما زوجته فلها أهلية كاملة على أموالها التى تُعَدُّ ملكاً خالصاً لها ، منفصلة تمام الانفصال عن أمواله؛ إذ لا تقضى الزوجية باتحادها مع أمواله ، ولا باختلاطها بها ؛ ومن ثم لا يملك الزوج بسبب الزوجية فى الإسلام ولاية على أموال زوجته ، ولا إشرافاً على تصرفاتها المالية .

فإن رأت مختارة أن تساعده بشىء فذلك برٌّ منها وتعاون ، تبتغى به وجه الله تعالى

---

(١) سورة غافر : ١٩ .

وهناءة الأسرة ، وليس لها أن ترجع يـومـاً بما أنفقت ، وإن سـاءت حـالها ، وتيسرت حاله.

وإذا شـاءت أن توكله فى الإشراف على ما تملك أو التصرف فيـه ، فشأنه فى ذلك شأن الوكيل الغـريب ، يقـوم بدوره حسب اتفـاقه معهـا فيما يقـابل هذا العمل ، فما أعدل هذا النظام الإسلامى الجميل ، وما أنسبه للنفس الإنسانية والطبيعة البشرية !!

قـال ﷺ : « لو كنتُ آمِـرًا أحـدًا أن يسجـد لأحـد لأمـرت المرأة أن تسجـد لزوجها »(١).

أقـول قولى هذا ، وأستغفـر الله لى ولكم ولجميع المسلمين فاستغفـروه ، واسألوه معى الهدى والتُّقَى والعفاف والغنى ، إنه أكرم مسئول ، وأقرب مجيب .

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

دحض مفتريات الأعداء
على نظام الزواج والطلاق فى الإسلام

الحمـد لله الذى خلق من الماء بشرًا ، فجعله نَسَباً وصِهْرًا ، وأشهـد أن لا إلٰه إلا الله وحـده لا شريك لـه ، جعل الزواج المنهج القـويم لتكويـن الأسرة السَّـوِيَّةِ التى تكون نواة لتكوين المجتمع الإسلامى السعيد، وأشهد أن محمـدًا عبده ورسوله قدوة المقتـدين ، وإمـام الهداة والمصلحين ، صلى الله وسلم وبارك عليـه وعلى آله وصحبـه صلاة وسلاما وبركات دائمات إلى يوم البعث والنشور .

أما بعد ، فإن أعداء الإسـلام لما يجدوا فى نظام الزواج والطلاق فى الإسلام عيباً ، أخذوا يفترون عليه الكذب وهم لا يعقلون :

● عابوا على الإسلام أنه يعطى الزوج حق ضرب زوجته لتقـويمها ، وتعاموا عن أن الضرب هو المرحلة الثالثـة والأخيرة فى إصـلاح المرأة الناشـز : ذلك أن المرأة إذا خرجت عن طاعة زوجها ، وعجز المصلحون عن مصالحتها ـ كان عليه فى إصلاحها أن يسلك طريقـة متـدرجـة ، تبـدأ بالنصح والوعظ ، فـإن لم يُجدِ ذلك هجـرها فى الفراش؛ عقاباً لها ؛ لعلها تفىء إلى أمـر الله، فإن لم تفئ استخدم آخر الوسائل، وهى الضرب غير الشـديد وغير الشـائن ،أى ضرب يكـاد يكون رمـزيًا ، لا يترك أثرًا أو جـرحاً أو كسًرا أو عـاهة أو تشويهًا ، كما يفعل بعض الجهـال الذين استخدمـوا هذا الحق التأديبى استخـدامـاً خـاطئاً، جعل أعداء الإسـلام يعيبـونه بسببـه، ويظنون أن

الإسلام يبيحه ، قال تعالى : ﴿ وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً ﴾ .(١)

ليقولوا لنا هم : كيف نصلح الزوجة الناشز إن لم يقومها الوعظ ، ثم الهجر فى الفراش ؟ أيتركها الزوج فى غيها تفسد عليه حياته ، وتسىء عشرته، أم ماذا ؟

ثم لماذا يعيبون ذلك على الإسلام ، فى حين أن إحصائيات بلادهم تنطق بأن من يضربون زوجاتهم بلغت نسبتهم ٢٥ ٪ أو يزيد ؟ فهل هذا يكون منهم مشروعاً ، ومن غيرهم مستنكرًا ودليلا على القسوة والغلظة ومجافاة الرقة والإنسانية ؟ !

إن أى دين لم يصن المرأة ويكرمها كما كرَّمها الإسلام الذى أنقذها من الوَأْدِ ، ونظر إليها نظرة عادلة ، فأعطاها حقها من الميراث ، وجعل لها شخصيتها المستقلة ، وأعطاها الحرية فى اختيار زوجها ، ولم يجعل لأحد الولاية على أموالها ، حتى لو كان زوجها !!

كما أن أى دين لم يوُصِ بالزوجة كما أَوْصَى بها الإسلام ،قال تعالى : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾(٢). وقال الرسول ﷺ : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً ، وخيارُكم خيارُكم لنسائهم »(٣). كما قال ﷺ : « لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة ، إنْ كَرِهَ منها خُلُقًا رضى منها آخر ».(٤) وقال : « من لايَرحَم لا يُرْحَمْ »(٥).

ما بالهم يفزعون عندما يجتذب الإسلام إلى رياَضِه قادة الفكر والأدب والسياسة والاجتماع عندهم ، فيدخلون فيه عن اقتناع كامل بأنه الدين الحق ، بعد تفكير طويل، ونظر دائب فى ملكوت السمٰوات والأرض ، وموازنة دقيقة رشيدة موضوعية بينه وبين غيره من الديانات تنتهى بهم إلى أنه دين الله الخالص وصراطه المستقيم !

---

(١) سورة النساء ـ من الآية : ٣٤ .
(٢) سورة النساء ـ من الآية : ١٩ .
(٣) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الشيخان والترمذى ، وفى رواية : « من لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى » .

أجل ، إنهم يفزعون ، وتتزلزل الأرض تحت أقدامهم ، فماذا يفعلون ليفتنوا هؤلاء المهتدين فى دينهم الجديد ؟

لأكتفِ فى هذا المقام بذكر مثل واحد منقول بتصرف عن كلمة للأستاذ أحمد بهجت بأهرام ٢٦ / ٦ / ١٩٩٣ م :« أسلم السفير الألمانى « هوفمان » قبل ١٣ سنة ، وأصبح منذ ذلك الوقت مسلماً سُنيًّا ، واتخذ لنفسه اسماً عربياً ، هو « مراد » إلى جوار الاسم الألمانى ، فأصبح « مراد هوفمان » وفى عام ١٩٨٥ نشر كتاباً بعنوان «يوميات مسلم ألمانى » حكى فيه كيف أسلم ... وينتقد د . هوفمان بكلمات لاذِعَة قارِعَة جنون الاستهلاك والتبذير ، والإباحية ، والجنس الفاحش بلا أى وازع ، والإجهاض ، وتأليه الإحصاءات .... وبرغم هذا لم يسلم من النقد الشخصى والتجريح والسخرية ، لقد صورته إحدى الصحفيات وهو ساجد ، وعلقت تحت الصورة بقولها: هل من المعقول أن ألمانيا فى طريقها لتصبح دولة إسلامية تخضع للحكم الإلهى؟ ثم سألته هذه الصحفية : هل أنت معجب بنمو الحركة الإسلامية فى ألمانيا ؟ !

قال هوفمان : إننى أعتقد أن حركة تجديد الإسلام ستأتى فى القرن الحادى والعشرين من أوربا !!

وهنا سألته الصحفية سؤالاً لإحراجه ، قالت : ما رأيك فى الآية القرآنية التى تسمح للرجل بضرب زوجته ؟

قال السفير : هذا حل مشروع أدى إلى صيانة الحياة الزوجية ».

ويعلق الأستاذ أحمد بهجت على ذلك قائلا :« وهنا قامت قيامة الغرب ، وقالوا : سفير ألمانيا يدعو إلى ضرب الزوجات !! »

هكذا أعداء الإسلام دائماً ، مثلهم مثل الذين لم يجدوا فى الورد عيباً ، فقالوا له : ياأَحْمَرَ الخَدَّيْن !!

● كما عابوا على الإسلام أيضاً إباحة الطلاق ، وتجاهلوا أنه لا يُلْجَأُ إليه إلا عندما تعصف الأنواء بسفينة الزواج ، وتسوء عِشرَةُ أحَدِ الزوجين ، أو عِشرَة كل منهما للآخر، أو تُكْتَشَف أو تَجِدُّ أمورٌ تحول دون بقاء تلك العلاقة ، ويستحيل إصلاح ذات البين بشتى الطرق ، عندئذٍ لا يكون هناك حل سوى الطلاق ، مع أنه أبغض الحلال

إلى الله ، قال تعالى: ﴿وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلاً مِّن سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾.[1] وقال ﷺ : « أبغَضُ الحلال إلى الله الطلاق ».[2] وقال أيضاً : « لا يَفْرَكْ مؤمن مؤمنة ، إنْ كَرِهَ منها خُلُقاً رَضِيَ منها آخر »[3]. وقال كذلك : « أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة »[4].

أجل ، إنهم يعيبون الإسلام ؛ لإباحته الطلاق ، أما نُظُمهم هم فتحرمه، حتى مع استحالة العِشرَة بين الزوجين ، مما يجعل كُلاً منهما لا يفكر إلا فى الكيد للآخر ، والسعى للخلاص منه ، كما يسير وفق هواه : فالزوج يتخذ الخليلات وزوجته تعلم ذلك ، وكذلك الزوجة تتخذ العشاق وزوجها يعلم ذلك ، وينشأ الأولاد فى هذا الجو الفاسد ، لا يستنشقون إلا هواء الرذيلة ، فينحرفون أو يصبحون معرضين للانحراف!!

ولقد اتضح لكثير من عقلائهم ومنصفيهم أن إباحة الطلاق عند استحالة استمرار العِشرَة مزية من مزايا الإسلام ،وليست عيباً من عيوبه ، وأن نظامهم الذى يحرم الطلاق مطلقاً حتى فى حالة استحالة العِشرَة نظام قاصر ؛ ومن ثَمَّ دعوا إلى إباحة الطلاق مقتدين فى ذلك بالتشريع الإسلامى القويم !!

● كذلك مما عابوه على الإسلام نظام تعدد الزوجات ، وقد تجاهلوا أن الإسلام أباحه حيث يكون هناك داع إليه ، كأن يكون بالزوجة عيب تناسلى يمنع إعفاف الزوج أو إنجابه ، أو تُصاب بمرضٍ مُعدٍ أو مُنَفِّرٍ ، أو يكتشف الزوج اختلاف طباع زوجته ومشاعرها عن طباعه ومشاعره اختلافًا بيِّنًا، أو يتحول قلبه من حالته العادية إلى بُغضٍ لها ، ونفور منها ، أو لا يجد متعة فى لقائه بها ، كأن تكون مصابة ببرود جنسى شديد، إلى غير ذلك من الأمور التى تجعل الزوج غير سعيد بزواجه ، وغير راض عنه . ولا يسع الزوجة إذ ذاك إلا الرضا باقتران زوجها بغيرها ، مع بقائها فى عصمته ، إذا رأت ذلك أصلح لها ، تبعاً لظروفها .

---

(١) سورة النساء : ١٣٠ .

(٢) أخرجه أبو داود فى سننه ، وابن ماجه فى سننه .

(٣) رواه مسلم .

(٤) أخرجه الترمذى .

وهنا يسمح الإسلام للزوج أن يتزوج ، ولكن بشرطين ، هما : القدرة على الإنفاق على الزوجتين ، والعدل بينهما .

وهذان الشرطان يجعلان باب تعدد الزوجات فى غاية الضيق ، فليست الشهوة والمتعة هى السبب الوحيد لتعدد الزوجات فى الإسلام ، كما يزعم المفترون !

● كما لم يسلم الرسول المعصوم محمد ﷺ من نقد أعداء الإسلام وتجريحهم ، إذ اتهموه ﷺ بأنه كان شهوانياً ، ذوَّاقة للنِّساء ، متوهجَ الرغبة الجنسية لدرجة جعلته لا يكتفى بواحدة ، بل تزوج تسع نسوة !!

ألا ساء ما يأفكون ! إنه لو كان كذلك لانتهز فرصة شبابه ، واختار من أبكار الفيتات أجملهن وتزوجهن ليستمتع بهن .

ولكن الأمر غير ذلك ؛ إذ أنه تزوج السيدة خديجة ، وهو فى الخامسة والعشرين ، أى بعد انتهاء فترة المراهقة التى تكون فيها الشهوة الجنسية فى أَوْجِهاَ ، ويتحرق فيها الشاب شوقاً إلى الاستمتاع بالنساء ، كما أن زوجته هذه - مع جمالها - لم تكن فى حيوية الشباب ونضارته ، بل كانت ثيباً فى الأربعين من عمرها ؛ إذ تزوجت قبله ﷺ من رجلين ، فالشهوة والمتعة لم تكونا الدافعين القويين إلى هذا الزواج لكل من طرفيه .

ثم مكث هذا الزواج السعيد المستقر ثمانية وعشرين عاماً أنجبت له فيها كل أولاده، ماعدا إبراهيم فإنه كان من مارية القبطية ، ولم يتزوج عليها غيرها إلى أن توفاها الله ، ولو أراد أن يتزوج أخرى معها فى حياتها لما استنكر عليه أحد ذلك ؛ لأنه كان أمرًا مألوفاً فى بيئته إذ ذاك .

وعند وفاتها كان عمره ﷺ حوالى ثلاثة وخمسين عاماً ، أى أنه أصبح فى مرحلة من العمر تقل فيها الشهوة والرغبة فى النساء ، فضلا عماَّ كان يستنفد وقته وطاقته من أعباء الدعوة والجهاد اللذين يشغلانه عن التفكير فى الجنس والاتجاه إليه .

ومن يدرى ، ربما لو طال بخديجة الأجل حتى وفاته ﷺ لما تزوج غيرها، مادام مطمئناً إليها ، سعيدًا بعشرتها ، يجد منها كل العون على أمور الدعوة والجهاد ؟

ولو نظرنا إلى كل زيجاته ﷺ بعد وفاة السيدة خديجة أم المؤمنين - رضى الله عنها - نظرة عابرة لا فاحصة - لوجدنا أن الدوافع إليها لم تكن - الشهوة والاستمتاع -

إذ لم يكن بينهن بكر صغيرة السن غير عائشة بنت أبى بكر ، كما أنهن لم يكنَّ كلهن جميلات فى عنفوان الشباب ، يتهافت عليهن الرجال ؛ لما يُثِرْنَ من العواطف ، ويُحرِّكْنَ من غريزة الجنس ، بل كانت الدوافع أمورًا أخرى بعيدة كل البعد عن الشهوة والاستمتاع، كما يتضح لنا بعد النظر فى كل منها :

● لقد تزوج ﷺ **سودة بنت زمعة** التى كانت كبيرة السن ، ولم تكن جميلة؛ ليعولها بعد أن مات زوجها الذى كان أحد السابقين فى الإسلام .

● وتزوج **عائشة بنت أبى بكر** ، **وحفصة بنت عمر** ؛ توثيقاً لعلاقته بأبويهما ، وإكراماً لهما ؛ لوفائهما له ، وإعانتهما إياه على الدعوة والجهاد .

● أما **أمُّ سَلَمة** فقد تزوجها ؛ تقديراً لما عانته فى هجرتيها إلى الحبشة ثم المدينة ، وليربى أولادَها الكثيرين بعد إصابة أبى سلمة زوجها بجرح فى غزوة أُحُد أدى إلى وفاته.

● وأمَّا **أمُّ حَبِيبَةَ رَمْلَةُ بنت أبى سفيان** ، فقد تزوجها تكريماً لها ، وتقديراً لدورها؛ إذ أسلمت برغم أنف أبيها أبى سفيان بن حرب سيد قريش ، الذى قادها فى محاربة الإسلام حوالى عشرين عاماً ، ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة ، فتنصَّرَ هناك، وفارقها بدون عائل ، فأرسل الرسول ﷺ إلى النجاشى يطلبها ؛ لينقذها من هذه الغربة ، ومن أهلها إذا عادت إليهم مسلمة ، وليعولها ويتولى أمرها .

● وأما **جُوَيْرِيَة بنت الحارث** سيد قومه بنى المصطلق ، فقد سُبِيتْ بعد انتصار الرسول ﷺ على أبيها وقبيلته فى غزوة بنى المُصْطَلِق ، فواسى الرسول ﷺ أباها وأكرمها بزواجه منها ، وحض المؤمنين على إعتاق سباياهم ، فأسلموا جميعاً .

● وأما **صفية بنت حُيَىٍّ** بن أخطب سيد بنى النضير، فكانت فتاة جميلة صغيرة السِّنِّ، متزوجة من كنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، صاحب حصن القموص بخيبر، أى كانت بنت كبير، وزوجة كبير فى قومها، فلما سقط حصن القموص فى أيدى المسلمين فى غزوة خيبر، وقتل زوجها وأهلها - كانت فى السبايا، فخيَّرها (ﷺ) بين أن يعتقها ويردها إلى أهلها ، أو يعتقها ويتزوجها، فاختارت الثانية، فنفذ (ﷺ)

إرادتها، وتزوجها بعد استبرائها؛ تقديرًا لظروفها، وجبرًا لخاطرها، لا لجمالها كما يدعى المفترون .

● وأما ابنة عمته **زينب بنت جحش** ، فقد زَوَّجَها ﷺ من زيد بن حارثة الذى كان مولاه ثم أعتقه ، فنفرت منه ، فأَذِنَ له الرسول ﷺ فى تطليقها ، ثم تزوجها ﷺ ؛ لأنه المسئول عن زواجها ، وليَسُنَّ تشريعاً جديدًا ، هو جواز زواج مطلقات الأبناء الأدعياء الذى كان محرماً فى الجاهلية . قال تعالى : ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً** ﴾[1].

● وأما **مارية القبطية** فقد أهداها إليه المقوقس عظيم القبط بمصر ، وأرسلها إليه مع رده على دعوته ﷺ إياه إلى الإسلام ؛ تعبيرًا عما بين المسلمين والنصارى من مودة، فأسلمت وتزوجها تشريعا لجواز زواج المسلم بالكتابية ، فولدت له ابنه إبراهيم الذى توفى رضيعاً .

أرأيتم - يا أعداء الإسلام - كيف تمت هذه الزيجات التسع بعد وفاة السيدة خديجة، وأن هدفه ﷺ فيها كلها لم يكن قط إشباع الرغبة الجنسية وتحقيق المتعة ، إذ لم يكن ﷺ فى سن تدعو إلى ذلك ، كما أنهن كلهن كُنَّ ثيبات ، إلا عائشة - كما أسلفتُ ! وإنما كان هدفه هو رعاية هؤلاء الأرامل هن وأولادهن وتكريمهن ، فيما عدا عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر اللتين تزوجهما تكريماً لأبويهما الصديقين الوفيين الأبرين اللذين وقفا بجانبه ، وسانداه فى نشر الدعوة والجهاد فى سبيل الله لإعلاء راية الإسلام، وفيما عدا مريم القبطية التى تزوجها تشريعا لزواج المسلم بالكتابية ؟

على أن أمر التحديد بأربع كان فى السنة الثامنة من الهجرة ، بعد أن كان قد تزوج بزوجاته جميعاً ، وكان أمر الله تعالى إياه بإمساك زوجاته يعنى إمساكهن جميعاً ؛ لأنه لو فارق ما زِدْنَ عن أربع لَمَا تَزَوَّجْنَ ؛ لحرمتهن على غيره ، ولَتَعَرَّضْنَ بعدم

(١) سورة الأحزاب - من الآية : ٣٧ .

obeikandl.com

زواجهن بعده من يعولهن ويعفهن ـ إلى الضياع والقيل والقال ، تعالين عن ذلك علوًّا كبيراً !!

ألا فَلْيُرِح هؤلاء المفترون أنفسهم ، ولْيَكُفُّوا عن مفترياتهم المفضوحة العرجاء التى لا أساس لها ، ولا ينخدع بها أدنى الناس حظًّا من العقل ؛ إذ كيف يكون ذوَّاقًا للنساء مَنْ كانت حياته مملوءة بالخشونة ، والجد ، والصبر ، والجهاد ، ومن ذم الذوَّاقين ولعنهم حين قال ﷺ : « لعن الله كل ذوَّاق مطلاق » (١).وحين قال : « إن الله لا يحب الذوَّاقين ولا الذوَّاقات » (٢).

أيها الإخوة المسلمون ، بقيت مسألة هامة أرى لزاماً علىَّ أن أشير إليها قبل أن أدع هذا المنبر ، وهى زواج المسلم بغير المسلمة :

إن غير المسلمة إمَّا أن تكون كتابية ، أى يهودية أو نصرانية ، وإمَّا أن تكون غير كتابية :

فغير الكتابية قد اتفق أئمة المسلمين على أن زواج المسلم بها باطل ومَنْهِىٌّ عنه ؛ لقوله تعالى : ﴿**وَلا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ**﴾(٣).

وأما الكتابية فقد اختلفوا فى زواج المسلم منها : فقالت طائفة : إنه غير صحيح ، ولكن الجمهور قال بصحته .

وأَرَى أن لا دَاعِىَ له على الإطلاق ؛ لما فيه من خلاف ، وسَدًّا للذرائع، واتقاءً لمواطن الشبهات ، ولأن التجارب الكثيرة أثبتت عدم استقراره ، وعدم تحقيقه أهدافه، ثم فشله فى النهاية فى أكثر من ٨٠٪ من الحالات ، مخلِّفا وراءه سلسلة من المشكلات التى يصعب أو يستحيل حلها !

إن المسلم يختلف عن غير المسلمة فى أمور كثيرة يجب ألاَّ نتجاهلها ، بل نضعها نُصبَ أعيننا ، وهى الاختلاف فى الدم ، والدين ، واللغة ، والأخلاق ، والمزاج ،

---

(١) و (٢) أخرجهما الطبرانى .

(٣) سورة البقرة ـ من الآية : ٢٢١ .

والطبـاع ، والمشـاعـر ، والأهداف ، والعـادات ، والتقـاليـد ؛ لنشأة كل منهما فى بيئة تختلف اختـلافــاً كبيراً عن بيئة الآخـر ، مما يؤدى إلى اختـلاف تكوين كل منهما عن الآخر، فـالإنسان ابن بيئته ، كما هو معـروف ؛ وهذا الاختلاف سرعـان مايؤدى إلى فشل هذا الزواج القائم على أُسُسٍ واهية ، من جمال الأجنبية ، أو حبها حبًّا ماديًّا ، أو الرغبـة فى الحصول على جنسيتهـا التى تجيـز له الإقـامـة ببلدها ، أو اصطيـادها إياه لتستمتع بحيويته وشبابه أو ماله ، أو غير ذلك من الأسباب الدافعة إلى هذا الزواج .

هذا فــوق تعكير الأيام التى يعيشـانها قبـل انفصـالهما ، بسبب نظرتها إليــه نظرة استعـلاء، أو شربها الخمـر ، أو أكلهـا لحم الخنزير ، أو مـراقصتهـا لغير زوجهـا ، أو تقبيلها غير زوجها ، وتقبيل الأجـانب لها ، أو ممارستها شعائر دينها المخالفـة لشعائر دينه ، وانحصـار هدفهـا من الحيـاة فى المتع والللذائـذ الجسـدية ، وكشفهـا عـورتها ، واختلاطها بغيرها اختلاطاً منهيًّا عنه و ...و ... إلى آخر ألوان السلوك التى تتنافى مع الإسلام .

ولا ننسى أن أولاده سينشئون فى هذا الجو المفعم بالفسـاد ، وأنهم سيتأثرون بها ـ وخصوصا البنات ـ أكثر مما يتأثرون به ، ويشبون بعيدين عن الإسلام عقيدة وخُلُقًا وسلوكاً ، فيخسرهم ويخسرون أنفسهم ، ويتمنى لو أنه لم ينجبهم .

وقــد يطول به الأجل حتى يهن العظم منه ، ويشتعل رأســه شَيْبًــا ، فتتنكر له ، وتقـذفه بعيـدًا عنها ، لعـدم حاجتهـا إليـه ، أو تتركه وتذهب إلى آخـر يروى ظمأَها الجنسى ، ويسير طَوْعَ هواها ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم !!

أى حياة هذه الحياة ؟ وأى هدف يتحقق من ورائها سوى الضياع والهوان؟

أأقفـرت البـلاد الإسـلامية من المسلمات المؤمنـات القانتـات العـابدات الثيبـات والأبكار، حتى يتزوج شبابنا من أجنبيات غير مسلمات ؟ !

لا ، ومُقلِّب القُلوب ، إن بلادنا عـامـرة بنسـاء ثيبـات وأبكار يَفُقْن غير المسلمات جمالاً ورِقَّةً وأُنُوثة ، ومالا ، وحَسَباً ونَسَبًا ، وذكاءً ، وحُسْنَ خُلُق وطباع ، يزين ذلك كلَّه حياء وتقوى لا تتحلى بها هؤلاء الأجنبيات .

فياشبـاب الإسلام ، إياكم والزواج من هؤلاء الأجنبيـات ؛ لأن عاقبتـه وخيمة ،

ولن تحصدوا منه سوى الحسرة والندامة ، وضياع شبابكم وأولادكم وأموالكم ، وإذ ذاك تندمون ، ولاتَ ساعةَ مَنْدَمٍ !!

قال رسول الله ﷺ : « إياكم وخَضْرَاءَ الدِّمَنِ ، قالوا : وما خضراء الدِّمَنِ يارسول الله ؟ قال : المرأة الحَسْنَاءُ تنبت فى منابت السوء »[1].وقال أيضاً : « لا تَزَوَّجوا النساء لحُسنهن ، فعسى حُسْنُهُنَّ أن يُرْدِيَهُنَّ ، ولا تَزَوَّجوهن لأموالهن ، فعسى أموالهن أن تطغيهن، ولكن تزوجوهن على الدين، وَلَأَمَةٌ سوداء ذات دين أفضل »[2].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو التواب الرحيم .

(١، ٢) أخرجه ابن ماجه والبزار والبيهقى .

إنها الصــلاة !!

الحمد لله الذى يسجد له من فى السموات والأرض طَوْعًا وكَرْهًا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، بنى الإسلام على أشد الدعائم ، وأقوى الأركان ، وجعل منها عبادة قولية فعلية مفتتحةً بالتكبير ، مختتمةً بالتسليم سماها الصلاة ، فمن أقامها فقد أقام الدين ، ومن تركها فقد هدم الدين ، وباء بالخسران المبين .

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، اختاره ربه إمامًا للنبيين فى صلاتهم ببيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج ، تلك الليلة التى فرض علينا فيها الصلاة ، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ، واجزهم عنا خير الجزاء .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، إن كل بنيان ثابت له أركان ودعائم يقوم عليها، حتى يظل قائما ، لاتقوّضه الزلازل ، ولاتنال منه هوج الرياح والأعاصير ؛ ولذلك لمابنى الله تعالى الإسلام اختار له خمسَ دعائم راسخةً ذكرها حبيبنا ﷺ فقال: « بُنى الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان »[(١)].

وقد جعل الله تعالى الصلاة أفضل هذه الأركان بعد التوحيد ؛ لاشتمالها على ذكره ذكرًا تخشع فيه القلوب والجوارح ، ولتكون صلة دائمة بين عباده وبينه ، ولِنَهْيِها مقيمها عن الفحشاء و المنكر ومن ثمّ ذكر لفظها فى كتابه العزيز محلّـى بأل (الصلاة) ٦٧ مرة ، ومضافًا إلى ضمير ١١ مرة ، ومجموعًا مجردًا من أل والإضافة ٤ مرات ، ومجموعًا مضافًا مرة واحدة ، وأمرنا بإقامتها فى آيات كثيرة منها : ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾[(٢)] ، ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى

(١) متفق عليه .

(٢) طه :١٤ .

﴿الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ (١) . كما أمرنا بذلك رسوله ﷺ فى أحاديث عِدَّةٍ ، منها قوله لمعاذ بن جبل رضى الله عنه : « ألا أخبرك برأس الأمر ، وعموده ، وذِرْوَة سَنامه ؟ » قال : بلى يارسول الله ، قال: « رأس الأمر الإسلام ، وعمودُه الصلاة ، وذِرْوَةُ سَنامه الجهادُ »(٢) ، وقد فرضها تعالى أول ما فرض من العبادات على المسلمين، حيث أعلم رسوله ذلك ليلة الإسراء والمعراج ، جاعلاً إياها خمسًا فى العدد، وخمسين فى الأجر والثواب ، كرمًا منه ورحمةً!!

أجل ، فرضت على كل مسلم بالغ عاقل ، فلاصلاة على غير المسلم ، ولا غير العاقل ، أمامن دون البلوغ فيُعَلَّمها الصبى إذا بلغ سبعًا ، ويُضرَبُ على تركها إذا بلغ عشرًا ، ثم تجب عليه وجوبًا تامًّا عندما يبلغ بالاحتلام أو بتمام سنِّه خمس عشرة سنةً ، قال المعصوم ﷺ : «علِّموا الصبى الصلاة لسبع سنين ، واضربوه عليها ابن عشر سنين » (٣) .

أيها الإخوة المسلمون ، لما كانت الصلاة مثولاً بين يدى الله تعالى ، وذكرًا له ، ودعاءً ومناجاةً ـ أُشتُرِط فيمن يصلى أن يكون طاهرًا من الحدثين الأكبر والأصغر ، ومن الحيض و النفاس ؛ إذ لايليق بغير الطاهر أن يقف بين يدى خالقه يذكره ويدعوه ويناجيه ، ومن رحمته تعالى أن منع كلاً من الحائض و النُّفَساء أداءَها وأعفاهما من قضائها ؛ تخفيفًا عنهما ، وتقديرًا لظروفهما الصحية إبّانَ الحيض و النفاس ، كما يُشترط للصلاة أيضا طهارةُ بدن المصلى وثيابه ومُصَلاَّه أينما كان ، وتوجهه فى صلاته إلى الكعبة المشرفة دون سواها من الأماكن ؛ لتتجلى بذلك وحدة المسلمين حيثما كانوا شرقًا أو غربًا أو شمالاً أو جنوبًا ، اللهم إلا إذا دعت ضرورة لترك القبلة كحالات القتال الذى له نوع خاص من الصلوات قال تعالى : ﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ (٤).

---

(١) النساء : ١٠٣ .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه أبو داود و الترمذى .

(٤) البقرة : ١٥٠ .

هذا ، ومن الصلاة ما هو فرض عين يجب أداؤه على كل فرد مسلم ، ومنها ماهو فرض كفاية إذا فَعَلَه بعضُ المسلمين سقط عن الآخرين ، ومنها ماهو سنة يثاب فاعله ، ولا يعاقَب تاركه ، وكل هذه الأنواع علَّمنا إياها رسولنا ﷺ وقال: « صلُّوا كما رأيتمونى أصلى» [١] .

كما وُزِّعت الصلاة فى اليوم والليلة على فترات ، بين كل فترة والأخرى تؤدى إحداها ، فعند ظهور الفجر الصادق تبدأ صلاة الصبح إلى بزوغ الشمس ، وعند الزوال (أى ميل الظل فى أوله) تبدأ صلاة الظهر حتى يصير ظل كل شىء مثليه ؛ لتبدأ صلاة العصر ، ويظل وقتها إلى غروب الشمس حيث تبدأ صلاة المغرب التى ينتهى وقتها بغياب الشفق الأحمر ؛ ليبدأ إذ ذاك وقت صلاة العشاء الذى يبقى إلى طلوع الفجر ، ومن شاء أن يتهجد بالصلاة ليلاً فليفعلْ ، قال تعالى مبيناً هذه الأوقات :﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا** (٧٨) **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾[٢] فقوله تعالى : ﴿ **لدلوك الشمس إلى غسق الليل** ﴾ يشمل الظهر الذى يبدأ عند دلوك الشمس أى زوالها ، كما يشمل العصر و المغرب و العشاء ، وقوله: ﴿ **وقرآن الفجر** ﴾ أى صلاته وتكون عند طلوع الفجر الصادق .

ولعلكم تلاحظون أن هذا التوزيع يدل على حكمة بالغة ، ورحمة واسعة ، إذ لا تتسبب أيَّة صلاة فى تعطيل العمل والسعى لكسب الرزق وعمارةِ الأرض ، كما أن الفترة بين العشاء و الفجر كافيةٌ لنوم يريح الجسد ، ويجدِّد النشاط ، ويستعيد الحيوية لمواجهة العمل فى الصباح ، ألا فلْيخسأْ المبطلون الذين يفترون على الله الكذب زاعمين أن الصلاة تعطل الناس عن أعمالهم !! فما أحكم هذا التوزيع ! وما أرشده وأعدله ! أليس توزيع رب العالمين الذى هو أعلم منهم بنفوسهم وبما يُصلحهم وما يَصلحون له ؟!

---

(١) رواه البخارى .

(٢) الإسراء : ٧٨ ، ٧٩ .

هذا ، وهناك حالات تطرأ على الطبيعة أو ظروف متغيرة لايرى العبد فيها إلا ربه ليلجأ إليه ذاكرا داعيا أن ينيله الله ما يفرج كربه ، وييسر أمره ، ومن ثم شُرِعتْ صلاةٌ عند كسوف الشمس وصلاةٌ عند خسوف القمر ، ليزيل الله تعالى هذا الكسوف وهذا الخسوف ، كما شُرِعت صلاةُ الاستسقاء عند انقطاع المطر أو ندرته يتجه فيها المستسقون إلى ربهم طالبين السقيا ، رحمةً منه وفضلاً ؛ لأن الماء تقوم عليه حياة الإنسان و الحيوان و النباتات ، وبانقطاعه تسوء الحياة وتتعرض للخطر ، كما تجف النباتات وتنفق الحيوانات !!

ويَوْمَىْ العيدين الفطر والأضحى شُرِعتْ صلاة العيدين حيث يؤديها المسلمون جماعة فى ساحات واسعة وهم شاكرون ربهم أن أعانهم على الصيام ، وأعان من حج منهم على أداء الحج ، وعلى وجوههم آيات البشر ، وعلامات السرور ، وفى قلوبهم فيض الرضا و الحب لله ولرسوله وللمؤمنين !!

أما صلاة الجمعة فتكون بدلاً من صلاة الظهر يوم الجمعة حيث يؤديها المسلمون مجتمعين فى المساجد اجتماعًا تتجلَّى فيه وحدتُهم وتماسُكهم ، وتزداد فيه روابطهم توثقًا ، وقلوبهم تراحمًا ، ونفوسهم صفاءً ، مما يشجعهم على التعاون على البر والتقوى .

أيها الإخوة المسلمون ، هناك صلوات سنَّها الرسول ﷺ ووضحتها كتب الفقه منها ما يكون مع الفرائض ، ومنها ماهو مستقل فلْيرجعْ إلى معرفتها من يشاء ، ليؤديها وينال ثواب أدائها . أما آخر علاقة المسلم بالصلاة فهو صلاة الجنازة التى تُصلَّى عليه ، ويُدعَى له فيها بالرحمة و المغفرة ؛ عسى الله أن يتقبل منهم ، إنه هو الغفور الرحيم .

هذا ، وقد جعل الله تعالى بيوته فى الأرض المساجد ، ودعاهم إلى عمارتها والصلاة فيها جماعة ؛ ليزداد ترابطهم وتقوى صِلاتهم ، وتتآلف قلوبهم ، وترغيبًا لهم فى الصلاة فى المساجد زاد ثوابهم ، قال ﷺ : « من غدا إلى المسجد أو راح ، أعدّ الله له نُزُلاً فى الجنة كلما غدَا أو راح » (١) ، وترغيبا فى أدائها فى جماعة ضاعف الله ثوابها ، قال ﷺ: « صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذِّ بسبع وعشرين درجة » (٢).

---

(١) متفق عليه .

(٢) متفق عليه .

يا أتباع محمد ﷺ ، إن الصلاة لا تسقط عن المسلم فى أى حال من الأحوال أو ظرف من الظروف ما دام فيه قلب ينبض ، ونَفَس يتردد ، وما دام يعى ما يقول ، فمن لم يجد ماء لإزالة الحدث فلْيتيممْ ، ومن عجز عن الصلاة قائما صلَّى قاعدًا ، فإن عجز عنها قاعدًا صلَّى على جنب أو مستلقيًا مجريًا أركانها على قلبه ، ومن كان فى الحرب جهادًا فى سبيل الله صلى راكبًا أو راجلاً ، مستقبلاً القبلةَ أو غيرَ مستقبل لها ، وهكذا لا يعفَى منها المسلم البالغ إلا إذا فقد عقله ووعيه ، فمن تركها منكرًا لها عُدَّ مرتدًّا ، وأجرى عليه حد الردة ، ومن تركها كسلاً غيرَ منكرٍ لها أستتيب ، فإن لم يتب أُجْرِى عليه الحد ، قال ﷺ : « العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »[1] ويرى كثير من علماء السلف و الخلف منهم أبو حنيفة ومالك والشافعى أنه لا يكفر ، بل يفسق ويستتاب فإن لم يتب قتل حدًّا عند مالك و الشافعى ، وقال أبو حنيفة : لايُقتل ، بل يُعَزَّر ويحبس حتى يصلى ، وحملوا أحاديث التكفير على الجاحد المستحل للترك ، وعارضوها ببعض النصوص العامة ، كقوله تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾[2] .

فيا ليت شعرى ، لماذا يترك الصلاةَ تاركوها ؟ إن كان مايشغلهم عنها الملك فما دام كرسيه تحت أحد من قبل ، ولن يدوم تحت أحد من بعد . وإن كان جمع المال ، فلا بورك لهم فيه ، وإن كان التجارة فلا ربحت تجارتهم ولا كانوا مهتدين . وإن كان السلطة و النفوذ ، فما أسرع ما يزولان ، وإن كان اللهو و العبث فإن الله تعالى قادر على أن يذهب صحتهم وماهم الذى يتلهون به ، فيصبحوا مرضى فقراء يفقدون طعم كل شىء ، ويتسولون ليجدوا ما يسدُّ رمقهم !!

ياتارك الصلاة ، لقد فاتك الخير كل الخير ، ويُؤْتَ بالشر كل الشر ، أصغ إلَيَّ إذْ أسرد بعض الآثار الجليلة للصلاة فى الدنيا والآخرة ، لعلك تُفِيق فتسارعَ بالتوبة وتعودَ إلى رياض الصلاة .

---

(١) رواه أحمد وأصحاب السنن .

(٢) النساء : ١١٦ .

● الصلاة مظهر رائع من مظاهر المسلمين التى تهز قلوب أعدائهم ، إذ يقف فيها الأمير إلى جانب السوقة ، و الغنى بجوار الفقير ، و القوى بجوار الضعيف ، وذو السلطة و المنصب و الجاه بجوار من ليس له من ذلك شىء ، والفتى بجانب الشاب و الشيخ ، والأبيض بجوار الأسود ، و ... و ...

أجل يقفون كلهم من مختلفى الدرجات و الأجناس والألوان والأعمار و الأعمال، بعضهم بجانب بعض ، لا يتعالى أحد على أحد ، ولا ينفر أحد من أحد ، قلوبهم كلها تتجه فى خشوع إلى الله ، وجباههم لاتسجد إلا له ، سبحانه رب السموات والأرض ورب العرش العظيم !!

● الصلاة أفضل الأعمال ، عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سألت رسول الله ﷺ : أى الأعمال أفضل ؟ قال : « الصلاة على وقتها » ، قلت ثم أى ؟ قال : « بِرُّ الوالدين » ، قلت : ثم أى ؟ قال : « الجهاد فى سبيل الله » [(١)] .

● الصلاه تنهى عن الفحشاء و المنكر وتحفظ المصلى من ارتكابها ، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [(٢)] .

● الصلاة تعين المصلى على أمور الحياة كما يعينه الصبر قال تعالى : ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾ [(٣)] .

● فى الصلاة راحة للنفس ، وطمأنينة للقلب ، وأمل فى رحمة الله ، ومددٌ روحى يُعين المصلى على مواجهة أقسى الظروف ، ومن ثَم كان ﷺ يقول « ... وجُعِلَتْ قرةُ عينى فى الصلاة » وكان كلما أَهَمَّه أمرٌ ، وواجهتْه مشكلة نادى بلالًا مؤذنه قائلاً : «أرِحْنا بها يابلال » !!

● الصلاة تكسِب المصلى دعاءَ الملائكة له بالمغفرة و الرحمة ، قال ﷺ : « الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى صلى فيه مالم يُحدِث ، تقول : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه » [(٤)] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(٣) البقرة : ٤٥ .

(٤) رواه البخارى .

● الصلاة تكفر الذنوب ، قال ﷺ : « الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهن مالم تُغْشَ الكبائر »[1] .

● الصلاة ترفع الدرجات ، قال ﷺ : « من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ؛ ليقضى فريضة من فرائض الله ، كانت خطواته ، إحداهما تحط خطيئة ، والأخرى ترفع درجة »[2] .

● الصلاة تؤدى إلى الفلاح ، كما قال تعالى فى أول سورة (المؤمنون) : ﴿ قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون ﴾ .

ومن أجل هذه المزايا العظيمة دعا سيدنا إبراهيم ربه أن يجعله هو وذريته من مقيمى الصلاة ، قال تعالى على لسانه : ﴿ **رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ** ﴾[3] .

فيالَسعادتكم أيها المصلون لفوزكم بهذه الحسنات وغيرها مما لايتسع المقام لذكره ، ويالَتعاستكم ياتاركى الصلاة ؛ إذْ حرمتم أنفسكم من كل هذه النعم ، فاتقوا ربكم واخشوه وتوبوا إليه ، وعودوا إلى رياض الصلاة ، عسى أن يقبل توبتكم ، ويرضى عنكم ، قال ﷺ : « أول ما يحاسَب العبد عليه يوم القيامة الصلاة ، فإن صلحت صلح سائر عمله ، وإن فسدت فسد سائر عمله »[4] .

والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

* * *

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه مسلم .

(٣) إبراهيم : ٤٠ .

(٤) رواه الطبرانى .

الحــج

الحمد لله الذى أقامَ الإسلام على أثبت الأركان ، وجعل منها الحج إلى بيته الحرام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمناً ، وفرض علينا حجه ، فقال : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾(١) . وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، حج حجة الوداع فجاءت تدريباً عملياً لأداء هذه الفريضة فى صورة كاملة ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وأصحابه، ومَنِ اهتَدَى بِهَدْيِه ما طافَ بالبيت طائفٌ ، ورفع صوته بالتلبية مُلَبٍّ إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، تهب علينا هذه الأيام نسمات مفعمة بالإيمان، معطرة بتلبية الواحد الدَّيَّان ، قادمة من أماكن الحج المقدسة ، حيث يؤدى المسلمون الوافدون على مكة من مشارق الأرض ومغاربها ـ فريضة الحج ، ملبين دعوة أبينا إبراهيم الخليل عليه السلام ، استجابة لأمر ربه إياه بها فى قوله تعالى : ﴿ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴾(٢)، متممين بذلك أركان الإسلام التى حددها لنا رسول الله ﷺ فى قوله: «بُنِىَ الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن

---

(١) سورة آل عمران ـ من الآية : ٩٧ .

(٢) سورة الحج : ٢٧ و ٢٨ .

obeikandi.com

محمدًا رسول الله ، وإقَام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان»[(١)].

فيالَسَعَادة من وَفَّقَهُ الله تعالى إلى قصد بيته الحرام لأداء هذه الفريضة من مال حلال، بعد أن أدى ما عليه من ديون ، ورد ما عنده من ودائع إلى أصحابها ، وصالَحَ من كان مخاصِماً له ، وترك النفقة لكل من تلزمه نفقته حتى يعود !

فهناك ستسمو روحه ، ويصفو قلبه ، وتطهر نفسه ، ويتجرد من كل شواغل الحياة ومغرياتها ، ويعيش أياماً وليالى عامرة بذكر الله وشكره ، وعبادته ، وتلاوة كتابه الكريم ، عسى أن يقبل الله تعالى حجه ، فيعود مغفورًا له .

ويالَشَقَاء من استطاع أن يحج ، ولكن دنياه فتنته وغرته ، وألهته عن أداء هذه الفريضة ، فغرق فى بحور اللهو والعبث ، واستخدم ماله فيما حرمه ربه ، فطَغَى وبَغَى، وأفسد فى الأرض ، وفتَنَهُ ماله ، أو جاهه وسلطانه ، أو منصبه ، أو قوَّته ، أو أولاده ، أو غير ذلك من متاع الغرور ، وهو لا يدرى أيأتيه العام القادم وهو قادر على الحج مستعد له ، أم يأتيه وقد تخلى عنه ماله ، وزال عنه جاهه وسلطانه ومنصبه وقوته، وهجره أتباعه وخلانه، وتنكرت له دنياه التى اغتر بها ، فانطوى على نفسه ، يعض أصابع الندم ولاتَ سَاعَةَ مَنْدَمِ ؟ !

أيها الإخوة المؤمنون ، إذا تأملنا هذه الفريضة أدركنا أن الله تعالى شرعها لحِكَم سامية، ومقاصدَ عالية ، ومنافع جليلة ، حسبى أن أشير الآن إلى ما يحضرنى منها :

* الحج تكميل لأركان الإسلام ، وبتكملتها ترتفع درجة المؤمن ، ويستحق الجزاء الأوفى .

* فى الحج منافع للمسلمين ، تحققها التجارة بين الحجاج فيما يحتاجون إليه من السلع الحلال تداولها ، كما يحققها عقد الصفقات التجارية ، على ألاَّ يكون ذلك سبباً فى صرف الحاج عن ذكر الله تعالى .

* الحج فرصة طيبة لذكر الله تعالى فى الأماكن المقدسة وفى الأيام المعلومات ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾. وفى ذكر الله ما فيه من تطهير للنفس ،

---

(١) متفق عليه .

obeikandl.com

وجلب للمثوبة ، وطمأنينة للقلب : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (١).

* فى الحج تجرد من الدنيا ، وتحرر من شواغلها ، وتدريب على المعيشة غير المترفة فى الغربة .

* فى الحج تضحية كبيرة تتمثل فى تحمل مفارقة الوطن والزوج والولد والأهل والمال والأصحاب .

* فى الحج مظهر عظيم من مظاهر المساواة بين المسلمين ، حيث يتجردون كلهم ـ دون استثناء ـ من الثياب المخيطة ، لا فرق بين سوقة وأمير ، وضعيف وقوى ، وفقير وغنى ، وأسود وأبيض ، ولا بين جنس وجنس ، بحيث يبدون فى صورة طالما أَدْخَلَتِ الرهبة فى قلوب غير المسلمين لدلالتها على الوحدة التى هى سبيل القوة والعزة .

* الحج تدريب عملى على قوة الإرادة والعزيمة ، بتحمل الامتناع عَمَّا حرمه الله تعالى فى الحج ، وتحمل فراق من ابتعد عنهم بالحج من أهل وخلان ، بل الوطن بكل من فيه وما فيه .

* الحج فرصة عظيمة للتطهر من الذنوب والآثام ، فإذا تاب الحاج من ذنوبه توبة نصوحًا قَبِل الله تعالى توبته ، وقد أشار رسولنا ﷺ إلى ذلك فى قوله: « من حج هذا البيت فلم يَرفث ولم يَفْسُقْ رجع كيومَ ولدته أمه»(٢)،ولا يفوز الحاجُّ بمغفرة الله ذنوبه فحسب ، بل يعطيه الله من فضله، فيسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، ويستجيب لدعائه ، ويحقق أمانيه ؛ لأنه حين يدعو ربه فى تلك الأماكن المقدسة يكون طاهر القلب ، صافى النفس ، متحررًا من شواغل الحياة وإيقاعها السريع ، وصراعها المتواصل ، أى يكون فى جو تتفتح فيه أبواب السماء لاستجابة الدعاء .

● ومن أعظم آثار الحج ـ أيها المسلمون ـ التقاءُ المسلمين من شتى بقاع الأرض فى

---

(١) سورة الرعد : ٢٨ .

(٢) رواه البخارى .

مؤتمر عام ، لا يقدر أى حاكم أو زعيم أو قائد ـ مهما كانت قدرته المادية والروحية ـ أن يدعو إلى عقد مثله ، فيستجيب له هذا العدد الكبير من مختلف الأجناس والألوان والبيئات .

وهذا المؤتمر لقاء على البر والتقوى فى أقدس أماكن الأرض ، يستطيع فيه المسلمون أن يتدارسوا مشكلاتهم ؛ ليتعاونوا على حلها ، وأن يتبادلوا المشورات والآراء فيما يعنّ لهم من أمور ، وأن يعرفوا ما يدبره لهم أعداؤهم من مكائد ؛ ليتيقظوا لمواجهتها ، وأن يبرموا المعاهدات التى يريدون إبرامها؛ توثيقاً للصِّلات ، وتقوية للروابط ، وأن يعقدوا ما يريدونه من صفقات تجارية ، وأهم من كل ذلك أن يُوَحِّدُوا كلمتهم ويتعاونوا على البر والتقوى ، وإعداد ما يستطيعون من قوة يرهبون بها عَدُوَّ الله وعدوهم ؛ حتى يعمل لهم هذا العدو ألف حساب ، فلا يجرءوا على الاعتداء على أنفس المسلمين أو أعراضهم أو أموالهم أو أراضيهم ، وحتى تكون العزة لله ولرسوله وللمؤمنين !

أجل ـ أيها المؤمنون ـ هذه بعض المنافع والآثار الجليلة التى يحققها الحج المبرور ، فهنيئاً لكل من رفع صوته فى خشوع قائلا : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريكَ لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك ! !

وتبًّا لمن أعرض عن مولاه ، وألْهَتهُ دنياه ، وغره ماله وقوته وجاهه ومنصبه، وصرفه الشيطان عن الحج مع قدرته التامة على أدائه .

أيها المسلمون ـ لقد حج رسول الله ﷺ فى العام العاشر الهجرى ، وفى مَعِيَّتِه آلاف المسلمين ؛ ليعطيهم درساً عملياً فى كيفية الحج ، وفى هذه الحجة نزل عليه وهو قائم عشية عرفة قوله تعالى : ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**﴾ (١)، فشعر ﷺ أنَّ أجَلَهُ قد دنا ، وأنه قد لا يقف بعرفة بعد ذلك، فخطب الناس خطبة مُوَدِّعٍ ، فماذا قال ؟

كان مما قاله ﷺ : « إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، ألا كل شىء من أمر الجاهلية تحت قَدَمَىَّ موضوع ،

(١) سورة المائدة ـ من الآية : ٣ .

ودماء الجاهلية موضوعة ، وإن أول دم أَضَعُ من دمائنا دمُ ربيعة بن الحارث ، كان مسترضَعاً فى بنى سعد ، فقتلته هُذَيل ، ورِبَا الجاهلية موضوع ، وأول رباً أضع ربَانَا ، رِبَا عباس بن عبد المطلب ، فإنه موضوع كله ، فاتقوا الله فى النساء ؛ فإنكم أخذتموهن بأمان الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن ألاَّ يُوطِئنَ فُرشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضرباً غير مُبَرِّح ، ولهنَّ عليكم رزقُهن وكِسْوَتُهن بالمعروف ، وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده أبدًا إن اعتصمتم به، كتاب الله ، وأنتم تُسأَلُون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بَلَّغتَ وأدَّيتَ ونصحتَ ، فقال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء ، وينكتها إلى الناس : اللهم اشهد! اللهم اشهد ! ثلاث مرات » (١).

فى هذا الجزء من الخطبة ـ أيها المسلمون ـ تناول الرسول ﷺ أهم القضايا التى تتعلق بسلامة المجتمع وكيانه ، وهى حفظ النفس ، وحفظ المال، وحقوق كل من الزوجين على الآخر ، والاعتصام بكتاب الله .

* فلا قَتْلَ لنفس بغير حق ، وفى هذا سلامةُ للمجتمع وتوفيرٌ للأمن ، وفى ظلال الأمن تنمو المودة ، وترقى الأمة ، وتزيد الخيرات !

* ولا رِبَا فى التعامل بين الناس ، وفى هذا ما فيه من صيانة للاقتصاد وللمجتمع من الانهيار ... !

● وأمرُهُ بتقوى الله فى النساء وتحديد واجبات وحقوق كل من الزوجين نحو الآخر ـ صيانةٌ للأسرة من التفكك والتمزق والشقاء !

● ثم أَمَرنا ﷺ بالاعتصام بكتاب الله ؛ كى لا نضل ونشقى فى الدنيا والآخرة !

ثم يستنطق المؤمنين ؛ ليعلنوا أنه ﷺ قد بَلَّغَ وأَدَّى ونصح ؛ ليشهد الله تعالى على ذلك ، ويطمئن على أمة الإسلام .

---

(١) رواه مسلم .

اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه وتابعيه، وَاجْزِهِ عنا خير الجزاء، واهدنا صراطك المستقيم ، وأَعِنَّا على العمل بكتابك وسُنة رسولك ياخير المعينين .

اللهم أعن من لم يحج منا على حج بيتك العتيق ، وامنحنا جميعاً مع كل المسلمين رحمتك ومغفرتك ورضاك ياأرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com

لا تظالموا

الحمد الله الذى يقضى بالقسط ، ولا يظلم أحداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، حرَّم الظلم على نفسه ، وجعله بين عباده محرَّمًا ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذى حارب الظلم بشتى صوره ، ورفع راية العدل ، فكان قدوة للعادلين، اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا قوَّامين بالقسط ، ما دامت السموات والأرض وما فيهن .

أما بعد ، أيها الإخوة المسلمون - فيقول الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**﴾[١]. ويقول : ﴿**وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**﴾[٢] .

ويقول الرسول ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل ، فى الحديث القدسى: « يا عبادى، إنى حرَّمتُ الظلم على نفسى ، وجعلته بينكم محرَّمًا ، فلا تظالموا ». [٣] كما يقول فى الحديث النبوى : « اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة » [٤] .

من هذه النصوص وغيرها يتضح لنا أن الظلم إثم عظيم ، وآفة من الآفات الخطيرة التى تقضى على العدل الذى يُعَدُّ من أقوى الدعائم التى يقوم عليها المجتمع السَّوِيُّ ، بل إن الظلم إحدى الكبائر التى توَعَّد الله تعالى ورسوله ﷺ - مرتكبيها

---

(١) سورة يونس : ٤٤ .

(٢) سورة إبراهيم : ٤٢ .

(٣) رواه مسلم .

(٤) رواه مسلم .

obeikandi.com

بالغضب عليهم ولعنتهم وسوء العذاب فى الدنيا والآخرة ، وذلك لما يحدثه من وضع للأمور فى غير مواضعها ، مما يؤثر فى أحوال المجتمع أسوأ تأثير ، ويؤدى إلى اضطراب حياة أفراده ، وضياع حقوقهم ، وإحساسهم بالمرارة الشديدة التى قد تدفع بعضهم إلى الاعتداء على الظالم وقتله ، أو دعاء الله عليه أن ينتقم منه شر انتقام ، هذا فوق ما يتطلبه دفع الظلم من جهد ووقت ومال ، كان يجب توفيره ليساعد فى دفع عجلة العمل المثمر والإصلاح وعمارة الأرض .

أيها الإخوة المسلمون ، لقد تمثلتْ مظاهر الظلم فى علاقة الإنسان بربه ، وعلاقته بنفسه ، وعلاقته بغيره من الناس فى صور كثيرة ، حسبى أن أذكر منها :

* الإشراك بالله ، وهو أعظم ألوان الظلم ؛ لأن المشركين بعبادتهم غير الله تعالى يظلمون أنفسهم بتعريضها للعقاب وسوء المصير ، حيث عبدوا مالا يملك لنفسه ولا لغيره ضرًّا ولا نفعًا ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا ، وتركوا عبادة الله الحق ، الواحد الأحد، الفرد الصمد ، الذى لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد ،مالك الملك ذى الجلال والإكرام ، المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير ، قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بَعِيداً﴾ (١) وقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (٢) .

* افتراء الكذب على الله ؛ لأنه يدل على تغيير الحقائق ، ومنتهى الوقاحة ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء : ١١٦ .

(٢) سورة المائدة ـ من الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الأنعام : ٢١ .

* منع الناس من عبادة الله تعالى فى بيوته والسعى فى خرابها ؛ لأن ذلك يؤدى إلى تعطيل ركن من الأركان التى بنى عليها الإسلام .

قال تعالى : ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (١) .

* تَعَدِّى حدود الله التى نهى عن تَعَدِّيها ، وتوعَّد متعدِّيها بالعذاب المهين ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾(٢).

* جور الحاكم على المحكومين ، لما يؤدى إليه من اضطراب شئونهم وسخطهم عليه، ومحاولتهم التخلص منه ، إذ إن مسئوليته تستوجب رعايتهم بإقامة العدل ، قال تعالى: ﴿ **وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ** ﴾ .(٣) وقال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ .(٤) وقال الرسول ﷺ : « ما من عبد يسترعيه الله رعية ، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيته إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة».(٥) كما قال : « إن شر الرِّعاء الحُطَمَةُ»(٦) ، أى القاسى الذى يظلم رعيته ولا يرحمهم .

* الاعتداء على دماء الناس وأموالهم وأعراضهم التى صانها الإسلام ، قال ﷺ : «كل المسلم على المسلم حرام : عرضه وماله ودمه »(٧) .

---

(١) سورة البقرة : ١١٤

(٢) سورة النساء : ١٤ .

(٣) سورة النساء من الآية : ٥٨ .

(٤) سورة النحل : ٩٠ .

(٥) متفق عليه .

(٦) متفق عليه .

(٧) رواه الترمذى .

* الإفساد فى الأرض ، لما فيه من ضياع للحقوق ، وعدوان على الحريات ، وإرهاب للناس ، قال تعالى : ﴿ولا تُفسدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا﴾. [١] وقال: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [٢] .

* شهادة الزور ؛ لأنها تشوه الحقائق ، وتضيع الحقوق ، وتؤدى إلى تجريم البرىء، وتبرئة المجرم ، ومن ثم كانت إحدى الكبائر التى ذكرها الرسول ﷺ فى قوله : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قلنا : بلى يا رسول الله ، قال : الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئًا فجلس، فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت » [٣] .

* كتمان الشهادة ؛ لأنه يؤدى إلى عدم إظهار الحق ، وقد يؤدى إلى تجريم برىء أو تبرئة مجرم ، قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾[٤] .

* إخسار الكيل والميزان ؛ لما فيه من ضياع الحقوق والقسطاس ، قال تعالى : ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ (١) الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ (٢) وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [٥].

* أكل أموال اليتامى ؛ لأنهم ضعاف خلَّفهم آباؤهم أمانة فى أعناقنا ، فيجب حفظ أموالهم حتى تُرَدَّ إليهم كاملة بعد أن يكبروا ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ

(١) سورة الأعراف ـ من الآية : ٥٦ .

(٢) سورة المائدة : ٣٣ .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة البقرة ـ من الآية : ١٤٠.

(٥) سورة المطففين من ١ ـ ٣.

أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [1].

* عقوق الوالدين ؛ لما فيه من مخالفة أمر الله بالإحسان إليهما فى كثير من الآيات ، كقوله تعالى :

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [2] .

* اعتداء الجار على جاره الذى أوصى الله بالإحسان إليه ، قال ﷺ : « من آذى جاره فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ، ومن حارب جاره فقد حاربنى ، ومن حاربنى فقد حارب الله عز وجل » [3]

* تقصير الرجل فى حق أولاده أو تفضيل بعضهم على بعض ؛ لما فى ذلك من وضع بذور الشقاق بينهم ، ومن كراهيتهم له كراهة قد تؤدى إلى عقوقهم له ، قال ﷺ : «اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم » [4] .

* ظلم الزوج زوجته ، كتقصيره فى حقها أو كره خُلُق منها أو ما شابه ذلك مما فيه إيذاء لها وضياع لحق من حقوقها ، قال تعالى : ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾[5].

وقال ﷺ « لا يفرك مؤمن مؤمنة ، إن كره منها خُلُقًا رضى منها آخر»[6].

* ظلم الزوجة زوجها بفعلها ما يغضب الله تعالى ، كخروجها من غير إذنه أو نشوزها ؛ لما فى ذلك من سوء العشرة ، وزعزعة كيان الأسرة ، قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ ﴾ [7].

---

(١) سورة النساء : ١٠ .
(٢) سورة الإسراء ـ من الآية : ٢٣ .
(٣) رواه أبو الشيخ بن حبان .
(٤) متفق عليه .
(٥) سورة النساء ـ من الآية : ٣٤ .
(٦) رواه مسلم .
(٧) سورة الأحزاب ـ من الآية ٣٣ .

وقال : ﴿وَاللاَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ﴾ (١) .

أيها الإخوة المسلمون ، بعد أن رأينا هذه الصور النكراء للظلم ، ترى ما الذى يجب علينا نحوه ؟

يجب علينا أن نُغَيِّرَهُ ، وأن نقاوم الظالمين ما استطعنا إلى ذلك سبيلا حتى نُطَهِّرَ المجتمع الإسلامى منهم ، وحتى لا يعاقبنا الله تعالى إذا وقفنا من الظلم والظالمين موقفا سلبيا ، اسمعوا معى قوله ﷺ : « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه » (٢) .

وأما الله سبحانه وتعالى فقد يعجل العقوبة للظالم ، وقد يمهله حتى إذا ما ظن أن أحدًا لن يقاومه أَخَذَه أَخْذَ عزيز مقتدر ، قال عزَّ من قائل : ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٣) وقال الرسول ﷺ: « إن الله يملى للظالم ، فإذا أخذه لم يُفْلِتْه ، ثم قرأ : « وكذلك أَخْذُ ربك إذا أَخَذَ القرى وهى ظالمة إن أَخْذَه أليم شديد » (٤) .

وقد يسلط الله تعالى على الظالم من هو أعتى منه ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (٥) ، وفى ذلك يقول الشاعر :

وما من يدٍ إلا يدُ الله فوقها
ولا ظالمٍ إلا سَيُبْلَى بظالم

هذا فى الدنيا ، وأما فى الآخرة فـ ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦).

---

(١) سورة النساء ـ من الآية : ٣٤ .
(٢) رواه أبو داود ، والترمذى والنسائى بأسانيد صحيحة .
(٣) سورة الأعراف ـ الآيتان : ١٨٢ و ١٨٣ .
(٤) متفق عليه .
(٥) سورة الأنعام : ١٢٩ .
(٦) سورة إبراهيم ـ من الآية : ٢٢ .

﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾ (١).

﴿يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ (٢).

﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣).

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٤).

﴿يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٥).

﴿يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ (٦).

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ (٧).

كما يجب علينا أن ننصح الناس أن يقاطعوا الظالمين ويحذروهم، وألا يقعوا فى فخاخ خداعهم وتصويرهم لهم الظلم فى صور مغرية، وتعليلهم إياه بعلل برَّاقة خادعة، وذلك حتى لا تصيبهم عدوى الظلم، فيلقوا جزاء الظالمين، قال تعالى: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ (٨).

هذا، وإذا صحا ضمير الظالم، وأراد أن يتخلصَ من تزيين الشيطان الظلم له، ويثوبَ إلى رشده، فعليه أن يتوب إلى الله تعالى توبة نصوحا، تتمثل فى التوقفِ التام عن الظلم، وردّ المظالم إلى أهلها، أو تعويضهم عنها، تنفيذًا لقوله ﷺ: « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرضه أو من شىء فلْيتَحلَّله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا

(١) سورة الشورى ـ من الآية: ٨.

(٢) آخر آية من سورة الانفطار.

(٣) سورة المطففين: ٦.

(٤) سورة النور: ٢٤.

(٥) سورة الدخان: ٤١.

(٦) سورة غافر: ٥٢.

(٧) سورة الفرقان: ٢٧.

(٨) سورة هود: ١١٣.

درهم ، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته ، وإن لم يكن له حسنات أُخِذَ من سيئات صاحبه فَحُمِلَ عليه » [1] .

كما يجب أن يندم على ما ارتكبه من ظلم ، ويعزم على ألا يعود إليه أبداً ، ويكثر من الاستغفار ، عسى أن يقبل الله تعالى توبته ؛ لأنه القائل : ﴿ **فَمَن تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِه وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ . [2] والقائل : ﴿ **وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ . [3] والقائل: ﴿ **إِلاَّ مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [4] .

نسأل الله تعالى أن يعصمنا من الظلم ، ويعيننا على الظالمين ، ويقينا شرهم ، إنه أكرم مسئول .

قال ﷺ : « من ظلم قِيدَ شبر طُوِّقَه من سبع أرضين » . [5] وقال : « ثلاثة لا تُرَدُّ دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم .. ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ، ويفتح لها أبواب السماء ، ويقول الرب : وعزتى لأنصرنك ولو بعد حين » [6] .

أقول قولى ، وأستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) رواه البخارى .
(٢) سورة المائدة : ٣٩ .
(٣) سورة النساء : ١١٠ .
(٤) سورة النمل : ١١ .
(٥) متفق عليه .
(٦) رواه أحمد والترمذى .

فى تربية الأبناء

الحمد لله الذى هدانا صراطَهُ المستقيم ، وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أَثنَى عليه ربه بما لم يثن به على غيره ، إذ قال مخاطباً إياَّهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارِك عليه وعلى آله وصحابته وتابعيه وكل من تَخَلَّقُوا بِخُلُقِه وأَحْيَوْا سُنَّتَهُ ، صلاة وسلاماً وبركات دائمات إلى يوم الدين .

أما بعد ، فيأيها الإخوة المسلمون ، يقول الله تعالى :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ

---

(١) سورة القلم : ٤ .

لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ (١).

صدق الله العظيم

جاءت هذه الآيات الكريمات فى سورة لقمان على لسانه ،متضمنة النهى عن الشرك بالله ، وبعضاً من الأخلاق التربوية الإسلامية .

فمن لقمان ؟ وما الحكمة التى آتاه الله تعالى إياها ، فأثمرت تلك التوجيهات السامية ، والإرشادات الصائبة ، والأخلاق العظيمة التى تعد أقوى الدعائم فى تنشئة نابتة المسلمين ؟

لقمان هذا الذى ذكرتهُ هذه الآيات ورد أنه كان عبدًا صالحًا ، كثير التفكر فى آيات الله فى الكون وفى الإنسان ، عرف الله تعالى وأحبه ، فأحبه الله ومَنَّ عليه بالحكمة ، قيل : إنه نُوبِىٌّ من أهل أيلة ، وقيل : إنه حَبَشِىٌّ ، وقيل : إنه أسود من سودان مصر ، وقيل : إنه عبرى . وأيًّا مَّا كان الأمر فإن جمهور من ذكروه أجمعوا على أنه لم يكن نبياً ، ولم يكن عربياً .

هذا هو لقمان . فما المراد بالحكمة التى مَنَّ الله بها عليه ؟

هى العقل والذكاء الذى يؤدى إلى التفكر والتدبر وفقْهِ الأمور ، والسداد فى الرأى، والنطق بالكلام الصائب الحق .

تعالوا ـ إذَن ـ ننظر فى هذه الآيات معاً نظرة تأمل وتدبر ؛ لنستخلص منها العظات والعِبَرَ السديدة التى يجب أن ننشئ عليها نابتتنا ؛ ليشبوا صالحين نافعين أنفسهم ودينهم وأمتهم .

يقول تعالى : **﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾** ، لاشك أن الحكمة أعظم ما ينعم الله تعالى به على عبده ، فبها يصير الإنسان حكيماً ، قوى البصيرة ، يميز الرشد من الغى ، والحق من الباطل ، والفضيلة من الرذيلة ، فيأتى قوله سديدًا ، وفعله صائباً ،

---

(١) الآيات من ١٢ ـ ١٩ من سورة لقمان .

ويضيء ما حوله بنصائحه وإرشاداته القويمة، وتلك النعمة العظيمة تستوجب أن يشكر المُنعَمُ عليه ولِيَّهَا وواهبها ، حتى يديمها عليه ويزيدها : ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [١]، أما من ينكر نعمة الله تعالى عليه ، فإنه لا يُسِيءُ إلا إلى نفسه ؛ لأن الله تعالى غَنِيٌّ عن العالمين، محمود لذاته وصفاته ، سواء شكره الناس أم لم يشكروه ، وذلك قوله تعالى : ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ .

ثم أخذت الآيات تُعَدِّد العظات والتوجيهات التربوية التى ألهمه الله تعالى أن يوجهها إلى ابنه ؛ ليشب صالحاً ، وهى ليست خاصة بابن لقمان ، بل هى عامة موجهة إلى كل أبناء المسلمين ؛ لتضمنها أسساً أخلاقية متينة تسهم فى بناء شخصية المسلم بناءً قوياً متكاملاً .

* أول هذه التوجيهات التربوية هو نهيه ابنه عن الشرك بالله ، وبيانه سبب ذلك النهى ، وهو أن الشرك بالله ظُلْمٌ عظيم ، ولقد صدق فيما قرر؛ فهل هناك ظلم أعظم وأقبح من التسوية بين الخالق والمخلوق ، وبين من يستحق العبادة ومَنْ لا يستحقها، وبين مَنْ يملك الضر والنفع والموت والحياة والنشور ، ومَنْ لا يملك لنفسه ضرًا ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولانشورًا ، وبين من بيده ملكوت السمٰوات والأرض وخزائن الرزق ، ومن لا يملك من ذلك فتيلا ولا قطميرًا ، وبين من كلُّ الأمور بيده ، وإذا أراد شيئاً فإنما يقول له : كن ، فيكون ، ومن لا أمر له ، وإنما هو فانٍ هالك ، خاضع لما يريده الله تعالى له ؟ !

● التوجيه الثانى هو الوصية بالوالدين ، والمراد بها وجوب الإحسان إليهما ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [٢].وقوله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ

---

(١) سورة إبراهيم ـ من الآية : ٧ .

(٢) سورة البقرة ـ من الآية : ٨٣ .

إِحْسَانًا﴾[1]. وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [2]. وقوله تعالى : ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[3]. وقوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾[4].

والإحسان إليهما هو برهما المتمثل فى كل ما فيه خير مادى ومعنوى لهما من صلتهما، وحبهما ، وطاعتهما ، واحترامهما ، ورحمتهما ، ولين القول وخفض الجناح لهما، والإنفاق عليهما إن احتاجا ، وعلاجهما إن مرضا ،والدفاع عنهما ضد أى معتد أثيم ، وإرشادهما إن ضلا الصراط المستقيم ، على أن يكون ذلك كله عن طيب خاطر، وبدون تضرر وتأفف واستثقال .

وقد بين الله تعالى سبب وصيته بالوالدين فى قوله : ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾ مكتفياً بالإشارة إلى دور الأم فى حمله الذى عانت فيه أشق المعاناة ، وتحملت فيه ضعفاً فوق ضعف ، وفى إرضاعه حتى فصاله عند بلوغه عامين. أما دور الأب منذ اختياره أمًّا لأبنائه ثم رعايتهم منذ ولادتهم حتى بلوغهم أشدهم فهو أيضاً سبب الإحسان إليه .

ثم أمر الابن أن يشكر الله تعالى الذى أنعم عليه بأن أقدر والديه على القيام برعايته، وجعل فى قلبيهما الرأفة والرحمة به ؛ لأنه إليه المآب ، كما أمره أن يقرن شكر الله تعالى بشكر والديه ؛ إقرارًا بفضلهما عليه ، وقد قَدَّمَ شكر الله تعالى على شكرهما فى قوله تعالى : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ لبيان وجوب تقديم شكر الله تعالى على شكر الوالدين ؛ إذ هو رب الجميع الذى بيده الأمر كله وإليه المصير .

ثم أمره بإطاعتهما مالم يأمراه بالشرك بالله أو بمعصية ، فإن فعلا ذلك وجب عليه ألا يطيعهما ؛ إذ لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، بل يتبع سبيل المنيبين إلى الله ،

---

(١) سورة النساء ـ من الآية : ٣٦ .

(٢) سورة الأنعام ـ من الآية : ١٥١ .

(٣) سورة الإسراء ـ من الآية : ٢٣ .

(٤) سورة الأحقاف ـ من الآية : ١٥ .

فيستمر فى برهما ومصاحبتهما فى الدنيا معروفاً : فلا يقاطعهما ، ولا يجفوهما ، ولا يخشن فى معاملته لهما ، وليُفَوِّض أمره إلى من إليه المآب ؛ ليجازيه على إيمانه وبره بهما ، كما يجازيهما على إشراكهما بالله وأمرِ ولدهما به .

وقد أوصى لقمان ابنه هذه الوصية بأسلوب غير مباشر ، إذ نقل كلام الله عز وجل الموحى به على لسان الرسل ؛ ومن ثم كان الضميران : الياء فى (إلىّ) و (أنا) الضمير المستتر فاعل الفعل (أنبئكم) لله عز وجل .

● أما التوجيه الثالث فيبين فيه لقمان لابنه أن الله جل شأنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور ، ويحصى على المرء عمله مهما دق وخفى ، وحتى لو كان وزن حبة خردل ، إذ يصل علمه إليه ويستخرجه ليحاسبه عليه ، كما يستخرج هذه الحبة مع صغرها من أخفى وأصون موضع كجوف صخرة فى السمٰوات أو فى الأرض ؛ لقدرته تعالى على الوصول بلطيف علمه إلى أعماق الأشياء مهما تضاءلت ودقت ، ومن ثم يجب عليه أن يراقب الله عز وجل فى كل مايأتى وما يذر ؛ حتى لا يتعرض للعقاب على ما يقدمه من عمل قد يظن - بوسوسة الشيطان - أنه تافه لن يحصيه الله تعالى عليه .

● وفى التوجيه الرابع أمر لقمان ابنه بإقامة الصلاة : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وإقامة الصلاة - أيها الإخوة المسلمون - هى أداؤها كلها فى أوقاتها بخشوع ، مستوفية كل مقوماتها ، سواء فى ذلك الحضر أو السفر ، أو الأمن أو الخوف ، والسلم أو الحرب ، والصحة أو المرض ؛ لأنها ركن من أركان الدين، من أقامها فقد أقام الدين ، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ [١].وقال ﷺ : « بُنِىَ الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدًا رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وحج البيت ، وصوم رمضان » [٢].فهى الشعار الفاصل بين المؤمن والكافر، قال ﷺ : « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة»[٣].وقال أيضاً :

---

(١) سورة النساء ـ من الآية : ١٠٣ .

(٢) متفق عليه .

(٣) رواه مسلم.

« العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر »[1].

وهى سبب استمرار صلة العبد بربه ، حتى لا يغفل عن ذكره ، وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر : ﴿ **إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ** ﴾[2]

وهى ـ فوق كل ذلك ـ تطهر النفس وتزكيها ، وتحميها من سيطرة المادة والشيطان عليها ، وتمحو الخطايا ، قال المعصوم صلوات الله وسلامه عليه: « أرأيتم لو أن نهراً بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات ، هل يبقى منْ دَرَنِهِ شىء ؟ قالوا : لا يبقى من درنه شىء ، قال : فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا»[3].

كما أن الصلاة سبب فى الفلاح والفوز والنجاة من النار ، قال تعالى : ﴿ **قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ** ﴾[4]. وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾[5].

● التوجيه التربوى الخامس هو الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر : ﴿ **وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ** ﴾ والمعروف هو كل خير من قول أوفعل أو نية ، أمر الله تعالى به ، ورَغَّبَ فيه ، وقَبِلَته الفطرة السوية والعقول السليمة . أما المنكر فهو ضد المعروف، أى هو كل شر وسوء من قول أو فعل أونية ، رفضه الشارع ، ونهى عنه ، ونفرت منه الطبيعة السوية والعقول القويمة .

ففى الأمر بالمعروف إشاعة له فى المجتمع ؛ ليصبح مجتمع الخير ، والحق ، والأمانة، والصدق ، والوفاء ، والرحمة ، والحب ، وحفظ دماء الناس وأموالهم

---

(١) رواه الترمذى ، وقال : حديث حسن صحيح .

(٢) سورة العنكبوت ـ من الآية : ٤٥ .

(٣) متفق عليه .

(٤) سورة المؤمنون ـ الآيتان : ١ و ٢ .

(٥) سورة الحج : ٧٧ .

وأعراضهم ، والتسامح ، والتعاون على البر والتقوى ، والكلام الطيب ، والعمل الصالح النافع ، إلى آخر القيم التى تُبوِّئ المجتمع ذروة الكمال والسعادة .

وفى النهى عن المنكر تطهير للمجتمع من الرذائل المضادة لتلك الفضائل والقيم السابقة .

وبالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر معا استقامة لأمر المجتمع ، فيرقى ويسعد أفراده، وينالون رضا الله تعالى وعونه وتأييده ومثوبته فى الدنيا والآخرة ، ولا تمتد إليه يد طامع أو معتد أثيم لاحتلال أرضه ، واستغلال خيراته ، واستعباد أهله ، وسلبهم حرية اتخاذ قراراتهم المصيرية .

أما إذا لم يتآمر الناس بالمعروف ولم يتناهوا عن المنكر ، فإنهم يتسببون فى ضياع مجتمعهم ويستحقون لعنة الله تعالى كما استحقها كفار بنى إسرائيل فى قوله تعالى : **﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**[1].

● التوجيه التربوى السادس هو أن يصبر على ماأصابه ، **﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** ، فالصبر على ما ينوب المسلم من الشدائد يقوِّى إيمانه ، ويثبِّت يقينه بأن كل شىء بقضاء الله تعالى وقدره ، وأن ماأصابه لم يكن ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه ، وأنه ما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب ، ثم يترك أمر نتائجها إلى الله تعالى ، ويقبلها كيفما جاءت ، سواء أكانت متوقعة أم غير متوقعة، وبهذه الروح ، روح الصبر يشتد عزمه ، ولا تفتر همته ، ولا يجد اليأس سبيلاً إلى قلبه، فلكل محنة نهاية ، وإن مع العُسر يسرًا ، وإلى الله تعالى وحده تصير الأمور.

---

(١) سورة المائدة ـ الآيتان : ٧٨ و ٧٩ .

● أما التوجيه التربوى السابع فهو التحلى بالتواضع ، والابتعاد عن الكبر والغرور: ﴿ **وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ . ذلك أن الكِبرَ مذمومٌ بشتى صُوَرِهِ : من تعالٍ على الناس واحتقارٍ لهم ، وتَصعِير الخد لهم بعدم الإقبال عليهم ، ومن مشية الخُيَلاء والتباهى والإعجاب بالنفس .... إلى آخر صور الكبر والتعالى على الناس التى تجر على صاحبها ابتعاد الناس عنه ، واحتقارهم له ، وغضب الله ولعنته ، والحرمان من رحمته ورضاه وجنته، قال ﷺ : «لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر »[1].

● أما التوجيه التربوى الثامن والأخير من التوجيهات التربوية الإسلامية التى يجب أن نُنَشِّئ عليها أبناءنا ـ فهو القصد فى المشى ، وخفض الصوت: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ**﴾. أمر لقمان ابنه بالتوسط والاعتدال فى المشى، بحيث لا يمشى متعجلاً بسرعة ترهقه ، وتجعله يلهث من التعب ، ويفقد وقاره واتزانه ، فيخترق الماشين أمامه ، أو يلتوى فى مشيه ، وبحيث لا يمشى ببطء يجلب التكاسل والتراخى والتثاؤب ، ويؤخره فى الوصول إلى غايته ، ويعطل الطريق .

كما أمره بخفض الصوت فى الكلام ؛ لما فى ذلك من أدب وثقة بالنفس وراحة لمن يتحدث معه ، وعدم إزعاج لمن يسمع هذا الصوت ، ولأن رفع الصوت لدرجة عالية عاملٌ من عوامل تلوث البيئة بالضجيج ، ومن ثم شبهه الله تعالى بصوت الحمير الذى يؤذى الأذن ، ويزعج النفس ، ويجلب التعب .

أجل ـ أيها المسلمون ـ هذه هى النصائح التربوية الإسلامية الثمينة ، التى يجب علينا أن نضعها نُصبَ أعيننا ونحن نقوم بتوجيه أبنائنا ، لتنشئتهم تنشئة إسلامية قويمة ، حتى يشبوا صالحين نافعين أنفسهم ودينهم وأُمتهم ، بل الإنسانية جمعاء ، فمن شَبَّ على شىءٍ شَابَ عليه .

---

(١) رواه مسلم .

قال ﷺ : « بُعثتُ لأُتَمِّمَ مكارم الأخلاق » [1].

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

(١) رواه مالك .

العمــل

(أ)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له ، أمَرَ بالعَمَل الصالح وأَجْزَلَ له الجزاء ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، خير العاملين والدالين على خير العمل وعمل الخير ، اللهم صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ عليه وعلى آله وصحابته وأتباعه ، ومَنْ عمل بِسُنَّتِهِ وسار على نهجه إلى يوم يبعثون .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، يقول الله تعالى : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[١] .

ويقول تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [٢] .

ويقول : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [٣] .

أما الرسول ﷺ فيقول : « ما أكل أحد طعاماً قطُّ خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » [٤] . ويقول : « كان زكريا نجارًا » [٥] .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥ .

(٢) سورة الملك : ١٥ .

(٣) سورة الزلزلة : ٧ و ٨ .

(٤) رواه البخارى .

(٥) رواه مسلم .

هذه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تتحدث عن العمل وتأمر به؛ لأنه قوام الحياة ، وبه يعمر الكون ، ذلك أن الله تعالى استخلف الإنسان فى الأرض لعمارتها وقال : ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾(1). وقال : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾(2).

وسخر له ما فى باطنها وما فوقها ؛ ليستغل لصالحه سطحها وما عليه من دواب وجبال ووديان ، وصخور ورمال ومعادن ، وزروع وثمار وأشجار ، كما يستغل ما فى جوفها من معادن وغازات وبترول وأنهار وبحار تمتلئ بالأسماك والحيوانات البحرية واللؤلؤ والمرجان وغيرها .

وبعملِ الإنسان الجادِّ فى عمارة الأرض واستغلال ما فوقها وما فى جوفها عن طريق أحدث ما توصل إليه العلم من نظريات و (تكنولوجيا) ـ يستطيع استخراج ما فى باطنها من مكنونات ، وما على ظهرها مما أنبتته من كل زوج بهيج ، ويحصل على رزقه وقوته هو ومن يعولهم ، وتتيسر له سُبُل معيشته ، ويتبادل المنافع مع غيره لتعم فائدة العمل المجتمع ، وعندئذٍ يحلو عيشه ، وترضى وتقنع نفسه ، ويكف عن صراعه مع غيره ، وطمعه فيما بيده ، فينتشر السلام والخير والعدل ، ويعيش الناس فى حب ووئام، شاكرين ربهم الذى ذَلَّلَ لهم الأرض فعمروها وعاشوا عليها عيشة كريمة .

العمل الصالح البنّاء المثمر إذن ـ أيها المؤمنون ـ قيمة من أسمى قيم الحياة ، ومن ثم قرنه الله تعالى بالإيمان فى عشرات الآيات كقوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾(3). كما يسره لجميع القادرين عليه: يسر هذا للزراعة ، وهذا للصناعة ، وهذا للتجارة ، وهذا للعلم والتعليم ، وهذا لمداواة المرضَى ، وهذا للسياسة والحكم ، وهذا للوعظ والإرشاد وإصلاح ذات البين ، وهذا للقضاء بين الناس بالعدل .... إلخ .

---

(1) سورة النور ـ من الآية : ٥٥

(2) سورة هود ـ من الآية : ٦١ .

(3) سورة الكهف : ٣٠.

وهكذا نجد أن كل عمل يُعَدُّ شريفاً مادام صالحاً يحقق منفعة أو يدفع مضرة أو ييسر شئون الحياة ، ولا يتناقض مع منهج الإسلام ، ولا يجلب سخط الله تعالى وغضبه ولعنته .

ولما كان العمل هو الحياة ، والحياة هى العمل لم يُعْفِ الله تعالى أحدًا من العمل ، مهما كانت منزلته عنده :

هاهم أولاء أنبياؤه - تعالى - ورسله الذين نعدهم قدوتنا الصالحة كلهم كانوا يعملون، ولم يعيشوا كسالى متواكلين ، لقد نفذوا أمره تعالى بالعمل فى قوله : ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (١).

هذا زكريا عليه السلام يعمل نجارًا ، كما جاء فى قول رسولنا ﷺ: «كان زكريا عليه السلام نجارًا » (٢).

وهذا نبى الله داود عليه السلام يصنع الدروع ، قال تعالى : ﴿ **أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾(٣).أى اصنع دروعاً كاملة تقى المحارب شر الحرب . فكان - عليه السلام - يصنعها ويبيعها ، ويأكل من ثمنها ، ويتصدق ، فكان طعامه هذا أطيب طعام ؛ لأنه عمل يده ، كما ذكر ذلك رسولنا ﷺ فى قوله : « ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده » (٤).

وكذلك كان رسولنا ﷺ يأكل من عمل يده ؛ إذ كان يعمل فى التجارة ، وقصة خروجه فى تجارة للسيدة خديجة إلى الشام وتحقيقه الأرباح لصدقه وأمانته مشهورة فى سيرته ، كما كان ﷺ يرعى الغنم ، بل كل الأنبياء كانوا يرعون الغنم كما قال ﷺ :

---

(١) سورة المؤمنون : ٥١ .

(٢) رواه مسلم .

(٣) سورة سبأ : ١١ .

(٤) رواه البخارى .

«مابعث الله نبياً إلا رَعَى الغنم» . فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : «كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[1]. (المراد بالقيراط جزء من الدينار والدرهم) .

وكان يحث أهله ـ ككل المؤمنين ـ على العمل ، وترك التواكل والكسل : ذكر علىّ ابن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أن زوجه فاطمة بنت الرسول ﷺ احتاجت إلى خادم يساعدها ؛ إذْ أثّرتْ الرحى فى يديها ، وقربةُ الماء فى نحرها ، فاتجه ﷺ إلى فاطمة قائلا: «يافاطمة ، اتقى الله وأدِّى فريضة ربك ، واعملى عمل أهلك» .

وكذلك كان الصحابة والتابعون وصالحو المؤمنين حتى الآن يعملون،ولم يؤثر عن أحد منهم أنه كان يقعد عن العمل ، مؤثرًا الراحة والكسل ، وسيظلون يعملون حتى تقوم الساعة ، قال ﷺ «إن قامت على أحدكم القيامة وفى يده فسيلة فليغرسها»[2] . وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه : «والله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال ، وجئنا بغير عمل فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة» !

أيها المسلمون ، إن الإسلام الذى أمر بالعمل وشجع عليه ـ عدوٌّ لَدود للبطالة والكسل ، وعدوٌّ لمن يُريقون ماء وجوههم فى السؤال وهم قادرون على العمل ، وعدوٌّ للمتواكلين الذين يتوانون عن العمل تحت أى اسم من الأسماء حتى لو كان العبادة !

قدم قوم على النبى ﷺ وتحدثوا عن أحدهم ، فقالوا : يصوم النهار ، ويقوم الليل، ويكثر الذكر ، فقال ﷺ : «أيكم يكفيه طعامه وشرابه ؟ قالوا : كلنا ، فقال : كلكم خير منه» كما قال ﷺ : «اليد العليا خير من اليد السفلى»[3]. وقال ﷺ : «لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير له من أن يسأل أحدًا ، فيعطيه أو يمنعه»[4]وقال ﷺ : «لاتحل الصدقة لغنى ولا لذى مِرَّة سَوِىّ»[5].

فهل هؤلاء المتواكلون المتمسحون بالدين أخشى لله من الأنبياء والمرسلين ، حتى يتعللوا بالعبادة فى تقاعدهم عن العمل والإنتاج ؟

---

(١) رواه البخارى .

(٢) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) متفق عليه .

(٥) متفق عليه .

obeikandi.com

وهل هم أتقى من الصحابة والتابعين وصالحى المؤمنين الذين عملوا ويعملون حتى قيام الساعة ؟

لا مكان إذن ـ أيها المؤمنون ـ فى مجتمعنا الإسلامى للمتسولين ، ولا للصعاليك ، ولا للعاطلين المجرمين الذين يعيشون على الإتاوات التى يفرضونها على الناس بسلاح التهديد والإرهاب بالقتل وتخريب المحلات التجارية وحرق منازل من لا يخضعون لابتزازهم !

قاوِموهم ، ولا تخضعوا لتهديدهم ، وأَبلغوا رجال الأمن عنهم ؛ ليطهروا المجتمع من جرائمهم ، ويخلِّصوه من شرورهم . لا تخافوهم ، ولا تخضعوا لابتزازهم، واصبروا حتى يسلط الله بعضهم على بعض ، كما قال تعالى : ﴿**وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1] .

وكما قال الشاعر :

وما من يدٍ إلاَّ يَدُ الله فوقها ولا ظالم إلا سيُبْلَى بظالمِ

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين ، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم .

(١) سورة الأنعام : ١٢٩ .

العمل

(ب)

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له ، أعان على العمل الصالح وجزَى عليه ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير قُدوَة للعاملين ، اللهم صَلِّ وسلم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه وتابعيه الطيبين الطاهرين .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، لم يتسع الوقت فى الخطبة السابقة لإتمام الحديث عن العمل ، فرأيت أن أُتمه الآن :

العمل الذى يأمر به الإسلام ويبيحه ـ كما أسلفت ـ هو العمل الصالح النافع المثمر البنَّاء ، الذى يسهم فى بناء المجتمع وصيانته ورقيه وتطوره نحو الأفضل ، والذى يعود بالخير على صاحبه ، ويعينه على القيام بمسئوليته نحو من يعولهم ، والذى يكون للدنيا وللآخرة ، لا للدنيا فقط كما يفعل بعض الناس الذى أَلْـهَـتْـهُـمْ دنياهم فانغمسوا فى لهوها وعبثها ، ونَسُوا الله فأنساهم أنفسهم ، قال تعالى : ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ**﴾ (١)

ومن رحمته تعالى أنه عندما أمرنا بالعمل لم يكلفنا ما لا نطيق ، حيث يقول : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا**﴾ (٢) وذلك حتى يحب العامل عمله ، ويقبل عليه ، ويؤديه بأمانة وإخلاص ، وإتقان : قال ﷺ: « إن

---

(١) سورة القصص : ٧٧ .

(٢) سورة الأعراف ـ من الآية : ٤٢ .

الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»[1]،وحتى يستطيع العامل أن يستغل فى عمله أحدث النظريات والتطبيقات العملية ، وإذا كانت لديه قدرة على الابتكار والتطوير ـ استطاع أن يطور فى عمله ويبتكر فيه ، وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

اعلموا ـ أيها المسلمون ـ أن الأعمال تختلف درجاتها ، كما تختلف درجات القائمين بها بحسب اختلافها ، غير أننى أود أن أشير إلى أن أى عمل حلال مطلوب لإقامة الحياة وتسييرها لا يُعَدُّ عملا حقيرًا ، ولا يعد العامل فيه حقيرًا ، كما ينظر بعض الناس إلى الكناسين وجامعى القمامة مثلا ، مع أنهم لو أضربوا عن العمل لانتشرت الأمراض والأوبئة، ولما استطاع هؤلاء المحقِّرون لهم أن يقوموا بعملهم !!

الحقارة ـ إذن ـ ليست فى ذات المهن ، بل فى الأشخاص القائمين بها إذا لم يسلكوا فى أدائها السلوك السَّوِىّ ، فهذا العامل فى المجارى أو الكنس أو دفن الموتى ـ مثلا ـ لا يستغنى المجتمع عنه ، فإذا أتقن عمله وأخلص فيه ، ولم يبالغ فى أجره فهو شريف، بل إنه أشرف من رئيس مجلس إدارة مؤسسة كبيرة لص ، أو من وزير مرتشٍ أو مقصر ، أو قاضٍ ظالم ، أو طبيب يسرق دواء المرضى أو يقوم بعمليات جراحية لابتزازهم، أو مدرس يرسب تلاميذه ليرغمهم على الدروس الخاصة لقاء أجر فوق طاقتهم ، أو تاجر غشاش أو ... إلخ.

أيها المسلمون ، أود أن أشير إلى أن العمل فى الإسلام ليست لنهايته سن معينة ؛ لأن المسلم مادام قادرًا على العمل ومحتاجاً إلى رزقه منه ـ يستطيع فى كل مرحلة من مراحل عمره أن يقوم بالعمل المناسب لها ، أما إحالة العامل إلى المعاش عند بلوغه سنًّا معينة كالستين مثلا فعملية تنظيمية ؛ تتيح فرص العمل للأجيال المتلاحقة ، كما تتيح فرصة لمن لمس تدهور صحته وجهده أن يستريح ، على أن بعض العاملين الذين اكتسبوا خبرات نادرة ، وحققوا فى مجالهم تفوقاً لا تستغنى عنهم دولهم عند بلوغهم هذه السن ، وإذا استغنت عنهم تخطفتهم الدول المتيقظة التى تعرف أقدارهم ، وأجزلت لهم الأجر ؛ لأنها تدرك مدى قدرتهم على الإسهام فى نهضتها ورقيها ؛

---

(١) رواه البيهقى فى شعب الإيمان .

ولأنهم حقًّا خبرات نادرة تستطيع أن تحقق ما أملته فيهم هذه الدول ، فرب شخص جاوز الستين يستطيع أن يبتكر ويقوم بعمل يعجز عن القيام به ابن الثلاثين!!

اعلموا ـ أيها المسلمون ـ أن العمل لا يتعارض مع التوكل على الله ، فعلى الإنسان أن يعمل ويأخذ بكل الأسباب المباحة ، ثم يتوكل على الله منتظرًا نتيجة عمله ، قال ﷺ: « اعقلها وتَوَكَّل » [1]، وذلك للأعرابى الذى لم يقيد ناقته أمام مسجد الرسول ﷺ قائلا : توكلت على الله .

ومرّ عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوم ، فقال : من أنتم ؟ فقالوا: المتوكلون ، فقال : بل أنتم المتواكلون ، إنما المتوكل رجل ألقى حَبَّةً فى بطن الأرض ، وتوكل على ربه عز وجل .

أيها المسلمون ، ليعمل كلٌّ منا وهو يعتقد أن أعماله كلها مسجلة ومسطرة عليه ، خيرها وشرها ، وأن الله تعالى رقيب عليه ، حيث يقول تعالى : ﴿**فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾ [2].

ويقول تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** ﴾ [3].

وعندما نُبْعَثُ سيكون مع كل منا سائقٌ وشَهِيد : أما السائق فيسوقه إلى المحشر ، وأما الشهيد فيشهد على عمله ، بل إن أعضاء الإنسان سوف تشهد هى الأخرى عليه يوم يقوم الأشهاد ، قال تعالى : ﴿**يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [4].

ولا فرق فى ذلك بين الذكر والأنثى ، إذ يقول تعالى : ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ**

---

(١) رواه الترمذى ، وابن خزيمة ، والطبرانى .

(٢) سورة الزلزلة : ٧ و ٨ .

(٣) سورة النساء ـ من الآية : ١ .

(٤) سورة النور : ٢٤ .

أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[١].

هذا، وقد جعل الله لمن عمل صالحاً جزاءً عظيماً، حسبى أن أذكر منه :

* يحييه الله تعالى حياة طيبة : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[٢].

* ويجعله فى الصالحين : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾[٣].

* ويعده من خير البرية : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[٤].

* ويجعل له ودًّا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ [٥].

* ويوفيه أجره ويزيده من فضله : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ [٦].

* وهذا الأجر غير مقطوع : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[٧].

---

(١) سورة النحل : ٩٧ .
(٢) سورة النحل : من الآية ٩٧ .
(٣) سورة العنكبوت : ٩ .
(٤) البينة : ٧ .
(٥) سورة مريم : ٩٦ .
(٦) سورة النساء ـ من الآية : ١٧٣ .
(٧) سورة فصلت : ٨ .

● ويكفر سيئاته ، ويغفر ذنوبه : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ﴾ (١).

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ (٢).

● ويدخله جنات النعيم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾(٣).

هذا فوق ما يحققه له العمل فى الدنيا من رزق يحفظ حياته وحياة من يعولهم ، ويصون كرامتهم ، ويغنيهم عن المسألة ويعينهم على الصدقات وفعل المكرمات .

ولا يفوتنى أن أنبه إلى أن العمل الدائم المنتظم خير من العمل المتقطع ولو كان كثيرًا؛ لأن الأول يستمر خيره وتتواصل نتائجه وثماره ، ولا شك أن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

فاتقوا الله ـ عباد الله ـ واعملوا ، فالإيمان عقيدة وعمل ، والعمل سبيل بناء المجتمع ورقيه ونهضته وسبقه ركب الحضارة ، ولو بحثتم عن سر تأخر مجتمعنا الإسلامى ووصوله إلى الحالة المحزنة التى هو عليها الآن ـ لأدركتم أنه يكمن فى تفرق كلمة أبنائه ، وتمزق وحدتهم ، وإهمالهم العمل البنَّاء المثمر ، وركونهم إلى الدنيا وملذاتها ، ونسيانهم الآخرة وما فيها من جزاء عادل ، وابتعاد كثيرين منهم عن منهج الإسلام الرشيد !!

* اعملوا أيها المسلمون ؛ ففى العمل صحة للبدن ، وقوة للنفس، وسعادة للروح، وتحقيق للذات .

* اعملوا ؛ ففى العمل عبادة ، ونجاة من الملل واللهو والقلق والتوتر ، ووصول إلى أسمى الدرجات والغايات .

---

(١) سورة العنكبوت ـ من الآية : ٧ .
(٢) سورة فاطر : ٧ .
(٣) سورة لقمان : ٨ .

* اعملوا حتى تفوزوا بما أعده الله لمن يعملون صالحاً من خيرى الدنيا والآخرة

قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً** ﴾ (١).

أقول قولى هذا ، وأستغفر الله لى ولكم ولجميع المسلمين . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

obeikandl.com

---

(١) سورة الكهف : ٣٠ .

عيد الأضحى
الخطبة الأولى

الحمد لله والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد !

الله أكبر ماحج المسلمون بيت الله العتيق !

الله أكبر ما سلكوا إليه كل فج عميق !

الله أكبر ما ارتفعت بالتلبية أصواتهم فانجاب عنهم الضيق !

الله أكبر ماوجدوا ماء زمزم أحلى من مختوم الرحيق !

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

الحمد لله الذى جعل حج بيته ركناً من أركان الإسلام ، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لاشريك له الملك العلام ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله خير الأنام ، اللهم صَلِّ وسَلِّم وبارِكْ عليه وعلى آله وصحبه مالبَّى الملبُّون ، وذكر الله تعالى الذاكرون ، وشكر له أنعمه الشاكرون .

أما بعد ، فيأيها المسلمون ، من نعمة الله تعالى علينا ورحمته أن شرع لنا عيدين ، وجعلها مَوْسِمَىْ فرح وابتهاج ، ومودة وانشراح ، وتواصُلٍ وتوادٍّ ، وبر وخير ، وصلاة وذكر ، ودعاء وشكر ، يتكرران كل عام ؛ ليثيرا فينا ذكريات الأيام الأولى للمسلمين ،حتى نجعل وجودنا فى هذه الدنيا امتدادًا لهؤلاء الذين حملوا الرسالة ، حتى أوصلوها إلينا نقية طاهرة ، لا تشوبها شائبة من شوائب الضلال ؛ لنستضىء

بنورها ، ثم نسلمها لمن سيعقبوننا ، ليستضيئوا هم الآخرون بنورها ، ثم يسلموها بدورهم لمن يلونهم ، وهكذا إلى يوم الدين .

وقد شاءت حكمة الله تعالى أن يجعل كُلاًّ من العيدين تالياً أداء ركن من أركان الإسلام :

فعيد الفطر يأتى عقب انتهاء صوم رمضان ، ذلك الشهر الذى جعل الله تعالى صيامه تطهيرًا للنفس ، وصحة للبدن ، ودرساً عمليًا فى تعلم الصبر وقوة الإرادة ، والسيطرة على نوازع النفس وشهواتها ، وفى حفظ اللسان من الكذب والزور والبهتان ، كما جعله سبباً لغفران من صح صيامه .

أجل ، يأتى ذلك العيد عقب ذلك الشهر ، مكافأة للمسلمين على ما قدَّموه فيه من صيام وقيام ، وقراءة للقرآن ، وذكر لله ، وصدقة ، وطاعة ؛ لتكتمل به فرحتهم ، ويعم سرورهم ، شاكرين الله تعالى الذى أعانهم على الصيام ، واصلين فيه أرحامهم، مخرجين زكاة الفطر قبل فجره ؛ توسعةً على الفقراء ، متزاورين ، متحابين ، متعاطفين، مكرِمين للأيتام .

أما عيد الأضحى فقد جعله الله متصلاً بنهاية ركن آخر من أركان الإسلام ، وهو حج بيته العتيق ، الذى جعله الله تعالى مثابة للناس وأمناً ، كما جعله تالياً ليوم وقوف المسلمين بعرفة من كل جنس ولون ولغة وعمر ، فى اجتماع يستحيل أن يتم فى غير هذا المكان وهذه المناسبة ، اجتماع يرمز إلى وحدة المسلمين وتماسكهم وقوتهم وتضحيتهم فى سبيل إتمام أركان دينهم ، اجتماع يتيح لهم فرصة التعارف والتواد ، والتعاون على البر والتقوى ، وتبادل المنافع ، وعقد الاتفاقيات والمعاهدات ، وتدارس مشكلاتهم ، والعمل على حلها .

ومن ثم يجىء هذا العيد فى وقته المناسب مكافأة للحجيج ، وإشراكاً لغيرهم فى البهجة والسرور .

فطوبى لأمة الإسلام بهذا العيد السعيد !

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

سبحان من جعل هذا العيد عيد التضحية والفداء ، وَسَنَّ لنا فيه نحر الضحايا ؛ لنأكل منها ، ونهدى ، ونطعم البائس الفقير ؛ إحياء لذكرى تضحية سيدنا إبراهيم الخليل وولده إسماعيل عليهما السلام ؛ إذ عرض الأب على ابنه ما رآه فى المنام ؛ ليرى رأيه فيه ، فما كان منه إلا أن وافق على كل ما يفعله به أبوه ، استمعوا معى فى ذلك لقوله تعالى : ﴿**فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ (١٠٤) قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ**﴾(١) .

نعم ـ أيها المسلمون ـ إن هذا العيد لَيذكِّرنا بهذه التضحية العظيمة ، وبهذا الامتحان العسير ، لكل من سيدنا إبراهيم ، وابنه إسماعيل ، عليهما السلام ، واجتيازهما هذا الامتحان بنجاح عظيم ؛ ومن ثَمَّ كافأهما الله تعالى بأن أنزل كبشاً عظيماً من الجنة ، قد رعى فيها أربعين خريفاً ، كما يقول ابن عباس ، رضى الله عنه ، فذبحه سيدنا إبراهيم بدل ذبح ابنه إسماعيل ، ومن هذا الوقت صار ذلك الفداء شعيرة من شعائر الإسلام ؛ إحياء لذكرى ذلك الفداء العظيم ، وليأكلوا منها ، ويهدوا ، ويطعموا البائس الفقير .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

أقول قولى هذا ، واستغفر الله لى ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم .

---

(١) سورة الصافات ـ الآيات من ١٠٢ إلى ١٠٥ .

الخطبة الثانية

الحمد لله والله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد . الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلاً .

أما بعد ، فيأيها المؤمنون ، أين تضحية أبناء هذه الأيام من التضحية التى قدمها إسماعيل لأبيه إبراهيم ، عليهما السلام ، بموافقته إياه على أن يذبحه ؛ تنفيذًا لأمر ربه؟

أجل ، أين هؤلاء الأبناء من إسماعيل الذى يُعَدُّ نموذجاً مضيئًا سماء الزمان لطاعة الولد لأبيه ، ولو كان فى هذه الطاعة ذهاب لحياته ؟

إن أبناء هذه الأيام لا يعرفون شيئاً عن هذه التضحية إلا من عصم الله !

إنهم يرغمون آباءهم على أن يحققوا لهم رغباتهم ، حتى لو تم ذلك عن طريق غير حلال ، بل لقد تجرأ كثير منهم ، وقالوا لآبائهم فى بجاحة : لِمَ أنجبتمونا مادمتم عاجزين عن الإنفاق علينا وتحقيق ما نريد ؟

ياسبحان الله ! كأن الآباء هم الذين خلقوا هؤلاء الأبناء ! وكأنهم هم الذين اختاروا أن يكون رزقهم عاجزًا عن تحقيق أمانى أبنائهم الكاذبة !

ألابئس ما يقولون ! إن يقولون إلا منكرًا من القول وزورًا !

ياأسفًا على ما يحدث فى هذا الزمان من ألوان عقوق الأبناء لآبائهم ! لماذا لم يقتدوا بإسماعيل عليه السلام فى بره لأبيه ؟

أعيذهم أن يتخذوا ابن نوح عليه السلام قدوة لهم !

ما هذه الجرأة منهم على آبائهم ؟ لقد أهانوهم وأرهبوهم وأرغموهم على أن يرهقوا أنفسهم فى العمل فوق طاقتهم ؛ ليحصلوا على المال الذى يلتهمه هؤلاء الأولاد فى نَهَمٍ لا يحسون معه بأدنى شِبَعٍ !

اللهم لاحول ولاقوة إلا بك ، ياقوى ، ياعظيم !

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ولله الحمد .

أيها الآباء ، أَحْيُوا سُنَّةَ أبيكم إبراهيم عليه السلام ، واهتدوا بهدى نبيكم ﷺ إذ يقول : « ماعمل آدمى من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، وإنه لتأتى يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها ، وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض ، فطيبوا بها نفساً » (١).

ضحوا ، أيها المسلمون ، وربوا أولادكم على منهج الله ؛ ليقتدوا بكم فى السير عليه، وينشئوا على التضحية وبغض الأثرة ؛ لأنكم أنتم أول من يجنى حُسْنَ تربيتهم أو سوءَها .

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً، وسبحان الله بكرة وأصيلا .

اللهم اهدنا صراطك المستقيم ، وأَعِنَّا على العمل بِسُنَّة رسولك العظيم ، وعلى التضحية والفداء ، وَطهِّرْ نفوسنا من الأثرة وحب الذات.

اللهم وحِّدْ صفوف المسلمين ، وأَعْلِ كلمتى الحق والدين ، وهب لنا من لدنك رحمة ، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا .

اللهم وَلِّ أُمور المسلمين خيارهم ، ولا تولها شرارهم ، وكن معهم معيناً وهادياً.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات.

اللهم آمِنَّا فى أوطاننا ، ولا تَفتِنَّا فى ديننا ، ولا تجعل للدنيا سلطاناً علينا يارب العالمين .

أيها المسلمون ، كل عام وأنتم بخير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين !

* * *

---

(١) رواه ابن ماجه ، والترمذى ، والحاكم .